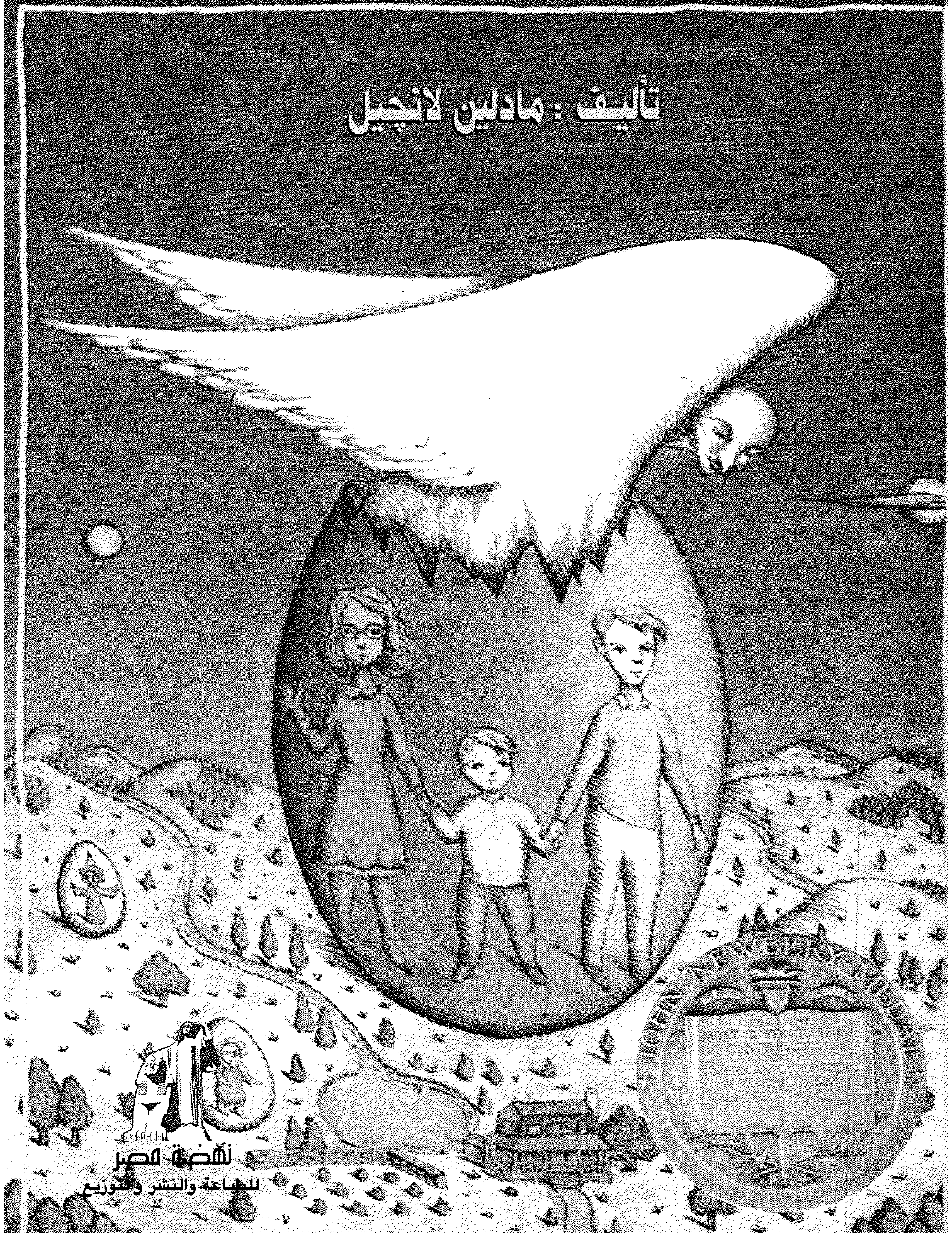
السفـر فـى الـزمـن

تأليف : مادلين لانچيل



نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

السفر فى الزمن

تأليف : مــادلـين لانجــل



تأليف : مادلين لانجل

ترجمة : أحمد حسن محمد

مراجعة : د. مشيرة عبدالملك

إشراف : داليا محمد إبراهيم

Original English title : A Wrinkle in Time.

Published by arrangement with Lescher & Lescher Ltd. On behalf of Crosswicks, Ltd.

« برنامج ترجمة الكتب الأمريكية »

ترجمة كتاب A Wrinkle in Time تصدرها شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - بترخيص من Lescher & Lescher Ltd. USA



الترقيم الدولى : 977-14-2956-6 رقم الإيداع : 2004/19688 تاريخ النشر : ديسمبر 2004

الإدارة العامة : 21 ش أحمد عرابى - المهندسين ص.ب : 21 إمبابة ت : 3466434 - 3472864 فاكس : 02/3462576
المركز الرئيسى : 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة 6 أكتوبر ت : 8330287 - 8330289 فاكس : 02/8330296
مركز التوزيع : 18 ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة ت : 5909827 - 5908895 - 5898085 فاكس : 02/5903395
فرع الإسكندرية : 408 طريق الحرية - رشدى ت : (03)5230569 www.nahdetmisr.com
فرع المنصورة : 47 ش عبد السلام عارف ت : (050)2259675 publishing@nahdetmisr.com

جائزة نيوبرى

تقدم هذه الجائزة كل عام لأفضل كاتب للأطفال فى الولايات المتحدة الأمريكية.. والكاتب الذى يحصل عليها، يحجز لنفسه مكانًا فى قائمة أعظم الكتّاب.. فهى أكبر وأقدم جائزة فى الولايات المتحدة.

وقد بدأ تقديمها عام 1922، عندما اقترح فريدريك ميلشر على اتحاد المكتبات الأمريكية إنشاء هذه الجائزة، على أن تقدم باسم جون بيرى، وهو أقدم بائع لكتب الأطفال فى القرن الثامن عشر فى إنجلترا.

يهدف الاتحاد من تقديم الجائزة إلى التشجيع على الابتكار والأفكار الخلاقة فى حقل الكتابة للشباب، سواء أكان شعرًا أم رواية أم مسرحية.. كما حدد لها شروطًا كثيرة منها: أن يكون العمل منشورًا فى نفس العام، ولم يسبق نشره، كما أن الكاتب يجب أن يكون مواطنًا أمريكيًا.

ويفوز الكاتب بميدالية برونزية. صممها بول تشامبلان، محفور عليها اسم الكاتب، وتاريخ الفوز بها.

وفى عام 1973، اقترح فريدريك.ج. ميلشر تقديم جائزة كالديكوت لأفضل تصميم، أو رسم لكتاب الطفل، وسميت بهذا الاسم تكريمًا لرسام الأطفال الإنجليزى فى القرن التاسع عشر راندولف كالديكوت.

بعض الكتب الحائزة على جائزة نيوبرى

1 ـ صيف البجع.

2 ـ معجزات فوق مابل هِلْ.

3 ـ ساوندر.

4 ـ السفر فى الزمن.

5 ـ الأسير.

6 ـ راسكال.

7 ـ سى بيسكيت.

قصص أخرى للشباب :

1 ـ الأعظم.. محمد على.

2 ـ الأخوان رايت.

3 ـ العصَّار.

إلى
تشارلز وادزورث كامب
و
والاس كولين فرانكلين

مقدمة المؤلفة

كم هو رائع أن ترى هذه الأغلفة الجديدة الجميلة لرباعية الزمن، إنها دليل آخر على أن القصص تتمتع بروح خاصة بها، وإنها تقول أشياء خاصة لبشر متباينين فى أوقات متباينة، وهو تأكيد على أن القصة حقيقية، وتأخذنا إلى ما وراء الحقائق، إلى شىء ما أكثر صدقًا وحقًا.

فى روايات الزمن: يطرح كل من «ميج» و«بولى» أسئلة مهمة، كثير منا طرح هذه الأسئلة ونحن نكبر، لكن اعتدنا على التخلى عنها لانشغالنا بأشياء أخرى كثيرة. أنا أكتب الكتب؛ لأننى مازلت أطرح الأسئلة. أحد علماء الطبيعة قال: إن السؤال المهم هو: هل نحن بمفردنا فى هذا الكون أم لا؟ أخرج ليلاً وأنظر إلى النجوم، مئات البلايين من النجوم، معتقدًا أن ـ بالتأكيد ـ هناك مجرات أخرى، يشتمل نظامها الشمسى على كواكب بها حياة عاقلة، ولا أعتقد أننا بمفردنا، وهذا يقودنا إلى مزيد من الأسئلة، عندما أنظر إلى سماء الليل، فإننى أنظر إلى الزمن مثل الفضاء، أنظر إلى نجم يبعد مسافة سبع سنين ضوئية، ونجم يبعد سبعين سنة ضوئية، وربما مائة أو ألفًا أو...

الأمر مثير للغاية، حتى إنه يجعلنى راغبة فى الكتابة، الكتابة عما يحدث فى الكون الفسيح بعيدًا عنا، وفى عالم الميكروكوسم المتناهى الصغر؛ لذلك أرسلت «ميج» إلى المجرات البعيدة، وإلى العوالم الميكروسكوبية لمكونات الخلية، وأرسلت «ميج» و«تشارلز والاس» و«بولى» إلى الماضى البعيد، وإلى المستقبل. فى كل كتاب من هذه الكتب تعيش الشخصيات فى التساؤلات التى نعيش فيها جميعًا. بعض هذه الأسئلة ليس له إجابات محددة، لكن الأسئلة فى حد ذاتها مهمة. لا تكفُّفْ

عن التساؤل، ولا تدع أى إنسان يقول لك: إنها أسئلة لا تستحق الإجابة، أو إنها بالفعل تستحق، وإنه لشىء طيب أن تتناقش فى الأسئلة مع أناس أمثال «ميج» و«كالڤن» و«تشارلز والاس» وحتى «ذاتشارى».

لو أن أى إنسان دعاك لأن تذهب إلى مجرة مكتشفة حديثًا؛ فهل تذهب؟

أنا شخصيًا سأذهب.. طريقة رائعة للقاء أناس جدد ومدهشين.

تزودنا القصة بأكثر من مجرد الكلمات، ولهذا السبب نحب كتابتها، وقراءتها.

مادلين لانچل

نيويورك

سبتمبر 1997

المحتويات

السفر فى الزمن

1 السيدة «واتست»

كانت ليلة عاصفة ومظلمة.

عندما جلست «مارجريت مورى» بجوار سريرها فى حجرة نومها التى تقع فى أعلى المنزل، وقد لفّت جسدها بلحاف قديم ملون، وأخذت تراقب الأشجار وهى تهتز بفعل الرياح أمام السحب المتجمعة فى السماء، وبين حين وآخر تكشف عن وجه القمر، فتلقى بظلال تتحرك فى سرعة على الأرض ــ ارتج المنزل فارتعشت «ميج» وهى ملتحفة لحافها.

لم يكن من عادتها أن تخاف من الطقس السيئ، ولكنه لم يكن

الطقس فقط، لقد كان الطقس على رأس كل شىء، وأولها أن «ميج مورى» تفعل كل شىء بطريقة خطأ.

كانت أخطاؤها كثيرة فى المدرسة، فقد حصلت على أقل الدرجات فى صفها.. وفى ذلك الصباح حدَّثها أحد معلميها بغضب قائلاً: «أنا لا أستطيع أن أفهم حقًّا يا «ميج» كيف يكون والداك بهذا الذكاء وتكونين تلميذة ضعيفة المستوى إلى هذا الحد؟!. إذا لم تحاولى بذل المزيد من الجهد فستظلين فى نفس الصف للعام القادم».

حاولت أثناء الغداء أن تفعل شيئًا يشعرها ببعض التحسن، فقالت لها إحدى الفتيات مستهزئة بها: «إننا لم نعد فى المدرسة الابتدائية يا «ميج»، فلماذا تتصرفين دومًا كطفلة»؟!.

وفى طريق عودتها للمنزل وذراعاها مملوءتان بالكتب، ضايقها أحد الصبية بكلماته عن شقيقيها التوأم، فما كان منها إلا أن ألقت كتبها على جانب الطريق، واشتبكت معه بكل ما أوتيت من قوة فى معركة. وصلت المنزل وقد تمزق رداؤها، وأصابتها كدمة أسفل إحدى عينيها، وعندما وصلت للمنزل وجدت شقيقيها التوأم «ساندى» و«دينيس» قد عادا من مدرستهما قبلها بساعة، وعندما شاهدا ما حدث لها قالا بامتعاض: «دعينا لا نتشاجر إلا عند الضرورة».

قالت لنفسها فى تجهم: مُقصرة، أنا فعلاً كذلك وإن هذا ما سيقولونه عنى بعد ذلك، ليست أمى فقط بل هم، أتمنى لو أن أبى...

إلا أنها كانت لا تحتمل ذكر والدها دون أن تدمع عيناها، وكانت أمها هى الوحيدة التى تستطيع أن تتحدث عنه بصورة طبيعية، فتقول: «عندما يعود والدك...».

يعود من أين؟ ومتى؟ لابد أن أمها تعلم ما يقوله الناس، وكل تلك الشائعات الكاذبة التى تؤذيها كما تؤذى «ميج»، حتى وإن كانت لا تظهر أى انفعال خارجى وتقول لنفسها: «لماذا لا أستطيع أنا أيضًا إخفاءها؟ لماذا يجب علىَّ أن أظهر كل شىء؟».

وارتجت النافذة بقوة بسبب الرياح فجذبت غطاءها حولها وانكمشت فوق إحدى وسائدها، فى حين تثاءبت القطة الرمادية بجوارها، فظهر لسانها الوردى قبل أن تعود للنوم مرة أخرى.

كان الجميع نائمين عدا «ميج»، حتى شقيقها الصغير الغبى «تشارلز والاس»، الذى كان يملك قدرة غير مفهومة تساعده فى معرفة متى تكون مستيقظة وغير سعيدة، والذى كان يصعد السلم حتى الطابق العلوى على أطراف أصابعه فى كثير من الليالى، كان نائمًا.

كيف يستطيعون النوم، والمذياع يبث تحذيرات عن الأعاصير طوال اليوم؟! كيف يتركونها بالطابق العلوى فى السرير النحاسى المتهالك، وهم يعلمون أن سقف المنزل قد يطير من مكانه وينطلق فى سماء الليل الموحش ليسقط فى مكان لا يعلمه أحد؟

وازداد ارتعادها وهى تذكر ما سيقوله الجميع: «لقد طلبتِ النوم فى هذه الحجرة.. وقد سمحت لك ماما بذلك؛ لأنك الأكبر سنًّا..

إنه تشريف وليس عقابًا».

ولكنها قالت بصوت عالٍ: «ليس أثناء الإعصار، فهذا لا يُعد تشريفًا»، ثم أبعدت الغطاء عنها فانتبهت القطة ومدت جسدها فى تكاسل، ونظرت نحوها بعينين كبيرتين بريئتين.

فقالت «ميج»: «عودى للنوم سعيدة؛ لأنكِ مجرد قطة ولست وحشًا مثلى»، ونظرت لنفسها فى مرآة خزانة ملابسها ثم شكّلت بعضلات وجهها وجهًا مخيفًا، وهى تظهر أسنانها التى تغطيها دعائم التقويم، قبل أن تعيد نظارتها لموضعها بطريقة آلية وتمرر أصابعها بين خصلات شعرها البنىّ، لذلك وقفت على قدميها الخلفيتين فى وحشية قبل أن تتنهد بصوت مزعج يشبه صوت تلك الرياح التى فى الخارج.

كانت الألواح الخشبية لأرضية الغرفة باردة على قدميها، والرياح تنفذ من شقوق إطار النافذة رغم الحماية التى كان من المفترض أن يوفرها إطار صد الرياح، وسمعت الرياح وهى تئن فى المداخن، وفى الطابق السفلى سمعت صوت نباح «فورتينبراس» ذلك الكلب الأسود الضخم، لابد أنه خائف أيضًا، علامَ ينبح؟! لم ينبح «فورتينبراس» أبدًا بلا سبب.

تذكرت فجأة أنها عندما ذهبت لمكتب البريد لتسلم الرسائل، سمعت عن المتشرد الذى قيل إنه سرق اثنتى عشرة ملاءة من السيدة «بانكومب» زوجة الشرطى، ولم يمسكوا به، وربما كان يتجه الآن نحو منزل أسرة «مورى» المنعزل فى طريق خلفى، وربما يكون سعيه هذه المرة خلف شىء أكبر من الملاءات، ولم تهتم «ميج» كثيرًا بالأمر حينها؛ لأن مديرة مكتب البريد سألتها بابتسامة معسولة عمَّا إذا كانت قد جاءتها أخبار عن والدها مؤخرًا؟

غادرت حجرتها الصغيرة، واتخذت طريقها عبر ظلال الحجرة العلوية الرئيسية فاصطدمت بمنضدة تنس الطاولة، ثم قالت لنفسها: «ها هى كدمة فى فخذى».

ثم سارت نحو بيت الدمى القديم، فوجدت الحِصان الهزاز الخاص

بـ «تشارلز والاس» والقطارات الكهربية الخاصة بالتوأم، ثم اتجهت نحو دب كبير وسألته: «لماذا يحدث كل شىء لى؟».

وقفت عند أول درجة من درجات سلم الحجرة العلوية؛ لتنصت.. لم يكن هناك صوت قادم من غرفة «تشارلز والاس» على اليمين، وعلى اليسار لم يكن فى حجرة والديها، التى تنام فيها والدتها بمفردها، أى صوت.. فسارت على أطراف أصابعها نحو البهو، ثم نحو غرفة التوأم وهى تحرك نظارتها مرة أخرى كما لو كان ذلك سيساعدها لترى فى الظلام بشكل أفضل، كان «دينيس» يشخر و«ساندى» يغمغم بشىء ما عن لعبة «البيسبول» ولكن لم يكن التوأم يعانيان من أية مشكلة، وهما لم يكونا تلميذين من النوابغ، ولكنهما لم يكونا فاشلين أيضًا، فقد كانا يحصلان على درجات متوسطة وقد تكون مرتفعة أحيانًا، أو منخفضة أحيانًا أخرى. كذلك فقد كانا قويين ويركضان بسرعة جعلتهما عدّاءين فى المسابقات، وإن سرت نكات حول أى فرد من عائلة «مورى»، فإنهما لا يكونان ضمن المقصودين.

تركت حجرة التوأم، وهبطت السلم، وهى تحاول ألا تصدر أى صوت أثناء هبوطها الدرجة السابعة، وكان «فورتينبراس» قد توقف عن النباح، إذن فهو ليس المتشرد؛ لأن «فورت» لم يكن ليتوقف عن النباح، إذا كان أحد بالمكان.

ولكن، ماذا لو أتى هذا المتشرد؟ ماذا لو أن معه سكينًا؟ لا يوجد من يعيش بالقرب من هنا، ليسمع صرخاتنا، التى لن يهتم بها أحد على أية حال.

ثم قررت: «سأعد لنفسى كوبًا من الكاكاو لينعشنى، فحتى لو طار السقف، فعلى الأقل لن أطير معه».

وكان المطبخ لايزال مُضاءً، و«تشارلز والاس» جالسًا إلى المائدة يشرب الحليب، ويأكل بعض الخبز والمربى، وقد بدا صغيرًا وحيدًا وسط ذلك المطبخ الواسع ذى الطراز القديم.. فتى أشقر صغير يرتدى قميصًا أزرق باهتًا وقد ارتفعت قدماه عن الأرض بنحو ست بوصات، ثم قال فى مرح: «مرحبًا، لقد كنت فى انتظارك».

ومن أسفل المنضدة، حيث كان يرقد «فورتينبراس» طامعًا فى كِسرة خبز، دفع رأسه الأسود الصغير نحو «ميج»؛ لتحيتها وكان «فورتينبراس» قد وصل لمنزلهم وهو جروٌ صغيرٌ نحيف، ضال فى إحدى ليالى الشتاء، وقال والد «ميج» إنه خليط من سلالتى ليولين وجرييهوند وإن كان يتمتع بجمال فريد.

وسألت «ميج» شقيقها: «لماذا لم تأت للطابقِ العلوى؟ لقد كنت خائفة!».

كانت تتحدث معه كما لو كان فى مثل عمرها.

فقال الصبى الصغير: «إن الجو عاصف فى حجرتك وكنت أعلم أنك ستأتين فوضعت بعض الحليب لكِ على الموقد وأظنه قد أصبح ساخنًا الآن».

كيف يعرف «تشارلز والاس» كل شىء عنها؟ كيف يعرف دائمًا ما ستفعله؟

إنه لم يعرف مطلقًا أو حتى لم يبدُ عليه الاهتمام بما يفكر فيه «دينيس» أو «ساندى»، ولكنه كان يعرف ما يدور فى عقل «ميج» وأمه بدقة مخيفة.

هل كان ذلك بسبب خوف الناس منه، لدرجة أنهم يتهامسون عن أصغر أطفال عائلة «مورى»، وما يشيعونه عنه بأنه ليس ذكيًّا؟ لقد سمعتهم «ميج» ذات مرة يقولون: «إن الأذكياء غالبًا ما يكون لهم أطفال، ذكاؤهم

دون المستوى العادى، إن التوأم لطيفان ولكن هذه الفتاة غير جذابة، وذلك الطفل الصغير بالتأكيد ليس كذلك».

صحيح أن «تشارلز ولاس» كان نادرًا ما يتكلم فى وجود أحد، ولذلك ظن الكثيرون أنه لم يتعلم الكلام، وقد كان صحيحًا أنه لم يتحدث حتى وصل لسن الرابعة، وكانت «ميج» تجن وتغضب حينما ينظر الناس نحوه ويهزون رءوسهم فى حزن.

وذات مرة قال لها والدها: «لا تقلقى بشأن «تشارلز والاس» يا «ميج»، وكانت «ميج» تذكر ذلك جيدًا؛ لأنه كان قبل تركه المنزل مباشرة.. إن عقله بخير، وكل ما فى الأمر أنه يقوم بكل شىء بطريقته الخاصة وفى الوقت الذى يناسبه.

فقالت «ميج»: «أنا لا أريده أن يكبر ويصبح غبيًّا مثلى».

فقال أبوها: «عزيزتى أنتِ، لستِ غبية، إنك مثل «تشارلز والاس» ونموك سيسير بشكل طبيعى، وكل ما فى الأمر أنه لا يسير حسب المعتاد».

تساءلت«ميج»: «وكيف تعرف؟ كيف تعرف أننى لست غبية؟ هل لأنك تحبنى فقط؟».

ـ « أنا أحبك، ولكن ليس هذا سبب معرفتى، هل تعلمين أننى أنا وأمك قد أجرينا عليك بعض الاختبارات؟».

نعم، كان هذا حقيقيًّا.

وتذكرت «ميج» بعض الألعاب التى كان والداها يمارسانها معها، فعرفت أنها كانت اختبارات من نوع ما، وكان هناك المزيد لها ولـ«تشارلز» أكثر من التوأمين، فقالت: «هل تقصد اختبارات مستوى الذكاء؟».

- «نعم، بعضها».

- «وهل مستوى ذكائى بخير؟».

- «بل أكثر من ذلك».

- «ما معنى هذا؟».

- «هذا ما لن أخبرك به، ولكنه يؤكد لى أنكِ و«تشارلز والاس» ستقومان بعمل ما تريدان حينما تكبران. فقط انتظرى حتى يبدأ «تشارلز والاس» فى الكلام وسترين».

وكم كان محقًّا، رغم أنه ترك المنزل قبل أن يبدأ «تشارلز والاس» فى الكلام، وفجأة دون أن يناغى مثل الأطفال استخدم جملة كاملة، كم كان سيصبح فخورًا به!

قال «تشارلز والاس» فى جملة سليمة تمامًا مقارنة بمن هم فى مثل عمره: «من الأفضل أن تراقبى الحليب، فأنتِ لا تحبينه عندما تكون هناك قشرة دهنية على سطحه!».

قالت «ميج» وهى تنظر فى الإناء: «ولكنك وضعت الكثير».

أومأ «تشارلز والاس» قائلاً: «لقد ظننت أن أمى قد ترغب فى البعض».

قالت أمهم: «أرغب فى ماذا؟».

أجابها «تشارلز والاس»: «مشروب الكاكاو، هل ترغبين فى شطائر الجبن مع السجق المحشو بالكبدة، سأسعد بإعداد واحدة لك».

قالت السيدة «مورى»: «سيكون ذلك لطيفًا، ولكننى أستطيع أن أعده بنفسى إن كنت مشغولاً».

ولكن «تشارلز والاس» قال: «لا مشكلة على الإطلاق» وانزلق من

مقعده ثم اتجه نحو الثلاجة، كانت أرجل بيچامته محشوة بمادة ناعمة مثل القطط الصغيرة، وهو يتساءل: «وأنت يا «ميج»؟ هل ترغبين فى واحدة؟».

قالت: «نعم، لكن لا أريد «سجق» محشوًّا بالكبدة والجبن. هل يوجد لدينا طماطم؟».

أخذ «والاس» يبحث فى درج الثلاجة ثم قال: «واحدة فقط، هل أضعها فى شطيرة لـ «ميج» يا أمى؟».

أجابت الأم مبتسمة: «وأى استخدام سيكون أفضل من ذلك؟ ولكن دون ضوضاء من فضلك يا «تشارلز»، إلا إذا كنت تريد أن يهبط التوأم إلى هنا أيضًا».

فقال «تشارلز والاس»: «حسنًا، دعونا نكون متميزين».. هذه كلمتى الجديدة اليوم، مؤثرة.. أليس كذلك؟

قالت السيدة «مورى»: فظيع، تعالى يا «ميج»، دعينى أرى هذه الكدمة.

وهبطت «ميج» عند قدمى أمها، وقد جعلها ضوء ودفء المطبخ أكثر هدوءًا مما أذهب مخاوفها من حجرتها العلوية، وكان البخار المتصاعد من إناء إعداد مشروب الشيكولاتة قد تكاثف على زجاج النوافذ وتفتحت زهور الأقحوان فى وسط المائدة التى أحاطت بها ستائر حمراء ذات أشكال هندسية خضراء وزرقاء وأضفت بهجة على المكان، فى حين كان الفرن يهر مثل حيوان كبير نائم، والأضواء تتوهج فى شعاع ثابت، بالخارج وحيدة فى الظلام. فى الخارج كانت الرياح لاتزال تضرب المنزل، ولكن تلك القوة الغاضبة التى أخافت «ميج» فى حجرتها قد قلت الآن بسبب الراحة والألفة التى كانت فى المطبخ، وتحت مقعد السيدة «مورى» كان «فورتينبراس» يتثاءب فى سعادة.

لمست السيدة «مورى» وجنة «ميج» المتورمة برقة، فنظرت «ميج» نحوها نظرة هى مزيج من الحب والإعجاب والغضب، فلم يكن شيئًا طيبًا أن تكون أم الإنسان عالمة وجميلة فى ذات الوقت، فقد كانت السيدة «مورى» ذات شعر أحمر متوهج وبشرة بيضاء ولها عينان بنفسجيتان واسعتان ورموش داكنة طويلة، فبدت مثيرة للإعجاب مقارنة بقُبح «ميج» الواضح، فقد كان شعر «ميج» شبه ناعم حينما كانت تجدله فى ضفيرة وعندما التحقت بالمدرسة الثانوية قصّته، والآن تحاول هى وأمها دومًا فرده، ولكن نصفه يبدو مجعدًا، فى حين يبدو النصف الآخر ناعمًا، لذلك بدت أكثر قبحًا عن ذى قبل.

سألتها السيدة «مورى»: أنت لا تعرفين معنى الاعتدال، أليس كذلك يا عزيزتى؟! إن الحلول الوسط شىء من العجب أن بإمكانك تعلمه.

إنها كدمة شديدة تلك التى سببها لك الصبى «هندرسون»، بالمناسبة فقد اتصلت والدته؛ لتشكو مما لحق بولدها من أذى على يديك، فقلت لها من الأحرَى أن أشكو أنا، بما أنه أكبر منها بسنة، ووزنه أثقل بحوالى خمسة وعشرين رطلاً.

قالت «ميج» : «أظن أن ذلك يتوقف على نظرتك للأمر، فعادة مهما كان الأمر فالناس تظن دائمًا أنه خطئى، حتى ولو لم يكن لى علاقة بالأمر كله، ولكننى آسفة؛ لأننى حاولت أن أشتبك معه فى عراك، لقد كان أسبوعًا فظيعًا وتملؤنى الأحاسيس السيئة»..

ربتت الأم على رأس ابنتها قائلة: «هل تعرفين السبب؟».

قالت «ميج» : «أنا أكره كونى غريبة الأطوار، وهو أمر يصعب على

«ساندى» و«دينيس» كذلك، فأنا لا أعرف إن كانا فعلاً مثل أى شخص آخر، أو إذا كانا قادرين على التظاهر بأنهما كذلك.. أنا أحاول التظاهر ولكن دون جدوى».

قالت السيدة «مورى»: «أنت صريحة للغاية، وهو ما يجعلك غير قادرة على التظاهر بما ليس فيكِ، أنا آسفة يا «ميج» ربما لو كان والدك هنا لاستطاع مساعدتك، ولكن أنا لا أظن أننى سأستطيع عمل أى شىء حتى يمر بعض الوقت، وحينئذ ستكون الأمور أكثر سهولة عليك، ولكن هذا غير مجدٍ الآن، أليس كذلك؟».

ـ «ربما لو لم يكن مظهرى منفرًا هكذا.. ربما لو كنت جميلة مثلك..».

قال «تشارلز والاس» وهو يقطع الشطيرة إلى شرائح: «إن أمى جميلة بالفعل ولهذا فأنا أراهن أنها كانت بشعة وهى فى مثل عمرك».

قالت الأم: «أنت محق فيما تقول، امنحى نفسك بعض الوقت يا «ميج»..».

تساءل «تشارلز»: «هل ترغبين فى بعض الخس مع شطيرتك يا أمى؟».

ـ «لا، شكرًا».

قطع الشطيرة إلى قطع ووضعها على طبق، ثم قدمها لأمه قائلاً:

«ستكون شطيرتك جاهزة خلال دقيقة واحدة يا «ميج»، وأظن أننى سأتحدث مع السيدة «واتست» عنك».

تساءلت «ميج» : «ومَنْ هى السيدة «واتست»؟».

قال «تشارلز والاس»: «أظننى أحتاج لشىء من الخصوصية بهذا الشأن» هل تريدين ملح البصل؟

ـ نعم، من فضلك.

تساءلت السيدة «مورى»: «ماذا تقصد بالسيدة «واتست»؟».

أجاب «تشارلز والاس»: «إنه اسمها، هل تعرفين ذلك المنزل الخشبى القديم الموجود فى الغابة الذى يخشى الصغار الاقتراب منه، ويقولون إنه مسكون؟ إنه المكان الذى يعيشون فيه».

ـ «هم؟!».

ـ «السيدة «واتست» وصديقتاها، فقد كنت بالخارج مع «فورتينبراس» منذ يومين، حينما كنتِ أنتِ والتوأم فى المدرسة يا «ميج»، فنحن نرغب فى السير فى الغابة.. وفجأة انطلق «فورتينبراس» خلف سنجاب، وانطلقتُ خلفه وانتهى بنا الركض عند المنزل المسكون، فقابلتهن بالمصادفة كما قد تقولين».

قالت «ميج» : «ولكن لا أحد يعيش هناك».

ـ «السيدة «واتست» وصديقتاها يعشن هناك». ـ فهن ظرفاء للغاية.

تساءلت السيدة «مورى»: «لماذا لم تخبرنى عن ذلك من قبل؟ وأنت تعرف أنه لا ينبغى لك الخروج من المنزل دون إذن يا «تشارلز»؟».

قال «تشارلز»: «أعرف، وهذا أحد الأسباب التى منعتنى أن أخبرك، لقد هرعت خلف «فورتينبراس» دون تفكير، وبعدها قررت أن... حسنًا من الأفضل أن أدخر هذا للطوارئ على أى حال».

وهبت الرياح مرة أخرى ليرتج المنزل قبل أن تبدأ الأمطار فى الهطول وتضرب النوافذ.

فقالت «ميج» فى عصبية: «أنا لا أحب هذه الرياح».

قالت السيدة «مورى» : «بالتأكيد، سنفقد بعض أخشاب السقف،

ولكن هذا المنزل صمد مائتى عام، وأظن أن عمره سيمتد قليلاً، وقد هبت عواصف كثيرة على هذا التل يا «ميج»..».

صاحت «ميج»: «ولكن هذا إعصار، لقد ظل المذياع يعلن عن ذلك».

أخبرتها السيدة «مورى» قائلة: «نحن الآن فى شهر أكتوبر، وقد هبت عواصف فى أكتوبر من قبل».

وعندما قدم «تشارلز» لـ «ميج» شطيرتها خرج «فورتينبراس» من تحت المائدة ليزمجر زمجرة طويلة بصوت منخفض واستطاعوا رؤية شعر ظهره وهو يقف بوضوح، شعرت «ميج» بوخز فى جلدها.

وتساءلت فى قلق: «ما الأمر؟».

حدَّق «فورتينبراس» فى الباب المؤدى إلى معمل السيدة «مورى»، الذى كان فى الحائط القديم بعيدًا عن المطبخ. خلف المعمل كانت هناك غرفة تخزين تؤدى للخارج، وقد فعلت السيدة «مورى» أقصى ما تستطيع؛ لتجعل أفراد العائلة يدخلون المنزل عبر باب الجراچ، أو الباب الأمامى وليس عبر معملها، لكن «فورتينبراس» كان ينبح تجاه باب المعمل وليس باب الجراچ.

فتساءل «تشارلز»: «هل تركتِ أى بقايا مواد كيميائية ذات رائحة نفاذة فوق موقد بنزن(*) فى المعمل يا أمى؟».

نهضت الأم قائلة : «لا، ولكن من الأفضل أن أذهب؛ لأرى ما يضايق «فورت» على أى حال».

قالت «ميج» فى عصبية: «إنه المتشرد.. أنا واثقة أنه المتشرد».

(*) موقد بنزن: موقد غازى يشعل لهبًا بدون دخان، وهو يستخدم فى المعامل؛ نسبة إلى الكيميائى الألمانى «روبرت ويلهلم بنزن».

تساءل «تشارلز» : «أى متشرد؟».

- «يقولون فى مكتب البريد إن متسولا قد سرق ملاءات السيدة «بانكومب».

قالت السيدة «مورى» فى لطف: «من الأفضل أن نجلس على أكياس الوسائدإذًا»، لا أظن أن هناك متسولا يمكن أن يخرج فى ليلة كهذه يا «ميج».

صاحت «ميج»: «ربما هو فى الخارج لهذا السبب، يحاول أن يجد مكانًا لكن ليس بالخارج».

قالت السيدة «مورى» وهى تتجه بسرعة نحو الباب: «فى حالة مثل هذه، سأسمح له بالبقاء فى الإسطبل حتى الصباح».

فقالت «ميج» بصوت حاد: «سأذهب معكِ».

- «لا يا «ميج» ابقى مع «تشارلز» وتناولى شطيرتك».

صرخت «ميج» وهى تراقب السيدة «مورى» تخرج من المعمل: «آكل؟ كيف تتوقع أن آكل؟».

قال «تشارلز»: تستطيع أمى الاهتمام بنفسها، فهى قوية البنية، ثم جلس على مقعد والده على المنضدة وأخذ يركل سداسة المقعد بقدميه، كان «تشارلز والاس» على عكس جميع الأطفال الصغار، فقد كان لديه القدرة أن يظل جالسًا بدون حراك.

وبعد دقائق ــ مرت على «ميج» كدهر كامل ــ عادت السيدة «مورى» وهى تمسك بالباب مفتوحًا... هل هذا هو المتشرد؟ بدا ضئيلاً عن الصورة التى رسمتها «ميج» فى ذهنها عن متشرد.. كان من المستحيل تحديد

عمره، وهل هو رجل أم امرأة، نظرًا لكونه مغطى تمامًا بالملابس، ورأسه ملفوف بعدة أوشحة متجانسة الألوان، وفوق رأسه قبعة رجالى مصنوعة من الجوخ.

ـ قميص وردى فظيع مغلق الأزرار، ومعطف رث، وحذاء أسود مطاطى ذو رقبة طويلة يغطى القدمين.

قال «تشارلز» فى شك: « السيدة «واتست»، ماذا تفعلين هنا؟ وفى هذا الوقت من الليل؟!».

قال بصوت مثل صرير الباب ـ وبشكل ما كان كريهًا ـ من خلف كل هذه الملابس: «لا داعى للقلق يا عزيزى» ثم قالت السيدة «مورى»: «إن السيدة.. إيه.. «واتست».. تقول... إنها... إنها... ضلت طريقها، هل... هل ترغبين فى كاكاو ساخن يا سيدتى؟».

أجابتها السيدة «واتست» وهى تخلع قبعتها والشال: بالتأكيد، كل ما فى الأمر أننى ضللت طريقى وسط هذه العاصفة، وعندما لاحظت أننى قرب منزل «تشارلز والاس» الصغير ظننت أننى أستطيع الدخول؛ لأنال قسطًا من الراحة قبل أن أستكمل طريقى».

تساءلت «ميج»: «وكيف عرفتِ أن هذا هو منزل «تشارلز والاس»؟».

أجابتها السيدة «واتست» قائلة: «من الرائحة»، ثم حلت غطاء رأس منقوشة عليه رسوم زهور حمراء وصفراء ومنديل كبير مزدان باللونين الأحمر والأسود، وتحت كل هذا كميات متفرقة من شعر رمادى عقصته فوق رأسها. كانت عيناها لامعتين، وأنفها مستديرًا وفمها كبيرًا مثل تفاحة الخريف وقالت: «إن الجو دافئ هنا».

قدمت السيدة «مورى» مقعدًا لها قائلة: «تفضلى بالجلوس، هل ترغبين فى تناول شطيرة يا سيدة «واتست»؟ هناك واحدة من السجق المحشو بالكبدة والجبن جاهزة لى، وكان مع «تشارلز» خبز ومربى وخس وطماطم لـ «ميج».

نظرت السيدة «واتست» حولها ثم قالت: «حسنًا، دعونى أرى، فى الحقيقة أنا مغرمة بالكافيار الروسى».

فقال «تشارلز» وقد اختلست النظر إليه: «إننا ندخره لعيد ميلاد أمى ولا يمكن إعطاؤك منه».

أطلقت السيدة «واتست» زفرة عميقة ومثيرة للأشجان.

فعاد «تشارلز» يقول: «لا... لا يجب أن تعطيها يا أمى، وإلا فسأغضب بشدة، ماذا عن سلطة سمك التونة؟».

فقالت السيدة «واتست» بهدوء: «حسنًا».

قالت «ميج»: سأتولى هذا الموضوع، واتجهت لتبحث عن إحدى عبوات سمك التونة فى مكان تخزين الأطعمة وهى تقول: «سأعدّها».

وراحت تفكر فى تلك السيدة التى اقتحمت منزلهم فى منتصف الليل، ولم تفكر والدتها فى غرابة الأمر، أنا واثقة أنها متشردة، وأراهن أنها سرقت تلك الملاءات ولا يصح أن تكون بينها وبين «تشارلز والاس» صداقة، خاصة أنه لا يتحدث مع الناس العاديين.

«لقد انتقلت للعيش هنا منذ فترة قصيرة»، كانت السيدة «واتست» تقول ذلك أثناء إغلاق «ميج» لمصباح المخزن وعودتها إلى المطبخ حاملة علبة سمك التونة، ولم أظن أننى سأحب الجيران مختنقًا، حتى أتى العزيز «تشارلز» مع كلبه».

تساءل «تشارلز والاس» فى حدة: «سيدة «واتست»، لماذا أخذتِ ملاءات السيدة «بانكومب»؟».

ـ «حسنًا، لقد احتجت إليها يا عزيزى «تشارلى»..».

ـ «يجب أن تعيديها على الفور».

ـ «ولكننى لا أستطيع يا عزيزى «تشارلز»، فلقد استخدمتها».

ـ وبَّخها «تشارلز والاس» «لقد كان هذا خطأً جسيمًا منكِ، لو كنت تحتاجين للملاءات بهذه الصورة العاجلة، فكان عليك أن تطلبى منى».

ـ هزت السيدة «واتست» رأسها قائلة: «أنت لا تستطيع الاستغناء عن أى ملاءة، ولكن السيدة «بانكومب» تستطيع».

فقطعت «ميج» بعض أعواد الكرفس، وخلطتها مع التونة.

بعد لحظات من التردد، فتحت «ميج» باب الثلاجة وأحضرت برطمانًا به خيار مخلل، وهى تسأل نفسها: «لماذا أعد ذلك لها، أنا لا أعرف.. قالت فى نفسها وهى تقطع المحتويات: أنا لا أثق بها مطلقًا».

قالت السيدة «واتست» لـ «تشارلز»: «أخبر شقيقتك أنه لا خوف منى، وأن نيتى حسنة».

فقال: «تشارلز» مرتلاً: «الطريق للجحيم ممهد بالنيات الحسنة».

يا للعجب، لكن أليس ماكرًا. حدقت فيه بحنان، ثم قالت: من حسن الحظ أنه وجد من يفهمه.

قالت السيدة «مورى»: «لا أظن ذلك، فلا أحد منا مثل «تشارلز»..».

أومأت برأسها متابعةً: «لكن، على الأقل، لا تحاولوا التقليل من شأنه. واتركوه ليكون نفسه!».

قالت «ميج» وهى تقدم السلطة للسيدة «واتست»: «ها هى شطيرتك».

تساءلت السيدة «واتست»: «هل تمانعون أن أخلع حذائى قبل أن أتناول الطعام؟» وهى ممسكة بشطيرتها رغم ذلك.

ثم قالت: «اسمعوا» ـ وحركت قدمها داخل الحذاء، فسمعوا صوت الماء به قبل أن تقول: «أصابعى تؤلمنى، فهذا الحذاء صغير بالنسبة لى والمشكلة أننى لا أستطيع خلعه بنفسى».

فقال «تشارلز» :«سأساعدك».

ـ «ليس أنت، فأنت لست قويًا بما يكفى».

فقالت السيدة «مورى»: «سأحاول»، وانحنت عند قدمى السيدة «واتست» وعندما خلعت الحذاء فجأة، تراجعت السيدة «واتست» بمقعدها للخلف وتعلقت الشطيرة فى أصبعها، قبل أن ينسكب الماء الذى كان بالحذاء على سجادة المطبخ الكبيرة المزركشة، وسقطت السيدة «واتست» على ظهرها، وارتفعت قدماها فى الهواء، واحدة داخل جورب مخطط أبيض وأحمر، والأخرى لاتزال فى الحذاء، ثم وقفت السيدة «مورى» على قدميها متساءلة:

«هل أنت بخير يا سيدة «واتست»؟».

ردت السيدة «واتست» وهى لاتزال على ظهرها: «لو أن لديك بعض المرهم لأضعه على كرامتى».

ـ «أعتقد أن قدمى التْوت، سيكون بعض زيت القرنفل مع الثوم مفيدًا».

ثم قضمت قضمة كبيرة من الشطيرة.

قال «تشارلز»: «انهضى من فضلك، فلا أحب أن أراكِ راقدة بهذه الصورة»، إنك تحمّلين الأمر أكثر مما يحتمل.

قالت السيدة «واتست»: «هل جربت أن تنهض فى سرعة، وكرامتك مجروحة».

ولكن السيدة «واتست» نهضت، وأعادت المقعد، ثم جلست على الأرض وقدمها التى لاتزال بالحذاء ممدودة أمامها، ثم تناولت قضمة أخرى، لقد تحركت برشاقة غريبة على سيدة عجوز مثلها، فعلى الأقل كانت «ميج» واثقة أنها عجوز، بل عجوز جدًّا على ذلك.

ومن مكانها قالت السيدة «واتست» بلهجة آمرة للسيدة «مورى»: «والآن، اجذبى وأنا هكذا».

وبهدوء تام كما لو كان الأمر عاديًا تمامًا، جذبت السيدة «مورى» الحذاء ليكشف عن جورب أسكتلندى هندسى الشكل ذى لونين «أزرق ورمادى»، وجلست السيدة «واتست» هناك تحرك أصابعها فى سعادة وهى تتناول طعامها قبل أن تزحف على قدميها حتى قالت: «آه.. هذا أفضل كثيرًا، وأخذت حذاءها وأفرغته من الماء، معدتى ممتلئة، وأشعر بالدفء من داخلى، ومن حولى، لقد حان وقت العودة للمنزل».

سألت السيدة «مورى»: «ألا تظنين أنه من الأفضل أن تبقى حتى الصباح؟».

- «شكرًا يا عزيزتى، ولكن لدى الكثير لأقوم به، ولا أستطيع أن أضيّع وقتى هباءً».

- «إنها ليلة موحشة جدًّا ولا يصح السفر فيها».

فقالت السيدة «واتست»: «إن الليالى الموحشة هى محل اعتزازى».

- «حسنًا.. على الأقل حتى تجف جواربك».

- «الجوارب المبتلة لا تضايقنى، لقد أزعجتنى المياه التى كانت فى

الحذاء فلا تقلقى بشأنى أيتها الوديعة»، ولم تكن كلمة «وديعة» كلمة اعتاد أى أحد على مخاطبة السيدة «مورى» بها، «سأجلس لدقيقة وأرتدى حذائى، ثم أذهب فى طريقى.. بالمناسبة، هناك شىء يسمى البُعد التناظرى الرابع لمكعب».

شحب وجه السيدة «مورى» بشدة، وأمسكت المقعد بيد واحدة؛ لتحفظ توازنها، وارتعش صوتها وهى تتساءل: ماذا قلتِ؟

ارتدت السيدة «واتست» الفردة الثانية من حذائها، قائلة وقد نخرت مثل الخنزير وضربت الأرض بقدمها: هذا هو، يدق، مثل هذا الشىء، إنه يدق مثل البعد التناظرى الرابع لمكعب، ثم وضعت قدمها فى الحذاء ذى الرقبة، وجذبت الشال والوشاح والقبعة ثم اندفعت بقوة خارجة من الباب.

ظلت السيدة «مورى» فى حالة سكون تام، ولم تتحرك لمساعدة المرأة العجوز.

عندما انفتح الباب اندفع «فورتينبراس» داخلاً، وهو مبتل وجسمه يلمع مثل الفقمة.

نظر إلى السيدة «مورى» ثم أغلق الباب بشدة.

صرخت «ميج» قائلة: «ماذا حدث يا أمى؟ ماذا قالت؟ ما الأمر؟».

همست السيدة «مورى»: «إنه البعد التناظرى الرابع لمكعب، ماذا كانت تقصد؟ ماذا عساها أن تعرف؟».

2 السيدة «هُـو»

عندما استيقظت «ميج» على صوت المنبه، كانت الرياح لاتزال تهب، لكن الشمس كانت مشرقة، وانتهى أسوأ ما فى العاصفة.. نهضت من السرير وأخذت تهز رأسها؛ لتفيق.

لابد أنه كان حلمًا، كانت خائفة من العاصفة، وقلقة بسبب المتشرد، ولهذا فقد حلمت لتوها بالهبوط للمطبخ ومشاهدتها للسيدة «واتست» التى نطقت بكلمة أثارت ذعر أمها.. ماذا كانت هذه الكلمة؟!... ماذا كانت؟

ارتدت ملابسها فى سرعة، وحملت القطة الصغيرة التى كانت لا تزال

راقدة على الفراش، فتثاءبت الهرة، وفردت جسمها ثم ماءت فى ضعف، وأسرعت بالخروج من الغرفة العلوية، ثم هبطت الدرج.. رتبت «ميج» فراشها وأسرعت خلفها.. فى المطبخ كانت أمها تعد شرائح الخبز الفرنسية، والتوأم جالسين إلى المائدة والهرة تلعق اللبن من صحن.

وتساءلت «ميج» أين «تشارلز»؟

ـ «مازال نائمًا، لقد كانت ليلة مزعجة لو تذكرين».

قالت «ميج»: ليته كان حلمًا.

وبحرص وضعت أمها أربع شرائح من الخبز الفرنسى، ثم قالت بصوت ثابت: «لا يا «ميج»..» لا تأملى أن يكون حُلمًا، أنا لا أفهم الأمر أكثر منك ولكن تعلمت ألا أقبل الأشياء كما هى، أنا آسفة؛ لأننى جعلتك تلاحظين أننى متضايقة، لقد اعتدنا ـ والدك وأنا ـ على مداعبة بعضنا البعض بالحديث عن البعد التناظرى الرابع لمكعب.

تساءلت «ميج»: وما هو البعد التناظرى الرابع لمكعب؟

أجابت السيدة «مورى» وهى تقدم الشراب للتوأم: «إنه تصوُّر، سأحاول تفسير الأمر لك فيما بعد، فليس هناك متسع من الوقت قبل المدرسة».

قال «دينيس»: «أنا لا أفهم، لماذا لم توقظونا؟».

«فمن المؤسف أن يفوتنا كل هذا المرح».

أخذت «ميج» خبزها للمائدة، وهى تقول: «ستكون أكثر يقظة منى فى المدرسة اليوم».

وبعد أن أخذت «ميج» شرائح الخبز الفرنسية إلى المائدة.

قال «ساندى»: «ومن يهتم؟ لقد سمحتم لمتسولة عجوز أن تدخل المنزل فى منتصف الليل، فكان لابد أن أكون أنا و«دين» حاضرين لحمايتكم».

وأضاف «دينيس»: «فى الواقع هذا ما يتوقعه أبى منا».

قال «ساندى»: «إننا نعرف أن لكِ عقلاً راجحًا يا أمى، ولكنك لا تحسنين التصرف فى تلك الأمور، وكذلك «ميج» و«تشارلز»».

أعلم، نحن متأخرون ذهنيًّا. كانت «ميج» تشعر بمرارة.

أتمنى لو لم تكونى مغفلة هكذا، الشراب من فضلك يا «ميج». يجب ألا تأخذى كل شىء بشكل شخصى، استخدمى الحل الوسط لأجل السماء، أنت تتصرفين بحمق فى المدرسة، وتنظرين من النافذة غير مكترثة بأى شىء.

قال «دينيس» : «إنكِ تُصعِّبين الأمور على نفسك، كذلك فسيواجه «تشارلز والاس» وقتًا عصيبًا عندما يذهب للمدرسة العام القادم، إننا نعلم أنه ذكى، ولكنه يكون مثيرًا للضحك عندما يظهر وسط الناس، فقد اعتادوا جميعًا على اعتباره أبكم، ولا أعرف ما سيحدث له، سننتقم أنا و«ساندى» من أى أحد يضايقه، ولكن هذا أقصى ما نستطيع عمله».

قالت السيدة «مورى»: «دعونا لا نُقلق أنفسنا بالعام القادم حتى يمر هذا العام، هل ترغبون فى مزيد من شرائح الخبز الفرنسية يا أولاد؟».

* * *

كانت «ميج» مجهدة فى المدرسة، وجفناها ثقيلين، وذهنها شاردًا. وفى درس الدراسات الاجتماعية طلبت منها المعلمة أن تذكر أهم الواردات والصادرات فى نيكاراجوا، ورغم مراجعتها لها فى الليلة السابقة فإنها لم تستطع تذكُّر أىّ منها، فسخرت منها المعلمة، وضحك باقى الفصل، فأسرعت لمقعدها فى غضب مغمغمة : «من يهتم بمعرفة واردات نيكاراجوا وصادراتها؟».

فقالت المعلمة: «إذا كنتِ ستتصرفين بوقاحة يا «مارجريت»، فمن الأفضل أن تغادرى الفصل».

صاحت «ميج» فجأة: «حسنًا.. سأفعل».
أثناء الدرس استدعاها المدير فى لطف: «ما المشكلة الآن يا «ميج»؟».
نظرت «ميج» نحو الأرض مجيبة: «لا شىء يا سيد «جينكس»..».
ـ لقد أخبرتنى الأستاذة «بورتر» أنك تصرفتِ معها بوقاحة لا تُغتفر.
انتحبت «ميج»، فقال المدير: «ألا تدركين أنك بطريقتك هذه تُصعِّبين الأمور على نفسك؟ أنا مقتنع يا «ميج» بأنك تستطيعين العمل واللحاق بصفك الدراسى لو أنكِ بدأتِ بنفسك، ولكن بعض المعلمين غير مقتنعين بذلك، ولابد أن تفعلى شيئا ما لنفسك، فلا أحد سيستطيع عمل شىء لك وكانت «ميج» ملتزمة الصمت..
حسنًا.. ما رأيك؟ يا «ميج»..».
قالت «ميج» : «لا أدرى ماذا أفعل».
ـ أول شىء يمكنك عمله هو واجباتك المدرسية، ألا تساعدك والدتك؟
ـ «إذا طلبت منها».
سألها الأستاذ «جينكس»: ««ميج»، هل هناك ما يضايقك؟ هل أنت غير سعيدة بالمنزل؟».
أخيرًا، نظرت «ميج» نحوه وكعادتها دفعت نظارتها للخلف، ثم قالت: «كل شىء بالمنزل على ما يرام».
ـ أنا سعيد لسماع ذلك، ولكننى أعرف أن ابتعاد والدك يصعِّب الكثير من الأمور.
نظرت «ميج» نحو المدير فى حذر وحركت بلسانها معدن تقويم الأسنان.
عاد يقول: «هل وصلتكم أية أنباء منه مؤخرًا؟».
كانت «ميج» واثقة أنه ليس خيالها هو الذى جعلها تشعر بأن هناك فضولاً شديدًا خلف اهتمام الأستاذ «جينكس» الظاهرى، ثم قالت

لنفسها أنا لا أعرف شيئًا وحتى لو كنت أعرف فسيكون آخر شخص أخبره.. حسنًا.. من آخر الأشخاص الذين سأخبرهم.

ولابد أن مديرة مكتب البريد كانت تعرف أن آخر خطاب وصل من والدى كان منذ عام تقريبًا، ويعلم الله كم عدد الناس الذين أخبرتهم بذلك، أو أية تخمينات سيئة قد نسجتها؛ كسبب لهذا الصمت الطويل.

وانتظر السيد «جينكس» الإجابة ولكن كل ما فعلته «ميج» هو أنها راحت تهز كتفيها.

ثم تساءل الأستاذ «جينكس» : «حسنًا، ماذا كان عمل والدك؟ أظنه كان عالمًا.. أليس كذلك؟».

أجابت «ميج» فى ضيق: «إنه عالم فيزيائى».

كشفت «ميج» عن أسنانها؛ لتظهر دعاماتها.

ـ «ألا ترين يا «ميج» أنك تستطيعين موازنة حياتك إذا واجهتِ الحقائق؟».

أجابت «ميج»: «أنا أواجه الحقائق فعلاً، ويمكننى أن أقول إن مواجهة الحقائق أهون كثيرًا من مواجهة الناس».

ـ «إذًا، لماذا لا تواجهين الحقائق بشأن والدك؟».

صاحت «ميج»: «أرجو أن تبعد أبى عن الأمر».

قال الأستاذ «جينكس» فى حدة: «كفى عن الصياح، هل ترغبين فى أن تسمع المدرسة كلها؟».

تساءلت «ميج»: «وماذا فى ذلك؟ أنا لا أخجل من أى شىء أقوله، هل تخجل أنت؟».

زفر الأستاذ «جينكس» متسائلاً: «هل تستمتعين بكونك أعنف التلاميذ وأقلهم تعاونًا مع المدرسة؟».

تجاهلت «ميج» هذا، ومالت على المكتب المواجه للمدير قائلة: «أستاذ «جينكس»، لقد قابلت والدتى.. أليس كذلك؟ ولا تستطيع اتهامها بأنها لا تواجه الحقائق.. أليس كذلك؟ إنها عالمة وحاصلة على الدكتوراه فى الأحياء وعلم الكائنات الدقيقة، وعملها قائم على الحقائق وعندما تخبرنى أن والدى لن يعود للمنزل فسأصدقها، ومادامت تقول إنه سيعود للمنزل فأنا أصدقها».

زفر الأستاذ «جينكس» مرة أخرى قائلاً: «لاشك أن والدتك تريد أن تصدق أن والدك سيعود يا «ميج»، حسنًا أنا لا أستطيع أن أفعل أى شىء لكِ غير هذا، عودى لبهو الدراسة وحاولى أن تكونى أقل عدوانية، ربما يتحسن عملك إذا كان موقفك العام أكثر مرونة».

* * *

عندما عادت «ميج» للمنزل من المدرسة كانت والدتها فى المعمل، وكان التوأم فى دورة رياضية للصغار، و«تشارلز والاس» والقط الصغير و«فورتينبراس» فى انتظارها وقفز «فورتينبراس»؛ ليضع قوائمه الأمامية على كتفيها؛ ليقبلها، فى حين أسرع القط إلى طبقه الخالى وهو يموء بصوت مرتفع.

قال «تشارلز والاس»: «هيا.. دعينا نذهب».

تساءلت «ميج»: «إلى أين؟ أنا جائعة يا «تشارلز»، ولا أريد أن أذهب لأى مكان حتى آكل شيئًا، كانت لاتزال متذمرة من مقابلتها مع الأستاذ «جينكس» فبدا صوتها غاضبًا، فنظر نحوها «تشارلز والاس» مفكرًا، وهى تتجه نحو الثلاجة؛ لتقدم للقط بعض اللبن ثم شربت كوبًا ممتلئًا.

قدم لها حقيبة ورقية قائلاً: «ها هى شطيرة وبعض البسكويت وتفاحة، أظن أننا من الأفضل أن نذهب لرؤية السيدة «واتست»..».

قالت «ميج» مندهشة: «لماذا يا «تشارلز»؟».

سألها «تشارلى»: «مازلت لا ترتاحين إليها.. أليس كذلك؟».

ـ «بلى».

ـ «لا داعى لذلك، إنها على ما يرام وأنا أعدك بذلك، إنها فى صفنا».

ـ «كيف عرفت؟».

قال بنفاد صبر: ««ميج»، أنا أعرف».

ـ «ولماذا يجب علينا أن نذهب لرؤيتها الآن؟».

«أريد أن أعرف أكثر عن التناظر رباعى الأبعاد، ألم تَرَىْ كيف أزعج هذا الأمر أمى؟ أنت تعرفين أمى عندما لا تستطيع السيطرة على مشاعرها، وعندما تجعلنا نرى ضيقها، فهذا يعنى أن الأمر خطير».

فكرت «ميج» قليلاً، ثم قالت: «حسنًا، فلنذهب، ولكن دعنا نصحب «فورت» معنا».

ـ «بالتأكيد، إنه يحتاج للتنزه».

وانطلقا و«فورتينبراس» ينطلق أمامهما، ثم يعود خلفهما، ثم يبتعد مرة أخرى، وقد كانت أسرة «مورى» تعيش على بعد أربعة أميال من القرية، وخلف المنزل كانت هناك غابة من أشجار الصنوبر، سار «تشارلز والاس» مصطحبًا «ميج» خلالها.

«هل تعرف يا «تشارلز» أنها ستواجه مشكلة كبيرة ـ أعنى السيدة «واتست»..».

ـ إذا عرفوا أنها تسللت إلى المنزل المسكون، وأنها هى التى أخذت ملاءات السيدة «بانكومب»، ربما يرسلونها للسجن.

ـ «أحد الأسباب التى دعتنى للذهاب الآن هو أن أحذرهن».

ـ «هن!».

ـ «لقد أخبرتك أنها تعيش هناك مع اثنتين من صديقاتها، حتى إننى

غير واثق أن السيدة «واتست» هى التى أخذت الملاءات»، لن أندهش لو كانت هى الفاعلة.

ـ «ولكن.. فيم ستحتاج كل هذه الملاءات؟».

أجابها « تشارلز»: «أنا أنوى أن أسألها وأن أخبرهن أن يكُنَّ أكثر حذرًا، فلا أظن أنهن سيدعن أى أحد يجدهن، ولكن لابد أن نذكرهن باحتمال حدوث ذلك، فأحيانا يذهب الصبية إلى هناك فى الإجازات؛ بحثًا عن الإثارة، ولكن لا أظن أن يحدث ذلك الآن مع مباريات كرة السلة أو أى شىء آخر».

سارا وسط الغابة فى صمت، ووسط الروائح الجميلة للحظة، وحبات الصنوبر الإبرية المتساقطة تحت أقدامهم، ومن فوقهم، كانت الرياح تعزف وسط الفروع، أمسك «تشارلز والاس» يد «ميج». وهدأتها إشارة الصبى لها، حتى شعرت بأن عقدة توترها بدأت تنحل، كانت تعتقد أن «تشارلز» يحبها تحت أى ظرف من الظروف.

بعد قليل سألها: «هل حدث ما يُسيئُكِ فى المدرسة اليوم؟».

ـ «نعم، لقد أُرسلت للأستاذ «جينكس» وتحدث ببعض التعليقات غير الحقيقية عن أبى».

أومأ «تشارلز» قائلا: «أعرف».

ـ «وكيف تعرف؟».

هز «تشارلز» رأسه قائلاً: «لا أستطيع تفسير هذا بدقة، أنتِ تخبريننى وهذا كل ما فى الأمر».

ـ «ولكننى لم أقل أى شىء، ويبدو أنك تعلم».

قال «تشارلز»: «كل شىء فيك ينبئنى».

تساءلت «ميج» : «وماذا عن التوأم؟ هل تعرف عنهما أيضًا؟».

ـ «أظننى أستطيع لو أردت ذلك، إذا كانا بحاجة إلىَّ، ولكنه أمر مرهق؛ لهذا فأنا أركز عليك، وعلى أمى».

ـ «هل تقصد أنك تقرأ أفكارنا؟».

بدا الارتباك على «تشارلز» قائلاً: «لا أظن ذلك، إنه نوع من القدرة على الاتصال والتفاهم، مثل فهمى لحديث الرياح مع الأشجار عندما أركز بشدة، إنه نوع من أنواع الاستقراء.. إنها كلمة جيدة.. أليس كذلك؟ لقد طلبت من أمى أن تبحث عن معناها فى القاموس هذا الصباح، يجب أن أتعلم القراءة حقًّا، ولكننى أخشى أن يسبب لى هذا مشكلة فى المدرسة العام القادم إذا كنت أعرف الأشياء بالفعل، أظن أنه من الأفضل أن يستمر الناس فى اعتقادهم بأننى لست شديد الذكاء، فهذا لن يجعلهم يكرهوننى!».

أمامهما، كان «فورتينبراس» قد بدأ ينبح بصوت مرتفع بالصورة التى تحذرهما من اقتراب سيارة أو اقتراب شخص ما من الباب.

قال «تشارلز والاس» بحدة: «هناك شخص ما بالمكان، شخص داخل المنزل.. هيا بنا».. وشرع فى الجرى، لكن رجليه القصيرتين كانتا ثقيلتين، وعند طرف الغابة كان «فورتينبراس» يقف أمام صبى وينبح بغضب شديد.

وعندما أسرعا نحو الصبى، قال وهو يبكى بشدة: «أسكتا كلبكما».

سأل «تشارلز والاس» «ميج»: «من هذا؟».

ـ إنه «كالفن أوكيف» أحد أبناء المنطقة، وهو أكبر منى وسخيف.

قال الصبى لـ «فورتينبراس»: «اهدأ يا صديقى، فأنا لن أؤذيك».

وقال «تشارلز» آمرًا: «اجلس يا «فورت»»، وبالفعل جلس على مؤخرته أمام الصبى وهو لايزال يزمجر وإن كان صوته أكثر انخفاضًا من ذى قبل.

فقال «تشارلز والاس» وهو يستند بيديه إلى وسطه: «والآن أخبرنا بما تفعله هنا».

أجابه الصبى ساخطًا: «من حقى أن أوجه نفس السؤال: «ألستما من أسرة «مورى»؟ إن هذا المكان ليس فى نطاق أملاككما.. أليس كذلك؟».

وبدأ يتحرك، ولكن صوت زمجرة «فورتينبراس» ارتفع، فتوقف الصبى.

عاد «تشارلز والاس» يتساءل: «أخبرينى عنه يا «ميج»..».

تساءلت «ميج»: «وماذا أعرف عنه؟ إنه أكبر منى بعامين، وعضو بفريق كرة السلة».

قال «كالفن» وفى صوته نبرة إحراج واضحة: «لمجرد أننى طويل القامة»، وقد كان طويلاً ونحيفًا بالفعل، فكان رسغاه النحيفان يظهران من أطراف أكمام سترته الزرقاء، وكان سرواله أقصر من كاحليه بنحو ثلاث بوصات، وكان له شعر برتقالى يحتاج للقص، مع انتشار ذلك النمش فى وجهه ليبرز وسطه لون عينيه الزرقاوين.

عاد «تشارلز والاس» يقول: «أخبرنا بما تفعله هنا».

- «ما هذا؟ المستوى الثالث؟ ألستِ أنتِ التى من المفترض أن تكونى بلهاء المدرسة؟».

احمر وجه «ميج» من الغضب، ولكن «تشارلز» أجابه بهدوء قائلاً: «هذا صحيح وإذا كنت تريدنى أن أبعد كلبى عنك، فمن الأفضل أن تستمر».

قال «كالفن»: «أشد من قابلتهم بلاهة، لقد أتيت لأبتعد عن أسرتى».

أومأ «تشارلز والاس» متسائلاً: «أية عائلة؟».

- «جميعهم أنوفهم ترشح دائمًا، وأنا الثالث فى ترتيب أحد عشر طفلاً، وأنا رياضى!!».

ابتسم «تشارلز والاس» ابتسامة عريضة قائلاً: «وأنا كذلك».

فقال «كالڤن»: «هل تفهم ما أعنيه؟ لا أقصد ما يتعلق بالبيسبول».
ـ «ولا أنا».
قال «كالڤن» فى شك: «أعنى كما فى علم الأحياء».
علق «تشارلز والاس» قائلاً: «تغيرات چينية نتيجة ظهور سمة غير ظاهرة فى الوالدين، ولكنها محتملة الانتقال من الذرية السابقة».
تساءل «كالڤن»: «ما الذى يحدث؟ قيل لى إنك لا تتكلم».
قال «تشارلز والاس»: «الاعتقاد بأننى أبله يجعل الناس يشعرون بالاعتداد بأنفسهم، فلماذا أخيب ظنهم؟ كم عمرك يا «كالڤن»؟».
ـ «أربع عشرة».
ـ «فى أية سنة دراسية؟».
ـ «الحادية عشرة، وأنا متفوق، اسمع: هل طلب أحدهم منك أن تأتى هنا ظهر اليوم؟».
كان «تشارلز والاس» ممسكًا بـ «فورتينبراس» من الطوق ناظرًا وهو يتساءل فى شك: «ماذا تعنى؟».
فقال «كالڤن» مستهجنًا: «أنت مازلت لا تثق بى.. أليس كذلك؟».
أجاب «تشارلز» : «أنا أثق بك تمامًا».
ـ «إذًا، فهل تخبرنى عن سبب وجودك هنا؟».
ـ «لقد كنا نرغب أنا و«ميج» و«فورت» فى السير، إننا نفعل ذلك عادة وقت الظهيرة».
دس «كالڤن» يديه فى جيوبه قائلاً: «أنت تخفى شيئًا عنى».
فقال « تشارلز» وأنت أيضًا.
قال «كالڤن»: «حسنًا سأخبرك، أحيانًا ينتابنى شعور تجاه الأشياء، يمكنك أن تدعو ذلك بقوة قاهرة.. هل تفهمنى؟ هل تفهم معنى قوة خفية؟».

- «إجبار أو اضطرار؛ لأن الإنسان يكون مجبرًا ولكنه ليس تعريفًا دقيقًا، لكنه تعريف معجم قوى».

زفر «كالڤن» قائلاً: «حسنًا.. حسنًا.. يجب أن أذكر دومًا مستوى عقليتك».

جلست «ميج» على الأعشاب عند طرف الغابة، وتخلص «فورت» من يد «تشارلز» برقة واقترب ليرقد بجوار «ميج» ويضع رأسه فى حجرها.

حاول «كالڤن» أن يوجه حديثه إلى «ميج» بصورة مهذبة، وكذلك إلى «تشارلز» قائلاً: «عندما ينتابنى هذا الشعور أفعل كل ما يجب علىّ ولا أستطيع أن أفهم من أين يأتى، وهو لا يحدث كثيرًا، ولكننى أطيعه، وظهيرة اليوم انتابنى شعور بأننى يجب أن أحضر للمنزل المسكون، وهذا كل ما أعرفه ولا أخفى أى شيء؛ ربما لأننى كان من المفترض أن أقابلكما والآن دوركما».

نظر «تشارلز والاس» نحو «كالڤن» للحظة كما لو كان يفكر فيه، فوقف «كالڤن» ساكنًا فى الانتظار حتى قال «تشارلز»: «حسنًا، أنا أصدقك ولكننى لا أستطيع أن أخبرك، فأظننى أحتاج للثقة بك، ربما يجدر بك أن تعود معنا للمنزل؛ لتناول العشاء».

- سأله «كالڤن»: «حسنًا.. بالتأكيد.. ولكن، ماذا ستقول والدتكما عن ذلك؟».

- «ستسعد بالأمر، فهى ليست واحدة منا، ولكنها على ما يرام».

- «وماذا عن «ميج»؟..».

قال «تشارلز والاس»: ««ميج» قوية، وهى ليست هذا ولا ذاك».

تساءلت «ميج»: «ماذا تعنى بواحدة منكم؟ وماذا تقصد بأننى لا هذا ولا ذاك؟».

قال «تشارلز والاس» بهدوء: «ليس الآن يا «ميج».. مهلاً، سأخبرك بالأمر فيما بعد»، ثم نظر نحو «كالڤن» كما لو أنه اتخذ قرارًا سريعًا، ثم قال: «حسنًا، أظننا سنأخذه لمقابلة السيدة «واتست» وإذا لم يكن على ما يرام؛ فسنعرف، وبدأ سيره برجليه القصيرتين نحو المنزل القديم المتهدِّم».

كان المنزل المسكون يستقر فى ظل أشجار الدردار التى بجواره، ورغم عدم وجود أوراق بها فإن الظل كان داكنا وكانت الأرض المحيطة بالمكان مفروشة بالأوراق الجافة، ظل الضوء بعد الظهيرة مشوبًا بخضرة، عكسته النوافذ المغلقة بطريقة تبعث على الخوف.. مصراع نافذة يُحدث صوتًا مكتومًا، وشىء آخر يُحدث صريرًا، مما جعل «ميج» لا تتعجب مما يقال عن أن المنزل مسكون.

كانت هناك لوحة أمام الباب الأمامى، ولكن «تشارلز والاس» سلك الطريق متجهًا خلف المنزل، كان من الواضح أن الباب مغلق بالمسامير أيضًا ولكن «تشارلز» طرقه، وببطء فُتح الباب وهو يصدر صريرًا بسبب مفصلاته الصدئة، فى حين ارتفع صوت غراب عجوز من أعلى إحدى أشجار الدردار المجاورة، وأخذ أحد طيور نقار الخشب يغنى وظهر فأر رمادى كبير عند ركن المنزل، صرخت «ميج» صرخة مكتومة.

قال «تشارلز والاس»؛ ليطمئنها: إنهم يمرحون كثيرًا هنا بأسلوب واحد لا يتغير، لا تقلقى، هيا اتبعينى.

أمسك «كالڤن» بمرفق «ميج» فى حين التصق «فورت» بساقها.

دخلوا إلى مكان يشبه المطبخ، كان به مدفأة كبيرة جدًّا وإبريق يغلى فوق نار هادئة متسعة.. ولكن، لماذا لا يخرج دخان النيران من مدخنة المدفأة؟ وكان فوق النيران قِدْرٌ كبير يغلى، به شىء ما تشبه رائحته إحدى مواد

السيدة «مورى» الكيميائية أكثر منه شىء يؤكل. وعلى مقعد هزاز من طراز بوستونى جلست سيدة بدينة، ولكنها لم تكن السيدة «واتست» كما فهمت «ميج»، لقد كانت إحدى صديقاتها، وكانت ترتدى نظارة عملاقة أكبر وأسمك من نظارة «ميج» بمرتين، وكانت تحيك إحدى الملاءات بهمَّة، فى حين استقرت ملاءات أخرى على الأرض التى يغطيها الغبار.

توجه «تشارلز والاس» نحوها قائلاً: «لا أظن أنه يليق أن تأخذن ملاءات السيدة «بانكومب» دون استشارتى، ما حاجتكنَّ إليها؟ قالها بلهجة آمرة، وبأقصى ما يستطيع صبى صغير أن يُظهر من الغضب.. لماذا تريدينها بحق الجحيم؟».

نظرت السيدة القصيرة البدينة نحوه قائلة بلغة فرنسية: «القلب له أسباب ودون معرفة السبب لن نفهم».

قال «تشارلز» بغضب: «ولكن هذا لم يكن لائقًا إطلاقًا».

بدا شبح ابتسامة خلف النظارة المستديرة، ثم قالت: «كان هذا رأى والدتك أيضًا».

قال « تشارلز» فى حدة: «أنا لا أتحدث عن مشاعر أمى تجاه أبى، أنا أتحدث عن ملاءات السيدة «بانكومب»..».

زفرت السيدة القصيرة البدينة.. امتصت النظارة الكبيرة الضوء ثانية ولمعت مثل عيون البومة، قالت: «فى حالة احتياجنا للأشباح بالطبع، أظن أنك خمنت ذلك، فإذا كنا نريد أن نخيف الناس ونبعدهم عن هنا، فلابد أن نقوم بذلك بشكل سليم، ولهذا فإنه من المثير أن تعيش فى منزل مسكون، ولكننا لم نقصد أن نعرف أى شىء عن الملاءات ـ الضبط متلبسًا ـ كما كنت أقول».

سألها «تشارلز والاس» وهو يرفع يده فى إشارة يأمرها بأن تصمت: سيدة «هُو»، هل تعرفين هذا الصبى؟».

أومأ لها «كالڤن» قائلاً: «مرحبا يا سيدتى.. عفوًا، أنا لم أستطع التقاط اسمك».

قالت السيدة: «تستطيع أن تنادينى بـ «هُو».. ولكنه لم يكن فكرتى يا «تشارلز»، وإن كنت أراه مناسبًا».

تساءل «تشارلز»: «أين السيدة «واتست»؟».

- «إنها مشغولة، فقد اقترب الموعد يا «تشارلز»..»، وكررت عبارة سينيكا قبل أن تقول مرة أخرى: «ولا شىء يمنع إنسانًا طيبًا من عمل شىء مشرف، وهو إنسان طيب حقًا يا عزيزى «تشارلز» ولكنه يحتاج لمساعدتنا».

تساءلت «ميج» : «من؟».

- ««ميج» العزيزة.. من الجميل مقابلتك يا عزيزتى، إننا نتحدث عن والدك بالطبع، والآن عَودوا للمنزل يا أحبائى، فالوقت لم يحن بعد. لا تقلقوا، فلن نذهب بدونكم، تناولوا المزيد من الطعام وانعموا بالراحة ومَعكم «كالڤن»، ثِقوا بنا، الإيمان شقيق العدالة.. ثم قفزت من على مقعدها ودفعتهم نحو الباب بقوة غريبة.

قالت «ميج»: ««تشارلز»، أنا لا أفهم».

أمسك «تشارلز» بيدها وجذبها بعيدًا عن المنزل، وأمامهما جرى «فورتينبراس» وخلفهما مباشرة «كالڤن» قبل أن يقول : «ولا أنا، ليس بعد، سأخبركما بكل ما أعرفه بمجرد أن أستطيع، ولكنكما رأيتما «فورت».. أليس كذلك؟ لم يزمجر ولم يرتعد كما لو لم يكن هناك شىء غريب، أى إن كل شىء على ما يرام، انظرا.. قدما لى معروفًا، دعونا لا نتحدث عن ذلك حتى نأكل، وإننى أحتاج للطعام حتى أستطيع تمييز الأشياء واستيعابها بشكل صحيح».

صاح «كالڤن» : «هيا إذن يا... إننى لم أر منزلكما قبل ذلك، ولدى شعور مثير بأننى لأول مرة فى حياتى أعود لمنزلى».

3 السيدة «ويتش»

كان المساء قد حل على الغابة وهم يسيرون فى صمت. كان «تشارلز»، و«فورتينبراس» يقفز أمامهم فى مرح وسار «كالڤن» مع «ميج» وأصابعه تكاد تلمس ذراعها فى إشارة توحى بالحماية.

كان ذلك الوقت هو أكثر أوقاتى ارتباكًا، كما فكرت «ميج» فى بداية ظهيرة اليوم، ولكنها لم تعد تشعر بالضيق، ولا الارتباك، وإنما تشعر فقط بالسعادة.. لماذا؟

قال «كالڤن»: «ربما لم يكن يجب أن نتقابل قبل ذلك، أعنى: لقد

عرفت من تكونين فى المدرسة، وكل شىء، ولكننى لم أكن أعرفك، وإن كنت سعيدًا؛ لأننا تقابلنا الآن يا «ميج»، سنكون أصدقاء، هل تعرفين؟».

همست مجيبة: «وأنا أيضًا سعيدة»، ثم التزما الصمت من جديد.

عندما عادوا للمنزل كانت السيدة «مورى» لاتزال فى المعمل، تراقب سائلاً أزرق باهتًا وهو يسير ببطء داخل أنبوب يصل بين كأس معوجة واستقر فوق مصباح موقد «بنزن» إناء به طعام يغلى، فقالت: «لا تخبروا «ساندى» و«دينيس» أننى أقوم بالطبخ هنا، فهم دائما يشكون من أن بعض الكيماويات قد تتسرب للحم، وكل ما فى الأمر أنه كان لدىَّ تجربة أردت أن أبقى بجانبها».

قالت «ميج»: «هذا هو «كالڤن» يا أمى، فهل هناك ما يكفى من الطعام له أيضًا؟ إن رائحته شهية».

صافحته السيدة «مورى» قائلة: «مرحبا يا «كالڤن»، من اللطيف أن أقابلك، ليس لدينا الليلة هنا سوى يخنة، لكنها شهية ودسمة».

قال «كالڤن» : «يبدو لى رائعًا، هل يمكننى استخدام الهاتف حتى تعرف أمى أين أنا؟».

«بالتأكيد، أرشديه للمكان يا «ميج» من فضلك، أستأذنك فى أن تستخدم الهاتف الذى بالخارج حيث إننى أود إنهاء هذه التجربة».

قادته «ميج» لداخل المنزل، اختفى «تشارلز والاس» و«فورتينبراس» وسمعت صوت «دينيس» و«ساندى» بالخارج وهما يقومان ببناء ذلك المنزل الصغير على إحدى أشجار القيقب هنا، عبرت «ميج» المطبخ فى طريقها لغرفة المعيشة.

قال «كالفن» فى مرارة: «لا أدرى، لماذا أتصل بها عندما لا أعود للمنزل، إنها لن تلاحظ». وزفر وهو يطلب الرقم: «أمى؟ آه.. «هينكى» أخبر أمى أننى سأتأخر فى الحضور للمنزل الليلة، لا تنس، فلا أريد أن تحبسنى مرة أخرى».

أنهى المكالمة ثم نظر نحو «ميج» قائلا: «هل تدركين كم أنت محظوظة؟».

ابتسمت مجيبة: «ليس دائمًا».

«أم كهذه ومنزل كهذا، يا إلهى!، أمك رائعة الجمال، كان يجب أن تَرَىْ أمى بأسنانها البارزة، لقد اشترى لها أبى شريحة بديلة، ولكنها لا تضعها، ومعظم الأيام لا تمشط شعرها، رغم أن ذلك لن يغير الكثير من مظهرها بالفعل»، وأطْبق يده متابعا: «ولكننى أحبها وهذا هو الجانب المثير فى الأمر. إننى أحبهم جميعا، ولكنهم لا يهتمون بى، وربما يكون هذا هو ما يجعلنى أتصل عندما لا أعود للمنزل؛ لأننى أهتم ولكن لا أحد يهتم، لا يمكنك أن تتخيلى كم أنت محظوظة أن تكونى محبوبة».

أجابته «ميج» وقد بدت عليها الدهشة: «أظن أننى لم أفكر فى ذلك» ولا أعتقد أن ذلك يعد تفضُّلاً.

بدت الصدمة على وجه «كالفن» قبل أن تعلو وجهه ابتسامة كبيرة قائلاً:

«ستحدث أشياء يا «ميج» أشياء طيبة، أنا أشعر بذلك»، ثم بدأ يتجول فى حجرة المعيشة المتواضعة، وأعلى البيانو رأى صورة لمجموعة من الأشخاص يقفون على شاطئ، فتساءل: «من هؤلاء؟».

- «آه.. مجموعة من العلماء».

- «أين؟».

اقتربت «ميج» من الصورة قائلة: «في «كيب كانفرال» وهذا هو أبي».

ـ «أيهم؟».

ـ «هذا».

ـ «الذى يرتدى نظارة؟».

أجابته وقد نسيت قلقها من سعادتها برؤية «كالفن» للصورة: «نعم، الذى يحتاج لقص شعره، إن لون شعره هو نفس لون شعرى، وهو دائمًا ينسى قصّه، وينتهى الأمر بأن تقوم أمى بذلك وقد اشترت أدوات الحلاقة؛ لأنه لا وقت لديه للذهاب لقص شعره».

فحص «كالفن» الصورة قبل أن يقول: «أنا أحبه، إنه يشبه «تشارلز والاس».. أليس كذلك؟».

ضحكت «ميج» مرة أخرى قائلة: «عندما كان «تشارلز» طفلاً كان يشبه أبى تمامًا، لقد كان شيئًا مضحكًا حقًا».

استمر «كالفن» فى النظر إلى الصورة، ثم قال: «إنه ليس وسيمًا ولكننى أحبه».

اعترضت «ميج» قائلة: «إنه وسيم للغاية».

هز «كالفن» رأسه وقال: «لا، إنه نحيف وطويل مثلى».

قالت ميج: «حسنًا، أعتقد أنك وسيم.. هل تعلم أن عينيه تشبهان عينيك؟ إنهما زرقاوان، لكنك لم تلحظ ذلك جيدًا بسبب النظارة».

ـ «وأين هو الآن؟».

جمدت «ميج».. لكنها لم تكن مضطرةً لأن تجيب؛ لأن الباب الموصل بين المطبخ والمعمل فُتح بعنف وخرجت السيدة «مورى» وهى تحمل إناء اليخنة قائلة: «سأنهى طهى هذا على الموقد الآن.. هل أنهيتِ واجباتك يا «ميج»؟».

أجابتها «ميج» وهى تعود للمطبخ: «ليس تمامًا».

- «حسنا أنا واثقة أن «كالفن» لن يمانع إذا أنهيتها قبل العشاء».

دس «كالفن» يده فى جيبه وأخرج لفافة من الورق قائلا: «بالتأكيد هيا، فالحقيقة أن لدى بعض واجبات بسيطة لأنهيها.. الرياضيات.. إنه أمر صعب لى، فأنا أجيد التعامل مع الكلمات، لكننى لا أحب الأرقام».

ابتسمت السيدة «مورى» قائلة: «لماذا لا تجعل «ميج» تساعدك؟».

- «ولكن كما تعلمين إننى أكبر من «ميج» وأسبقها فى الدراسة».

اقترحت السيدة «مورى» قائلة: «على أية حال، حاول طلب مساعدتها لك فى الرياضيات».

فقال «كالفن»: «حسنا بالتأكيد، ولكنها معقدة تماما».

تناولت «ميج» الأوراق برقة وفحصتها، ثم سألته: «هل يهمهم كيف تقوم بها؟ أعنى، هل يمكنك حلّها بطريقتك؟»

- «بالتأكيد، مادمت أفهم وأصل إلى الحلول الصحيحة».

- «حسنا، علينا أن نحلها بطريقتهم، انظر يا «كالفن»، ألا ترى أنها ستكون أسهل إذا ما أجريتها بهذه الطريقة؟» وبدأ قلمها يتحرك فى سرعة فوق الأوراق، حتى قال «كالفن» : «أظننى فهمت، جربى معى واحدة أخرى».

تحرك قلم «ميج» مرة أخرى قبل أن تقول: «كل ما عليك تذكُّره أن كل كسر اعتيادى يمكن أن يتحول إلى كسر عشرى، هل ترى؟ إذن:

7/3 تساوى **0.428571**

ابتسم «كالفن» نحوها قائلاً: «هذه أكثر العائلات جنونًا، وأظن أننى

يجب أن أتوقف عن الدهشة من الآن، المفترض أنك غبية فى المدرسة، ودائمًا تُستدعين لمشاكل مع الإدارة».

ـ نعم، أنا كذلك.

قالت السيدة «مورى» بلطف: مشكلة «ميج» مع الرياضيات أنها اعتادت أن تعبث مع والدها بالأرقام، فتعلمت الكثير من الاختصارات؛ لذلك فعندما يطلب منها حل المسائل بالطرق المطوّلة تتضايق، وتعند وتغضب، وتُعد لنفسها جدارًا ذهنيًّا».

تساءل «كالڤن» : هل هناك أغبياء أُخر هنا مثل «ميج» و«تشارلز»، لو كان الأمر كذلك «فيجب أن أقابل المزيد منهم، قالت السيدة «مورى»: ربما يكون مفيدًا أيضًا إذا كان خط «ميج» مقروءًا: «أنا أستطيع قراءته بصعوبة، ولكننى أشك إذا كان معلموها يستطيعون ذلك، فأنا أنوى تقديم آلة كاتبة لها فى عيد الميلاد، فربما يساعدها ذلك».

قالت «ميج»: «لو قمت بأى شىء بطريقة صحيحة فلن يصدقنى أحد».

سألها «كالڤن»: «ما هو المقياس النجمى؟».

أجابت «ميج» : «إنه الاسم الذى كان أبى يتهكم به علىّ ، وهو أيضا 3.26 مليون سنة ضوئية».

«وماذا تعنى أن $ط = ك \times س^{٢}$؟».

«إنها معادلة أينشتين».

«فماذا تعنى ط؟».

«الطاقة».

«و«ك»؟».

«الكتلة».

«سع؟».

«مربع سرعة الضوء بالسنتيمتر فى الثانية».

«ما البلاد التى تقع على الحدود مع دولة بيرو؟».

«ليس عندى أدنى فكرة، أظنها فى أمريكا الجنوبية».

«ما عاصمة نيويورك؟».

«نيويورك سيتى بالتأكيد».

«من مؤلف كتاب حياة چونسون لبوزويل؟».

««كالڤن»، إن مستواى ضعيف فى اللغة الإنجليزية».

سخر «كالڤن» ثم استدار نحو السيدة «مورى» قائلاً: «أفهم ما تقصدينه، لا أظننى أرغب فى تعليم «ميج»..».

فقالت السيدة «مورى» : «أؤكد لك أنها فتاة صغيرة تنظر للأمور من جانب واحد، وإن كنت ألوم والدها ونفسى على ذلك، فهى مازالت تستمتع باللعب مع الدمى».

تحشرج صوت «ميج»، وهى تقول فى ألم : «أمى!».

قالت السيدة «مورى» سريعًا: «آسفة يا عزيزتى، ولكننى واثقة أن «كالڤن» يفهم ما أعنيه».

فتح «كالڤن» ذراعيه فى حماس مفاجئ وكأنه يحتضن «ميج» وأمها والمنزل كله متسائلاً: «كيف حدث كل ذلك؟ أليس هذا رائعًا؟».

أنا أشعر وكأننى ولدت لتوِّى، لم أعد وحيدًا بعد الآن، هل تدركان ما يعنيه هذا بالنسبة لى؟

اعترضت «ميج» قائلة : «ولكنك ماهر فى كرة السلة وأشياء أخرى، ومتفوق فى المدرسة والجميع يحبونك».

قال «كالڤن»: «لأسباب غير مهمة، ولم يكن هناك فى العالم كله أحد أستطيع أن أتحدث معه بالمرة بالطبع، كنت أستطيع أن أتحدث مع الآخرين، كأى شخص عادى ولكن ذلك لم يكن أنا».

أخرجت «ميج» مجموعة شوك للمائدة من أحد الأدراج، وراحت تُقلبها بين يديها، ثم قالت: «لقد ارتبكت ثانية».

قال «كالڤن»: «أنا أيضًا، ولكننى على الأقل أعلم أننا ذاهبون فى اتجاه ما».

***

كانت «ميج» مسرورة ومندهشة قليلاً من سعادة التوأم بوجود «كالڤن» معهم على العشاء، لقد عرفوا المزيد عن سجله الرياضى وتأثروا به أكثر منها، وتناول «كالڤن» خمسة أطباق من اليخنة وثلاثة أطباق من الحلوى الچيلى، ودستة من قطع البسكويت، وبعدها أصر «تشارلز والاس» على أن يصحبه «كالڤن» حتى الفراش، ويقرأ له. أما التوأم اللذان كانا قد أنهيا واجباتهما فقد سُمح لهما بمشاهدة التلفاز لمدة نصف ساعة. وبعد أن كانت «ميج» تساعد أمها فى ترتيب المائدة جلست وبذلت جهدًا كبيرًا فى أداء واجبها المدرسى، ولكنها لم تستطع التركيز.

وسألت فجأة: «أمى هل هناك ما يضايقك؟».

نظرت لها الأم فى دهشة من خلف إحدى المجلات العلمية الإنجليزية التى كانت تتصفحها، وللحظة لم تجب، ثم قالت: «نعم».

ـ «لماذا؟».

مرة ثانية صمتت السيدة «مورى»، مدت يديها ونظرت إليهما، كانتا طويلتين، قويتين وجميلتين، وبأصابع يدها اليمنى تحسست الخاتم الذهبى الذى يحيط بالأصبع الثالث فى يدها اليسرى.

ثم قالت أخيرًا: أنتم تعلمون أننى لا أزال امرأة شابة، أدرك كم هو صعب عليكم يا أطفال أن تتفهموا ذلك، وأنا مازلت أحب والدكم بشدة.. أنا أفتقده بشدة.

«وهل تظنين أن كل ذلك له علاقة بأبيك؟».

«أظن أنه يجب أن يكون كذلك».

«ولكن ماذا؟».

«إننى لا أفهم ولكنه يبدو أنه التفسير الوحيد»

«هل تظنين أن كل الأشياء يجب أن يكون لها تفسير؟».

«نعم، أنا أؤمن بذلك ولكن حدودنا كبشر تجعلنا غير قادرين دومًا على استيعاب التفسيرات، ولكن كما ترين يا «ميج» فإن عدم فهمنا لا يعنى عدم وجود تفسير».

قالت «ميج»: «أنا أحب أن أفهم الأشياء».

«جميعنا نحب ذلك، ولكن ذلك ليس متاحًا دائمًا».

«إن «تشارلز والاس» يفهم أكثر مما نفهمه جميعًا، أليس كذلك؟».

«بلى».

«لماذا؟».

ـ «أظن أنه بسبب... حسنًا.. بسبب أنه مختلف يا «ميج».

ـ «مختلف! كيف؟».

ـ «لست متأكدة تمامًا، أنت نفسك تعرفين أنه ليس كأى أحد».

قالت «ميج» مدافعة: «لا. لا أرغب أن يكون كذلك».

ـ «رغبتك لا علاقة لها بهذا، «تشارلز والاس» هو ما هو عليه، مختلف وجديد».

ـ «جديد!».

ـ « نعم، هذا ما نشعر به أنا ووالدك».

ضغطت «ميج» على قلمها بشدة حتى كُسر، ثم ضحكت قائلة: «أنا آسفة، لم أقصد أن أبدو مدمرة ولكننى أحاول جعل الأمور تسير فى نصابها الصحيح».

ـ «أعرف».

ـ «لكن «تشارلز والاس» لا يبدو مختلفا عن غيره».

ـ «لا يا «ميج»، ولكن الناس مختلفون أكثر مما يبدو من مظهرهم، واختلاف «تشارلز والاس» ليس جسمانيا، إنه جوهرى».

زفرت «ميج» وخلعت نظارتها، ثم أدارتها ثم ارتدتها مرة أخرى وقالت: «حسنا، أعلم أن «تشارلز والاس» مختلف وأكثر من ذلك، ولكننى أظن أنه علىّ أن أقبل هذا من دون أن أفهمه».

ابتسمت السيدة «مورى» نحوها قائلة: «ربما هذه هى النقطة التى كنت أرغب فى الوصول إليها».

قالت «ميج» فى شك: «نعم».

ابتسمت أمها ثانية قائلة: «ربما لذلك لم تفاجئنى ضيفتنا بالأمس، وربما لهذا كان تصديقى من أجل «تشارلز والاس»..».

تساءلت «ميج»: «هل أنت مثل «تشارلز»؟».

ـ «أنا.. الحمد لله.. لا .. لقد وُهبت عقلية وفرصًا أكثر من كثير من الناس، ولكن لا شىء يغير من طبيعتى العادية».

قالت «ميج»: «ملامحك تبدو كذلك».

ضحكت السيدة «مورى» قائلة: «أنت فقط لا تملكين أساسًا كافيًا للمقارنة يا «ميج»، أنا إنسانة عادية تماما بالفعل!».

حينئذ جاء «كالڤن أوكيف» يقهقه.

فتساءلت السيدة «مورى»: «هل نام «تشارلز»؟».

ـ «نعم».

ـ «ماذا قرأت له؟».

ـ «سفر التكوين حسبما اختار، بالمناسبة.. ما التجربة التى كنت تجرينها اليوم يا سيدة «مورى»؟».

ـ «شىء كنا نعده أنا وزوجى، نعده معًا، ولا أريد أن أكون متخلفة كثيرًا عنه عند عودته».

تابعت «ميج» قائلة: «أماه ، يقول «تشارلز»: إننى لست هذا أو ذاك، لست بشرية ولا طائرًا ولا سمكة سردين حمراء شهية».

قال «كالڤن»: «تبًا، لهذا الصباح، أنت «ميج»، أليس كذلك؟ دعينا نخرج ونتمشى قليلاً».

ولكن «ميج» لم يبد عليها الاقتناع، فسألت أمها: «ما رأيك فى «كالڤن»؟».

ضحكت السيدة «مورى» قائلة: «لا أريد أن أُكوِّن رأيا عن «كالڤن»..».

لكننى أحبه للغاية وسعيدة؛ لأنه وجد طريقه إلى هنا.

ـ «أمى، لقد كنت على وشك أن تخبرينى عن البعد التناظرى الرابع لمكعب».

بدا شيء من الارتباك على عينىّ السيدة «مورى» وهى تقول: «نعم، ولكن ليس الآن، يا «ميج»، ليس الآن، اذهبى وتنزهى مع «كالڤن» وسأذهب لتقبيل «تشارلز»، ثم سأذهب لأطمئن على ذهاب التوأم لغرفتهما.

فى الخارج كانت الحشائش مبتلة بفعل الندى، كان القمر فى منتصف طريقه لأعلى على شكل قوس كبير، اقترب «كالڤن» وأمسك بيد «ميج» فى ود مثل «تشارلز والاس»، ثم سألها فى رقة: «هل كنت تضايقين والدتك؟».

ـ «لا أظن أننى فعلت ذلك، ولكنها تشعر بالضيق».

ـ «وما السبب؟».

ـ «أبى».

قادها «كالڤن» وسط الحشائش، كانت ظلال الأشجار تمتد على الأرض، وتتحرك، مع رائحة عطر خريفى قوية، انزلقت الأرض من تحت «ميج»، كادت تسقط لولا يد «كالڤن» القوية التى أمسكت بها. سارا بحرص عبر حديقة الخضراوات الخاصة بالتوأم، يتحسسان طريقهما وسط الكرنب والبنجر والقنبيط والقرع، وعلى يسارهما تلوح أعواد الذرة الطويلة، وأمامهما بستان صغير للتفاح محاط بسور من الحجر، من خلفهما تقع الغابة التى مشيا فيها بعد ظهيرة ذاك اليوم، قادها «كالڤن» حتى الحائط ثم جلسا هناك، شعره الفضى يلمع فى ضوء القمر وقد تبرقش جسمه بفعل ظلال الأغصان المتشابكة، ثم مد يده وقطف تفاحة من غصن كثير العقد ثم ناولها لـ «ميج»، ثم قطف واحدة لنفسه.

ـ حدثينى عن والدك.

- «إنه عالم فيزيائى».

- «بالتأكيد، إننا جميعا نعرف ذلك، ويُعتقد أنه ترك والدتك وذهب مع إحدى النساء».

نهضت «ميج» فجأة من فوق الحجر الذى كانت تجلس عليه، فأمسك بها «كالفن» وأعادها قائلاً: «انتظرى أيتها الطفلة أنا لم أقل أى شىء لم تسمعيه من قبل، أليس كذلك؟».

قالت «ميج»: «لا .. دعنى أذهب واستمرت فى محاولة النهوض».

- «اهدئى، أنت تعرفين أن هذا غير صحيح، وأنا أعرف أنه غير صحيح، وكيف يمكن لأى إنسان بعد أن يرى والدتك أن يظن أن والدك قد تركها بسبب امرأة أخرى، هذا يوضح لك ماذا يمكن أن تفعل الغيرة بالناس.. أليس كذلك؟».

قالت «ميج» وقد تلاشت سعادتها وعادت إلى حالة الغضب والاستياء: «أظن هذا».

هزها «كالفن» برقة قائلا: «انظرى أيتها الساذجة، كل ما أريده هو أن أجعل الأمور فى مسارها الصحيح، إنه نوع من التعامل مع حقيقة واقعة بواسطة خيال، والدك عالم فيزيائى وهذه حقيقة.. أليس كذلك؟».

- «بلى».

- «ونال درجة الدكتوراه أكثر من مرة».

- «نعم».

- «ومعظم الوقت كان يعمل بمفرده، ولكنه أحيانا كان فى معهد التعليم العالى فى برينستون.. هل هذا صحيح؟».

- «نعم».
- «ثم قام ببعض الأعمال لصالح الحكومة.. أليس كذلك؟».
- «بلى».
- «حسنًا، ابدئى من هنا.. فهذا كل ما أعرفه».

قالت «ميج» : «وهذا تقريبًا كل ما أعرفه أنا كذلك، ربما تعرف أمى أكثر، لا أعرف.. فما فعله كان... حسنًا.. كان يسمونه بالعمل السرى».

- «هل تعنين «سرى» للغاية؟».
- «نعم، هذا صحيح».
- «وليس لديك أى فكرة عن موضوع هذا العمل؟».

هزّت «ميج» رأسها قائلة: «لا.. مجرد فكرة عن المكان الذى كان فيه».

«حسنًا، أين؟».

- «فى «نيو مكسيكو» لفترة، لقد كنا معه هناك ثم ذهب إلى فلوريدا فى «كيب كانڤرال» وكنا معه هناك أيضًا، ثم عدنا هنا نظرًا لأنه كان عليه أن يسافر كثيرًا».

- «هل كان هذا هو منزلكم دائمًا؟».
- «نعم، ولكننا اعتدنا أن نعيش فيه فى فصل الصيف».
- «ولا تعرفين إلى أين أُرسل والدك؟».
- «لا، فى البداية كانت تصلنا الكثير من الخطابات، فقد كان أبى وأمى يكتبان لبعضهما كل يوم، وأظن أن أمى لاتزال تكتب له كل ليلة.. وليس فى كل مرة تسخر مديرة مكتب البريد من خطاباتها».

قال «كالڤن» فى مرارة: «أظن أنهم يعتقدون أنها تلاحقه أو شيئًا من هذا القبيل، إنهم لا يستطيعون فهم الحب الصافى عندما يرونه، حسنًا، هيا استمرى.. ماذا حدث بعد ذلك؟».

قالت «ميج» : «لم يحدث شىء وتلك هى المشكلة».

ـ «حسنا، وماذا عن خطابات والدك؟».

ـ «لقد توقفت».

ـ «لم تسمعوا عنه أى شىء؟».

أجابته فى أسى واضح: «لا.. لا شىء».

خيم الصمت بينهما، محسوسًا مثل ظلال شجرة سوداء تسقط على حجريهما، وبدا كما لو كان فوقهما له ثقل يحسون بأنه قد أُضيف إلى وزنهما.

أخيرًا قال «كالڤن» دون أن ينظر إليها: «هل تظنين أنه مات؟».

وكان كلامه بصوت حاد يخلو من العاطفة.

نهضت «ميج» مرة أخرى وللمرة الثانية أمسك بها «كالڤن» فقالت: «لا، لو مات لأخبرونا بذلك، فهناك دومًا برقية أو شىء ما، إنهم يخبروننا دائمًا».

ـ «بماذا يخبرونكم؟».

انتحبت «ميج» وحاولت أن تتغلب على دموعها: «آه يا «كالڤن» لقد حاولت أمى كثيرًا أن تعرف، وذهبت إلى واشنطن.. وفعلت كل ما يمكن.. وكل ما يقولونه دائمًا: إنه فى مهمة سرية وخطيرة وإنها يجدر بها أن تفخر به ولكنه لن يقدر على... على الاتصال بنا لفترة.. وإنهم بمجرد أن يعلموا أى شىء سوف يخبروننا».

ـ ««ميج» لا تكونى مجنونة، هل تظنين أنهم ربما لا يعرفون؟».

انحدرت دمعة ببطء على خد «ميج» وهى تقول: «هذا هو ما أخشاه».

سألها «كالڤن» فى رقة: «لماذا لا تبكين؟ أنت مغرمة بوالدك؟ أليس كذلك؟ هيا أبكى، فسيفيدك ذلك كثيرًا».

ارتعش صوت «ميج» وسط دموعها وهى تقول: «أنا أبكى كثيرًا، يجب أن أكون مثل أمى قادرة على السيطرة على نفسى».

- «والدتك شخصية مختلفة تماما، كما أنها أكبر منك سنًّا».

ارتعش صوتها قائلة: «ليتنى كنت مختلفة، أنا أكره نفسى».

مد «كالڤن» يده وخلع نظارتها، ثم أخرج منديلاً من جيبه، مسح به دموعها، أراحها هذا الشعور الطيب تمامًا، فوضعت رأسها على ركبتيها وراحت تنتحب، بينما جلس «كالڤن» بجوارها فى هدوء وهو يربت على رأسها بين كل حين وآخر، حتى قالت وهى تبكى: «أنا آسفة، آسفة للغاية، ستكرهنى الآن».

قال «كالڤن»: «يا لك من بلهاء يا «ميج»، ألا تعرفين أنك أفضل شىء يحدث لى منذ وقت طويل؟».

رفعت «ميج» رأسها، فلمع ضوء القمر على وجهها الذى أغرقته الدموع، وبدون النظارة كانت عيناها جميلتين وهى تقول: «لو أن «تشارلز والاس» يمزح؛ فأنا أظن أننى خطأ بيولوجى». لمع ضوء القمر فوق دعامات أسنانها وهى تتكلم.

الآن، كانت تنتظر أن تكون مخطئة، ولكن «كالڤن» قال: «هل تعرفين أن هذه هى المرة الأولى التى أراكِ فيها بدون نظارة؟».

- «بدون نظارة أُصبح عمياء مثل الخفاش، فأنا أعانى من قِصر النظر مثل والدى».

ـ «إن عينيك ساحرتان، ولكنك على حق فى ارتداء نظارتك، فلا أظن أننى أود أن يرى عينيك الرائعتين أى أحد آخر».

ابتسمت فى سعادة وشعرت بتورد وجهها، وأخذت تفكر: هل ظهر على وجهها ذلك تحت ضوء القمر.

عندما انطلق صوت «تشارلز والاس» من خلف الظلال: «حسنًا، قفا هناك، أنا لم أكن أتجسس عليكما، ولم أقصد قطع حديثكما، لكن وجدتكما يا أولاد، وجدتكما، كان صوته يرتعش من الإثارة».

سأله «كالفن» : «ماذا هناك؟».

ـ «سنذهب إلى أين؟».

ذاهبون! إلى أين؟ مدَّت «ميج» يدها بطريقة غريزية وأمسكت بيد «كالفن».

أجاب «تشارلز والاس»: «لا أعرف بالتحديد، ولكن أظن أنه بغرض البحث عن والدى».

فجأة، بدت عينان تحدقان بهما من وسط الظلام، كان ضوء القمر يسقط على نظارة السيدة «هُو»، كانت واقفة بجانب «تشارلز والاس»، وكيف كانت قد رتبت لتحضر قبل دقيقة، لم يكن هناك شىء سوى ظلال وميض خاطف فى ضوء القمر، لم يكن لدى «ميج» أية فكرة، سمعت صوتًا من خلفها ثم استدارت، كانت السيدة «واتست» تتسلق الحائط.

قالت السيدة «واتست» والأسى يملؤها: «ربى لكننى كنت أتمنى ألا تكون هناك رياح، إنه لأمر عسير مع كل هذه الملابس»، فقد كانت مرتدية نفس ملابس الليلة السابقة؛ حذاء برقبة من المطاط وكل الملابس الأخرى، مع إحدى ملاءات السيدة «بانكومب» مسدلة إياها فوقها.

وبينما هى تتحرك بهدوء فوق الحائط إذ بالملاءة تعلق بفرع شجرة منخفض وتسقط عنها، سقطت قبعتها المصنوعة من اللباد فوق كلتا عينيها، بينما علق فرع آخر بعباءتها الوردية.

زفرت قائلة: «يا إلهى، يبدو أننى لن أتعلم كيف أدبر الأمور أبدًا».

اندفعت السيدة «هُو» ناحيتها، وقدماها الصغيرتان جدًّا تكاد تلامس الأرض، وعدسات نظارتها تلمع، خط صغير يسبب ألمًا فظيعًا، ثم رفعت القبعة عن جبهة السيدة «واتست» مستخدمة يديها اللتين تشبهان المخلب، ثم خلعت العباءة من فرع الشجرة، وبحركة لطيفة أخذت الملاءة وطوتها.

ـ قالت السيدة «واتست»: «أوه ـ شكرًا ـ أنت ماهرة جدًّا، الحمار الكبير يعرف أكثر من المهر الصغير».

«هذا لأنك مجرد حقيرة لبضعة بلايين السنوات، كانت السيدة «واتست» قد بدأت بأسلوب يشوبه عدم الاحترام عندما قاطعها صوت غريب: «حسنًا.. يا فتيات.. لا وقت للعراك».

قال «تشارلز والاس» : «إنها السيدة «ويتش»؟».

وهبت بعض الرياح الخفيفة فاهتزت أوراق الأشجار وتغيرت أشكال ضوء القمر، قبل أن يقول الصوت مرة أخرى: «لا.. أظن أننى سأتجسد بشكل كامل.. فهذا أمر مرهق.. وهناك الكثير الذى يتعين علينا عمله».

4 الشىء الأسود

اهتزت الأشجار بعنف، فصرخت «ميج» وأمسكت بـ «كالڤن»، فى حين قالت السيدة «ويتش» فى لهجة آمرة: «اهدئى.. أيتها الصغيرة!».

تُرى، هل غطت إحدى السحب وجه القمر أم أن القمر نفسه اختفى فجأة، وتحول إلى ضوء شمعة؟ كان حفيف أوراق الشجر يتردد فى المكان بصوت مخيف.

اختفى الضوء تمامًا. وعمّ الظلام، وفجأة سكنت الرياح وصمت كل صوت.

شعرت «ميج» أن «كالڤن» قد انتزعه أحدهم منها، وعندما مدت أصابعها نحوه لم تلمس أى شىء.

صرخت قائلة: «تشارلز!».. تُرى، هل لتساعده أم ليساعدها هو؟ لم تكن تعرف.. ارتدت الصرخة بقوة فى حلقها، ولم تستطع التنفس، كانت بمفردها تمامًا.

فقدت حماية يد «كالڤن» ولم يعد «تشارلز» هناك لينقذها أو تطلب منه المساعدة، كانت وحدها فى مساحة من العدم، لا ضوء ولا صوت ولا شعور! أين كان جسدها؟ حاولت أن تتحرك وسط هذا القلق الشديد ولكنها لم تجد شيئًا لتحركه، كما اختفى الضوء والصوت واختفت هى أيضًا، حتى «ميج»، ككيان مادى، لم يعد لها وجود.

ثم شعرت بأطرافها مرة أخرى، وكانت تشعر بوخز وضعف فى يديها وساقيها كما لو كانت لاتزال نائمة، فتحت عينيها وأغلقتهما بسرعة ورغم أنها استعادت نفسها إلى حدٍّ ما، فلم يعد هناك شىء آخر، لم يكن الأمر مُجرد ظلام أو غياب للضوء، فالظلام له خاصية ملموسة، يمكنك أن تتحرك خلاله وتشعر بالأشياء فى الظلام، يمكنك أن تحك قصبة ساقك، ويبقى عالم الأشياء موجودًا حولك.. لقد ضاعت وسط فراغ مخيف.

كذلك كان الأمر مع السكون التام، إن هذا أكثر من الصمت، فالشخص الأصم يشعر بالاهتزازات، ولكن هنا، لم يكن هناك ما يمكن أن تشعر به.

فجأة انتبهت لضربات قلبها السريعة داخل قفصها الصدرى.. تُرى، هل كان متوقفًا؟ وما الذى جعله يعاود الخفق؟ بدأ الألم فى ساقيها وذراعيها يزداد وفجأة شعرت بحركة.

لابد أن هذه الحركة هى حركة الأرض حول محورها فى مدارها البيضاوى حول الشمس، وهذا الشعور بالدوران مع الأرض كان يشبه الشعور وكأنك

فى وسط محيط وبعيد وسط الأمواج التى تعلو وتهبط وتصطدم برقة بحاجز الأمواج، والشعور بجاذبية القمر للماء التى يصعب تفسيرها.

أنا نائمة، أحلم، لابد أن هذا كابوس وأريد أن أستيقظ.. دعونى أستيقظ.

قال «تشارلز والاس» : «حسنًا! لقد كانت هذه رحلة وأظن أنه كان يجب أن تحذرينا».

وبدأ الضوء يعود ويهتز فرمشت «ميج» بعينيها، ارتدت نظارتها بسرعة وهى تهتز ورأت «تشارلز والاس» يقف أمامها غاضبًا ويداه فى وسطه وهو يصيح:

««ميج» ! «كالڤن» ! أين أنتما ؟».

لقد رأت «تشارلز» وسمعته، ولكنها لم تستطع أن تذهب إليه، لم تستطع أن تتجه نحوه لتقابله وسط هذا الضوء الغريب المرتعش.

وجاء صوت «كالڤن» كما لو كان يأتى من وسط السحب قائلاً: «حسنًا، أمهلانى بعض الوقت.. هل ستفعلان؟ أنا أكبر منكما».

شهقت «ميج».. فلم يكن «كالڤن»، ذلك الذى كان هناك، ثم أصبح هو.. ذلك الجزء الذى ظهر من جسمه أولاً لم يكن هو، ثم تبعه باقى أجزاء جسمه، مثل الذراع ثم الكف، العين ثم الأنف، كان نوعًا من الوميض كما لو كانت تنظر إلى «كالڤن» من خلال الماء أو دخان أو عبر نيران، ثم ظهر بوضوح.

عاد صوت «تشارلز والاس» يقول: ««ميج»! «كالڤن»! أين «ميج»؟».

حاولت أن تقول: «أنا هنا» ولكن صوتها لم يخرج من حنجرتها. صرخ «كالڤن» : «ميج!».. وراح يتلفّت حوله فى جنون.

صاح «تشارلز والاس»: «سيدة «ويتش»، هل تركتِ «ميج» خلفنا؟».

بدأ «كالڤن» يقول: «لو أى منكم آذى «ميج»، فسوف...»، ولكن فجأة شعرت «ميج» بدفعة عنيفة، ثم بصوت شىء يتحطم، كما لو أن أحدهم قذفها عبر حائط من الزجاج.

«ها أنت ذا!».. قالها «تشارلز والاس» وأسرع نحوها واحتضنها:

تساءلت «ميج» بأنفاس متقطعة وقد شعرت بصوتها يعاود الظهور مرة أخرى بشكل طبيعى: «لكن، أين أنا؟».

نظرت حولها، كانوا يقفون فى حقل مشمس والهواء يتحرك حولهم حاملاً رائحة شهية لا تأتى إلا فى أندر أيام الربيع: عندما تكون أشعة الشمس رقيقة، وتبدأ براعم التفاح فى التفتح.. ورفعت «ميج» نظارتها؛ حتى تؤكد لنفسها أن ما تراه حقيقى.

لقد تركوا إحدى ليالى الخريف الرمادية، والآن كل شىء حولهم اكتسى بضوء ذهبى وكانت حشائش الحقل خضراء وتلمع وتناثرت فوقها زهور متعددة الألوان واستدارت «ميج» ببطء لترى أمامها تلاً مرتفعًا فى السماء لدرجة أن قمته لم تظهر وسط تاج السحب الدخانية البيضاء، ومن وسط الأشجار التى استقرت عند سفح التل انبعثت فجأة أصوات طيور مغردة، وسط هواء، وسلام لا يوصف، وجو مرح جعل قلبها يُهَدِّئ من خفقانه.

ومتى نتقابل مرة أخرى نحن الثلاثة؟

فى الرعد، فى البرق، أو حتى تحت المطر!

كان صوت السيدة «هُو».. وفجأة ظهر الثلاثة: السيدة «واتست» فى ردائها الوردى الذى انحسر عنها بعض الشىء، والسيدة «هُو» بنظارتها

اللامعة، والسيدة «ويتش» التى كانت لاتزال تومض، ومن حولهن انتشرت مجموعة من الفراشات متعددة الألوان كما لو كانت تحيّيهنّ.

بدأت السيدتان «واتست» و«هُو» فى الضحك واستمرتا تضحكان حتى بدتا أنهما ستسقطان من أثر تلك الدعابة بينهما، حتى الوميض بدا كما لو كان يضحك أيضًا، ثم أصبح أكثر ظلمة بشكل مريب، وأكثر صلابة، وظهر شخص فى ملابس سوداء وقبعة سوداء مدببة، له عينان مستديرتان، وأنف معقوف، وشعر رمادى طويل، ومخلب عظمى يمسك بعصا مكنسة.

قال الصوت الغريب: «حسنًا.. حتى تبقى فتياتك سعيدة».

وغرقت السيدة «واتست» والسيدة «هُو» فى نوبة من الضحك حتى قال «تشارلز» ببرود: «إذا كان هناك ما يُضحك أيتها السيدات، فأظن أنه يجب أن تخبرن «كالفن» و «ميج» بشىء عنه، لقد أخفتن «ميج» عندما قمتن بنقلها فجأة هكذا دون تحذير».

قالت السيدة «هو» : «كثير من العمل، قليل من الكلام».

قال «تشارلز والاس» وهو متضايق جدًّا: «السيدة «هُو» أرجو أن تكفِّى عن الاقتباس».

عدلت السيدة «واتست» رداءها، ثم قالت: «ولكنها تجد صعوبة فى التعبير يا عزيزى «تشارلز» وسيساعدها ذلك، لو أنها تستطيع الاقتباس بدلاً من تجربة كلمات من عندها».

قالت السيدة «ويتش»: «كما أنه يجب ألا نفقد روح المرح، الأسلوب الوحيد للتعامل مع المواقف الخطيرة، هو أن تعالجها برفق».

قالت السيدة «واتست» : « ولكن هذا سيكون صعبًا على «ميج»، سيكون من الصعب عليها أن تعرف أننا جادّون».

تساءل «كالڤن» : «وماذا عنى؟».

أجابته السيدة «واتست» : «حياة والدك ليست فى خطر».

«وماذا عن «تشارلز والاس» إذن؟».

تحول صوت السيدة «واتست» الذى يشبه صرير الأبواب إلى شىء من الدفء ممزوجًا بالعاطفة والكبرياء وهى تقول: «تشارلز والاس» يعرف... يعرف أن الأمر يختلف كثيرًا عن حياة والده، «تشارلز والاس» يعرف من الذى فى خطر.

عادت السيدة «هُو» تقول: «ولكن تذكّر.. لا شىء مستحيل، يجب أن تأمل فى كل شىء».. «يوربيدس».

تساءل «كالڤن»: «أين نحن الآن، وكيف جئنا إلى هنا؟».

«أورييل، ثالث كواكب النجم «مالاك» فى السديم الدائرى 101».

تساءل «كالڤن» ناقمًا: «هل تتوقعان أن أصدق هذا؟».

قالت السيدة «ويتش» فى برود: «هذا شأنك أنت».

ولسبب ما، شعرت «ميج» أنه رغم نظرات السيدة «ويتش» وعصا مكنستها الطويلة التى تحملها من مكان لآخر، كانت تستحق أن يضع الإنسان ثقته الكاملة فيها، كانت إنسانة موضع ثقة كاملة.

ـ «ليس الأمر أكثر غرابة من كل ما قد حدث».

كان صوت «كالڤن» لايزال غاضبًا حتى أن نمش وجهه انتصب وهو يقول: «حسنا، فليخبرنى أحدكم كيف أتينا إلى هنا؟!، حتى لو كنا نسافر بسرعة الضوء، فالأمر سيستغرق سنوات وسنوات حتى نصل إلى هنا».

قالت السيدة «واتست» مفسرةً: «إننا لا نسافر بسرعة أى شىء، إننا نتجعد».

قال «كالڤن»: «واضح تماما».

وفكرت «ميج» متسائلة إذا كان لهذا الأمر أية علاقة بوالدتها وما تذكره عن البعد التناظرى الرابع وكادت أن تسأل عندما بدأت السيدة «ويتش» تتحدث، فهى حين تتكلم لا يقاطعها أحد.

«السيدة.. «واتست».. صغيرة.. و... ساذجة».

ـ ظلت تعتقد أن بمقدورها تفسير الأشياء بكلمات.. فقالت السيدة «هُو»: كلما زادت معارف الإنسان قل كلامه.. قالتها باللغة الفرنسية ثم الإنجليزية.

ثم ذكَّر «تشارلز والاس» السيدة «هُو» بأن عليها أن تستخدم كلمات بسيطة من أجل «ميج» و«كالڤن» قائلاً: مادمتِ قد أحضرتهما هنا، إذًا يحق لهما معرفة ما يجرى.

ثم قال «تشارلز»: «ولكنها يجب أن تستخدم الكلمات من أجل «ميج» و«كالڤن» ومادمتم أحضرتموهما هنا، فلهما الحق».

اتجهت «ميج» نحو السيدة «ويتش» وقد نسيت كل شىء عن البعد التناظرى الرابع، متسائلة: «هل أبى هنا؟».

هزت السيدة «ويتش» رأسها قائلة : «ليس.. هنا.. يا.. «ميج».. دعى.. السيدة.. «واتست».. تشرح.. لك .. إنها.. صغيرة.. و.. لغة.. الكلمات.. أسهل.. بالنسبة لها .. من... السيدة.. «هُو»..»، ومنى.

قالت السيدة «واتست» مفسرةً: «لقد توقفنا هنا؛ لنلتقط أنفاسنا؛ ولنمنحكم فرصة لمعرفة ما ستواجهونه».

تساءلت «ميج» : «ولكن ماذا عن أبى، هل هو بخير؟».

ـ «حاليًا نعم يا حبيبتى، إنه أحد أسباب حضورنا، ولكن كما ترون فهو واحد فقط».

ـ « حسنا أين هو؟ أرجوكِ أن تأخذينى إليه!».

قال «تشارلز»: «لا نستطيع.. ليس الآن، يجب أن تتحلى بالصبر يا «ميج»..».

صرخت «ميج» بانفعال: أنا لست صبورة!.. وما تحليت بالصبر أبدًا!.

نظرت السيدة «هُو» إليها فى رقة شديدة من خلال نظارتها اللامعة وقالت: إذا كنتِ ترغبين فى مساعدة والدك، فيجب أن تتعلمى الصبر.. فالإنسان يعرِّض حياته للخطر من أجل الحقيقة.

أومأت السيدة «واتست» برأسها وقالت: وهذا ما يقوم به والدك، كان صوتها مثل صوت السيدة «هُو»: فى غاية الجدية والصرامة.

ثم ما لبثت أن ابتسمت ابتسامتها المشرقة: «الآن! لماذا لا تتجولون معًا يا أطفال، وسيقوم «تشارلز» بتفسير الأشياء لكم، إنكم فى أمان تام على كوكب «أورييل» ولهذا توقفنا هنا للراحة».

تساءلت «ميج» فى خوف: «ولكن، ألا تأتون معنا؟».

ساد الصمت للحظة، ثم رفعت السيدة «ويتش» يدها الآمرة، قائلة: «أرشديهم للطريق»، قالتها للسيدة «واتست» ولشىء ما فى صوتها، شعرت «ميج» بشىء من الخوف.

تساءلت السيدة «واتست» وصوتها يزداد حدة: «الآن؟» وأيًا ما كان الشىء الذى أرادت السيدة «ويتش» أن تجعلهم يشاهدونه فقد جعل السيدة «واتست» متضايقة للغاية.

وقالت السيدة «ويتش»: «الآن.. و... ربما... يعرفون.. كذلك».

تساءلت السيدة «واتست»: «هل يجب أن... أن أتغير؟».

ـ «من الأفضل».

غمغمت السيدة «واتست» فى نفسها قائلة: «أتمنى ألا يتسبب ذلك فى كثير من الإزعاج للأطفال».

تساءلت السيدة «هُو»: «هل أتغير أنا أيضًا؟ آه.. ولكنى كنت سعيدة فى هذه الملابس ولكننى أعترف بأن السيدة «واتست» هى الأفضل فى هذا.. الصنعة تظهر الصانع، «قالتها بالألمانية ثم بالإنجليزية».. هل يجب أن أتحول الآن أيضًا؟».

هزت السيدة «ويتش» رأسها قائلة: «ليس بعد، ليس هنا، يمكنك أن تنتظرى».

عادت السيدة «واتست» تقول: «والآن، لا تخافوا يا أحبائى»، وبدأ جسدها الضئيل الممتلئ يرتعش ويتحول، فاختفت الألوان الزاهية للملابس وراح شكلها يتحول ويتمدد ويطول، وفجأة ظهر أمام الأطفال مخلوق أكثر جمالاً من كل ما تخيلته «ميج»، فلم تعد السيدة «واتست» هى السيدة «واتست»؛ لقد تحولت إلى جسد أبيض مثل الرخام مع أجنحة قوية، كان شيئًا يشبه الحصان، ولكن فى نفس الوقت ليس كحصان على الإطلاق؛ لأن مظهره القوى المستقيم ينبئ عن جذع تمثال قد تشكل بمهارة، امتد ذراعان ورأس يشبه رأس إنسان ولكن إنسان بكامل السمو والفضيلة، كان مظهرًا للفرح لم تره «ميج» من قبل وفكرت أنه ليس ذلك القنطور الإغريقى على الإطلاق، بدأ زوج من الأجنحة يظهر عند الكتفين، أجنحة من ألوان قوس قزح، من ضوء ساقط على الماء، سقط «كالفن» على ركبتيه.

قالت السيدة «واتست»: لا.. رغم أن صوتها لم يكن صوت السيدة «واتست».

ليس لى يا «كالڤن»، أبدًا ليس لى. قف.

أصدرت السيدة «ويتش» أمرها قائلة: «احمليهم».

وبإشارة قوية ورقيقة جثت السيدة «واتست» أمام الأطفال وقد فردت جناحيها فى ثبات قبل أن يقول الصوت الجديد: «الأن اصعدا على ظهرى».

تقدم الأطفال فى خطوات مترددة نحو ذلك المخلوق الجميل.

ثم تساءل «كالڤن»:

«ولكن، بماذا ندعوكِ الآن؟».

قال الصوت الجديد الذى يحمل دفء المزمار ونقاء البوق وسحر النفير الإنجليزى: «أعزائى، لا يمكن أن تغيروا اسمى فى كل مرة أتحول فيها، كما أننى سعيدة لكونى السيدة «واتست» وأظن أنه من الأفضل أن أحتفظ بهذا الاسم»، وابتسم أو ابتسمت للأولاد فأشعّت الابتسامة بإحساس ملموس كالنسيم الهادئ وفى دفء شعاع الشمس.

صعد «تشارلز والاس» على ظهرها قائلاً: «هيا».

تبعه «كالڤن» و«ميج» وجلست الأخيرة بين الولدين، ارتجف الجناحان الكبيران ثم رفعتهما السيدة «واتست» فى الهواء.

اكتشفت «ميج» بعد قليل أنه لا داعى لأن تمسك «تشارلز» أو «كالڤن»، فقد كانت رحلة المخلوق الكبير رقيقة وهادئة وكان الصبية ينظرون إلى المنظر من حولهم فى شغف.

أشار «تشارلز والاس» قائلا: «انظرا.. إن الجبال عالية للغاية لدرجة أنك لا تستطيع أن ترى قممها».

نظرت «ميج» لأعلى الجبال، حيث كانت بالفعل تبدو ألاً نهاية لها.

تركوا الحقول الخصبة وحلقوا فوق سهل كبير من صخور الجرانيت تشكل أعمدة شديدة الضخامة من الحجارة، اتخذت شكلا منتظمًا وإن كان لا يشبه التماثيل، كانت أشكالاً لم ترها «ميج» من قبل، فراحت تتساءل: إذا كانت قد تشكلت بفعل الطقس أم الرياح أم أن هذا هو تكوين الأرض هنا أم أن هذا من عمل كائنات، مثل التى تمتطيها؟!

وتركوا منطقة سهل الجرانيت ليحلقوا فوق حديقة أجمل من أى حلم، تجمعت بها مجموعة من المخلوقات التى تشبه السيدة «واتست»، بعضها يرقد وسط الزهور، والبعض الآخر يسبح فى نهر متلألئ يجرى وسط الحديقة، والبعض الآخر يطير فى تشكيل رأت «ميج» أنه يشبه الرقص، وتلك المخلوقات تتحرك داخل وحول الأشجار، وكانت تعزف نوعًا من الموسيقى لم يأت من حناجرها فقط، بل أيضًا من حركة أجسادها وكذلك أجنحتها.

تساءلت «ميج» عن هذه المخلوقات قائلة: «ماذا تغنى؟».

هزت السيدة «واتست» رأسها الجميل: «لا أستطيع أن أحول ذلك إلى كلماتكم، هل تستطيع أن تفسر شيئًا منها يا «تشارلز»؟».

جلس «تشارلز والاس» فى ثبات فوق الظهر المتسع وهو ينصت باهتمام تمامًا كما لو كان يحاول تخمين ما يدور فى عقلى «ميج» ووالدته، ثم قال: «قليلاً، قليلاً جدًا، ولكننى أظن أن باستطاعتى استيعاب المزيد مع الوقت».

«نعم. يمكنك أن تتعلمها يا «تشارلز» ولكن لا يوجد وقت.. نستطيع البقاء فترة طويلة تكفى للاستراحة وعمل بعض الاستعدادات فقط».

بالكاد سمعتها «ميج»، فعادت تقول: «أريد أن أعرف ماذا يقولون.. أريد أن يعرف ما يعنيه ذلك».

قالت السيدة «واتست»: «حاول يا «تشارلز»، حاول أن تترجم، يمكنك أن تترك نفسك الآن، ولا يجب أن تتوقف».

صاح «تشارلز والاس»: بصوت حزين: «ولكننى لا أستطيع، فحتى الآن لا أعرف ما يكفى!».

« حاول أن تعمل معى وسأرى إذا لم أستطع أن أشرح لهم قليلاً من الأمر».

أنا أعرف هذه النظرة: فكرت «ميج» فجأة.. أعتقد الآن أننى أعرف ماذا تعنى هذه النظرة! لأنها كانت تظهر عليها أحيانًا أثناء مذاكرة الرياضيات مع والدها، عندما تكون المسألة على وشك الحل.

بدا أن السيدة «واتست» تسمع لأفكار «تشارلز»، حتى قالت: «حسنًا، نعم. ها هى فكرة، يمكننى أن أحاول، إنه أمر سيئ، ألا تعرفون أن تقدموها لى بشكل مباشر؟ سيكون عملاً كثيرًا بهذه الطريقة يا «تشارلز»..».

فقال «تشارلز»: «لا تكونى كسولاً».

لم تتعامل السيدة «واتست» مع الأمر على أنه إهانة، فقالت مفسرةً: «إنه نوع العمل المفضل لى يا «تشارلز»، ولهذا اختارونى للذهاب رغم صغر سنى، إنها موهبتى الحقيقية، ولكنها تستهلك قدرًا مذهلاً من الطاقة وسنحتاج لكل مقدار ولو قليل من الطاقة لما هو أمامنا، ولكننى سأحاول من أجل «كالفن» و«ميج».. سأحاول، وصمتت، والجناحان العملاقان توقفا عن الحركة، حتى بدأت تتكلم؛ لتشعر «ميج» بأن الكلمات تحيط

بهم، بل وتمسهم أيضًا: «غنوا للرب أغنية جديدة وسبحوه فى نهاية الأرض، أنتم يا من تهبطون للبحر وكل مكان.. الجزر والسكان هناك، دعوا البرية والمدن ترفع أصواتها، دعوا سكان الصخرة يغنوا، دعوهم يصيحوا من أعلى التلال، دعوهم يمجدوا الرب».

وشعرت «ميج» بالفرح يسرِى فى جسدها بشكل لم تعهده من قبل، وامتدت يد «كالفن» ولكنه لم يمسك بيدها، وإنما راح يمسها بأصابعه؛ ليسرى الفرح فى جسديهما جيئة وذهابًا بينهما ومن حولهما وداخلهما.

عندما زفرت السيدة «واتست» بدا مبهمًا تمامًا، أنه وسط هذا النعيم يمكن أن تأتى أقل همسة شك.

فقالت فى صوت يعبر عن حزن عميق: «يجب أن نذهب الآن يا أطفال» ولم تفهم «ميج» ورفعت رأسها، فى حين صاحت السيدة «واتست» بنداء آمر، فرفع أحد المخلوقات التى كانت تحلق فوق الأشجار رأسه؛ ليستمع، ثم طار؛ ليلتقط ثلاث زهرات من شجرة تنمو بالقرب من النهر وأحضرها، فقالت السيدة «واتست»: «واحدة لكل منكم وسأخبركم بطريقة استخدامها فيما بعد».

عندما أمسكت «ميج» بالزهرة، لاحظت أنها ليست برعمًا واحدًا ولكن مئات من البراعم تكون شكل جرس مجوف.

تساءل «كالفن»: «إلى أين نذهب؟».

«لأعلى».

تحرك الجناحان بثبات وسرعة وتركوا الحديقة خلفهم، وكذلك ساحة الجرانيت وأشكالها الضخمة، ثم ارتفعت السيدة «واتست» لأعلى وأعلى

وتحتهم كانت أشجار التلال تتضاءل وتقل كثافتها حتى اختفت وأصبحت متناثرة، ثم حلت محلها شجيرات قصيرة ثم أصغر، ثم أعشاب جافة، ثم تلاشت الخضرة تمامًا وحل محلها صخور مدببة وحادة وخطيرة، فقالت السيدة «واتست»: «تماسكوا جيدًا؛ حتى لا تنزلقوا».

وشعرت «ميج» بذراع «كالفن» يحيط بخصرها؛ ليؤمنها وهم يتحركون لأعلى.

الآن هم وسط السحب، فلم يعد باستطاعتهم رؤية شيء سوى لون أبيض، ورطوبة الجو تلتصق بهم، وتتكثف فى شكل قطرات ثلج. ارتعشت «ميج» وزاد «كالفن» من تشديد قبضته عليها، فى حين جلس «تشارلز والاس» أمامها فى هدوء، ثم التفت؛ ليمنحها نظرة عطف واهتمام، ولكن «ميج» شعرت مع كل دقيقة تمر أنه يزداد ابتعادًا، وأنه يبتعد عن كونه الطفل المحبوب ويقترب من النوع الذى عليه السيدة «واتست» والسيدة «هُو» والسيدة «ويتش».. وفجأة اندفعوا خارجين من بين السحب إلى عمود من الضوء، كانت الصخور لاتزال من تحتهم، أما من فوقهم، فكانت الصخور آخذة فى الارتفاع حتى السماء، لكن كان يبدو أنهم ارتفعوا مسافة أميال لأعلى، أخيرًا استطاعت «ميج» أن ترى أين ينتهى الجبل.

استمرت السيدة «واتست» فى صعودها وقد زادت حركة جناحيها قليلاً، وشعرت «ميج» بدقات قلبها تتسارع، وبدأ العرق البارد يتجمع على وجهها وشعرت بشفتيها كما لو أن لونهما يتحول للزُّرقة وبدأت تلهث.

قالت السيدة «واتست»: «حسنا يا أطفال.. استخدموا الزهور الآن فسيقل الهواء من الآن، ارفعوا الزهور لوجوهكم وتنفسوا خلالها، فهذا

سيمنحكم الأكسيچين الكافى، لن يكون كافيًا كما اعتدتم، لكنه سيكون كافيًا على أية حال».

كانت «ميج» قد نسيت أمر الزهور وإن كانت سعيدة؛ لأنها لاحظت أنها لاتزال ممسكة بها ولم تفقدها من بين أصابعها، وضعت وجهها فى الزهور وتنفست بعمق.

كان «كالڤن» لايزال ممسكًا بها بذراع واحدة، مقربًا الزهور من وجهه أيضًا.

أما «تشارلز والاس» فحرك يده بالأزهار ببطء تقريبًا، كما لو كان فى حلم، امتدت أجنحة السيدة «واتست» وسط ضيق المجال الجوى وكانت القمة قد اقتربت منهم حتى وصلوا إليها، وتوقفت السيدة «واتست»؛ لترتاح على صخرة فضية ناعمة، وأمامهم كان هناك قرص أبيض عملاق..

قالت السيدة «واتست» بصوتها الجهورى، وأنفاسها متقطعة: «إنه أحد أقمار «أورييل»..».

صرخت «ميج»: «إنه جميل.. جميل».

غمرهم الضوء الفضى من القمر العملاق: يغمر الأطفال والسيدة «واتست» وقمة الجبل.

قالت السيدة «واتست» وقد استعادت قوة صوتها مما أخاف «ميج» ثانية: «سنستدير الآن».

ولكنهم لم يروا أى شىء عندما استداروا، فأمامهم كانت السماء الزرقاء الصافية وأسفل منهم كانت الصخور تبرز من وسط متقلب من السحب البيضاء.

قالت السيدة «واتست»: «سننتظر الآن، حتى غروب الشمس والقمر».

وما إن تكلمت حتى بدأ الضوء يخفت إلى أن عمّ الظلام.

فقال «تشارلز والاس»: «أريد أن أرى غروب القمر».

«لا يا صغيرى.. لا تلتفت ولا أى منكم.. واجهوا الظلام، فسيكون ما يجب علىّ أن أريكم إياه أكثر وضوحًا حينئذ، انظروا أمامكم تماما إلى أبعد ما تستطيعون».

شعرت «ميج» بألم فى عينيها من معاناة النظر إلى لا شىء، ثم بدأت ترى ظلاً أعلى السحب التى تحيط بالتل؛ ظلاً شاحبًا بعيدًا، لدرجة أنها لم تكن واثقة من رؤيتها له.

قال «تشارلز والاس»: «ما هذا؟».

أشار «كالڤن»: «هناك ظل.. ما هذا؟ أنا لا أحب ذلك».

أمرتهم السيدة «واتست» قائلة: «انظروا».

كان مجرد ظل، لم يكن ملموسًا كسحابة، تُرى، هل كان مدفوعا بواسطة شىء ما؟ أم هو شىء فى حد ذاته؟

أظلمت السماء وتحول الضوء الذهبى للأزرق وأحاط بهم، وبدأ اللون الأزرق يتحول إلى أزرق داكن، حتى لم يعد هناك سوى سماء الليل وقد انتشر وميض نجم، ثم غيره وغيره، كان عدد النجوم أكثر بكثير من أى عدد نجوم رأته «ميج» من قبل.

«الجو خانق جدًّا هنا»، قالتها السيدة «واتست» كما لو كانت تجيب عن سؤال لم يوجه، إنه هو السبب فى جعل رؤيتكم غير واضحة كما هو الحال فى وطنكم، والآن انظروا، انظروا أمامكم.

نظرت «ميج» فوجدت الظل الداكن لايزال مكانه، إنه لم يتلاشَ أو يتشتت بسبب حلول الليل، وحيث كان الظل لم تكن النجوم ظاهرة.

ما الذى يجعله ظلاً مخيفًا إلى هذا الحد؟ كانت تعرف أن أى شىء لم ولن يثير الرعدة والخوف فيها مثله، لقد كان أبعد من الرعدة، أبعد من البكاء أو الصراخ، أبعد من إمكانية الشعور بالراحة.

سقطت يد «ميج» الممسكة بالزهور ببطء، وبدا كما لو أن سكينا قد غرزت فى رئتيها فلهثت ولكن لم يكن هناك هواء لتتنفسه، أحاط الظلام بعينيها وعقلها، ولكن ما إن بدأت تغيب عن الوعى حتى اقترب رأسها من الزهور التى كانت لاتزال ممسكة بها، وما إن استنشقت عبير نقائها حتى عاد عقلها وجسدها للوعى، ثم نهضت ثانية.

كان الظل لايزال هناك مظلمًا ومفزعًا.

أمسك «كالڤن» يدها بقوة، ولكنها لم تشعر بقوة ولا بطمأنينة من خلال لمسته، وسرت رعشة فى جسد «تشارلز والاس» بجانبها ولكنه ظل ساكنًا تمامًا، فكرت «ميج»: لا يجب أن يرى هذا الشىء، فهذا كثير جدًّا على صبى صغير، لا يهم اختلافه ولا تميزه، فهو صبى صغير فى كل الأحوال.

فاستدار «كالڤن» رافضًا هذا الشىء المظلم الذى يحجب ضوء النجوم قائلاً: «أبعديه يا سيدة «واتست».. أبعدى هذا الشىء الشرير».

وببطء استدار المخلوق العملاق ليصبح الظل خلفهم وتبدو النجوم واضحة وضوؤها الخافت على التل، ووجه القمر المستدير وهو يهبط سريعًا فى الأفق حينئذ.. وبدون أية كلمة من السيدة «واتست» وجدوا أنفسهم

يهبطون لأسفل حتى وصلوا للسحب، فقالت السيدة «واتست»: «يمكنكم أن تتنفسوا بدون الأزهار الآن يا أطفالى».

عاد الهدوء مرة أخرى ولم ينطق أحدهم بكلمة، كما لو أن الظل قد وصلهم بقوته المظلمة ولمسهم، فلم يعد لدى أى منهم القدرة على الكلام، وعند عودتهم للحقل المزهر المضاء بنور النجوم وضوء قمر آخر أصغر من الأول، وضوؤه أكثر اصفرارًا لاحظوا بالتالى أن جسد المخلوق الجميل الذى يحملهم قد أصبح صلبًا مثل أجسادهم.

بحركة شيقة هبط للأرض وبسط جناحيه، وكان «تشارلز والاس» هو أول من ينزلق وهو يصيح: «سيدة «هُو»، سيدة «ويتش» !» وسرت رجة مفاجئة فى الهواء ورأوا نظارات السيدة «هُو» المألوفة تلمع نحوهم وظهرت السيدة «ويتش» هناك أيضًا ولكن ـ كما أخبرتهم ـ فقد كان من الصعب أن تتجسد بصورة كاملة ورغم وجود ردائها وقبعتها المدببة فإن «ميج» استطاعت أن ترى من خلالهما التل والنجوم وهبطت من على ظهر السيدة «واتست» وسارت فى غير توازن بعد هذه الرحلة الطويلة نحو السيدة «ويتش».

قالت: «ذلك الشىء الأسود.. هو ما يحاربه والدى!».

5 البُعد التناظرى الرابع

أجابت السيدة «ويتش»: «نعم. إنه خلف الظلمة.. حتى نحن لم نستطع رؤيته».

بدأت «ميج» تبكى وتنتحب بصوت مرتفع، وخلال دموعها رأت «تشارلز» يقف هناك، صغيرًا وشاحبًا، أما «كالڤن» فقد أحاطها بذراعيه ولكنها ابتعدت وهى تبكى بشدة، حتى أحاطت بها أجنحة السيدة «واتست» الضخمة، فشعرت بالراحة والقوة تتسرب إليها ولم تكن السيدة «واتست» تتكلم بصوت مرتفع ولكن وسط جناحيها استطاعت «ميج» أن تفهم الكلمات:

«صغيرتى لا تيأسى، هل تظنين أننا سنحضركم إلى هنا لو لم يكن هناك أمل؟ إننا نطلب منك شيئا صعبا ولكننا نثق أنك تستطيعين أن تقومى به.. والدك يحتاج لمساعدتكم، يحتاج للتشجيع، ولأطفاله قد يستطيع أن يفعل ما لا يستطيع أن يفعله لنفسه».

قالت السيدة «ويتش»: «والآن .. هل نحن مستعدون؟».

تساءل «كالڤن»: «إلى أين سنذهب؟».

ولمرة أخرى شعرت «ميج» بهذه الوخزة المحسوسة من الخوف عندما تحدثت السيدة «ويتش»: يجب أن نذهب خلف الظل..».

أراحتهم السيدة «واتست»: «ولكننا لن نقوم بهذا على الفور، سنقوم به على مراحل» ثم نظرت إلى «ميج» متابعة: «الآن سنعود .. سنتجعد مرة أخرى.. هل تفهمون؟».

أجابت «ميج»: «لا».

زفرت السيدة «واتست» قائلة: «إن التفسيرات ليست سهلة خاصة عند الحديث عن أشياء لم تستطع حضارتكم صياغة مسميات لها.. لقد تحدث «كالڤن» عن السفر بسرعة الضوء، أنت تفهمين ذلك يا «ميج».. أليس كذلك؟».

أومأت «ميج»: «بلى».

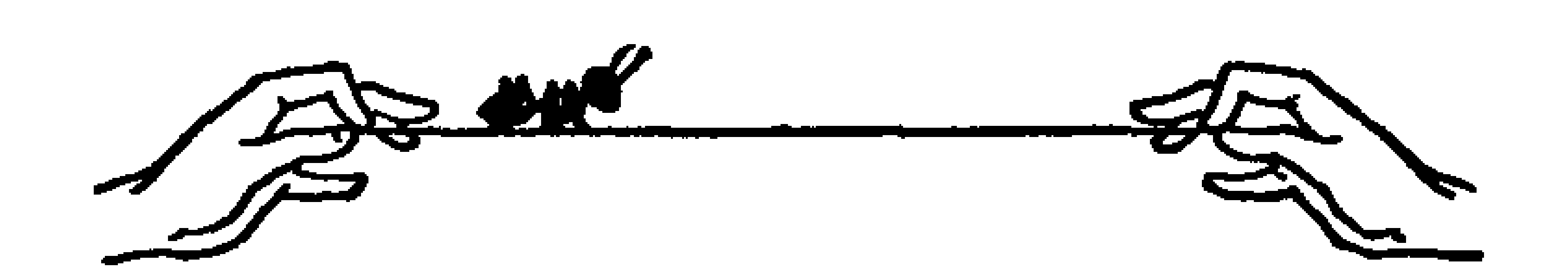
«هذا بالتأكيد أسلوب غير عملى، لقد تعلمنا أن نختصر كلما أمكن».

تساءلت «ميج»: «مثلما فى الرياضيات؟».

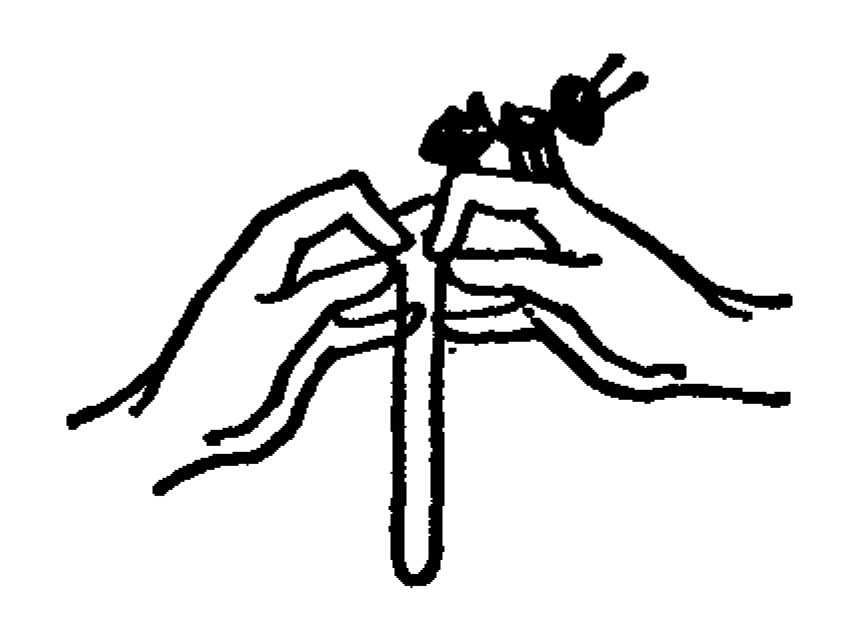
أجابت السيدة «واتست» وهى تنظر نحو السيدة «هُو»: «مثل الرياضيات، أريهم باستخدام تنورتك».

تحدثت السيدة «هُو» بالأسبانية أولاً، مفسرةً: «التجربة هى أمُّ المعرفة» سيرفانتس ثم أمسكت بجزء من ملابسها وضمت قبضة يدها عليه.

قالت السيدة «واتست»: «أترون! لو أن حشرة صغيرة جدًّا كانت تريد أن تتحرك من مكان فى تنورة السيدة «هُو» من اليمين إلى اليسار فستكون مسيرة طويلة لو سارت مباشرة.



بسرعة ضمت السيدة «هُو» يديها وهى لاتزال تمسك بالتنورة، فعادت السيدة «واتست» تقول: «وكما ترون الآن، فإنه يستطيع أن يصل إلى غايته دون هذه الرحلة الطويلة وهذه هى طريقة سفرنا».



تقبل «تشارلز والاس» التفسير فى هدوء، حتى «كالڤن» لم يبد عليه الانزعاج ولكن «ميج» زفرت قائلة : «يا إلهى.. أظن أننى غبية، فأنا لم أفهم».

قالت لها السيدة «واتست»: «هذا لأنك تفكرين فى الفراغ من خلال ثلاثة أبعاد فقط، إننا نسافر فى البعد الخامس، إنه شىء يمكنك فهمه يا «ميج».. لا تخافى من المحاولة، ألم تشرح لك والدتك شيئًا عن البعد التناظرى الرابع لمكعب؟».

قالت «ميج»: «فى الحقيقة، لم تذكر والدتى شيئًا عنه، لقد انزعجت بشدة من ذلك الموضوع، لكن لماذا يا سيدة «واتست». لقد قالت: إنه كان ثمة شىء بينها وبين والدى».

أجابتها السيدة «واتست»: «لقد كان مفهومًا يناقشانه، وهو الذهاب لما بعد البعد الرابع نحو الخامس، هل شرحت لك والدتك هذا يا «تشارلز»؟».

بدا على «تشارلز» شىء من الحرج وهو يقول: «نعم. أرجو ألا يضايقك هذا يا «ميج»، لقد ألححت عليها وأنت فى المدرسة حتى عرفت».

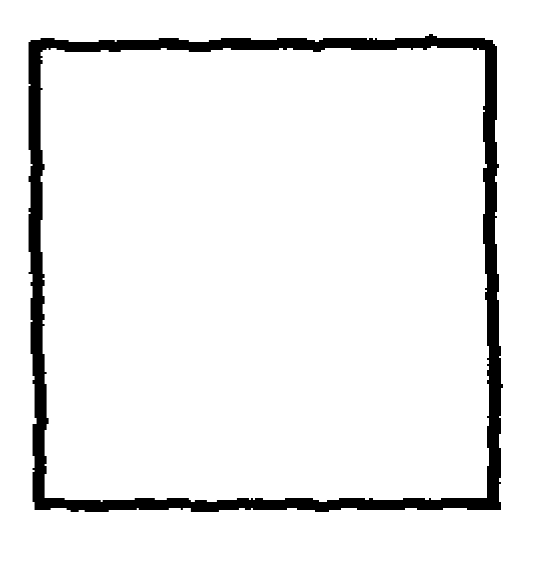
زفرت «ميج» قائلة: «فقط، فسر الأمر لى».

فقال «تشارلز»: «حسنًا .. ما البعد الأول؟».

- «حسنًا.. خط: ________________ ».

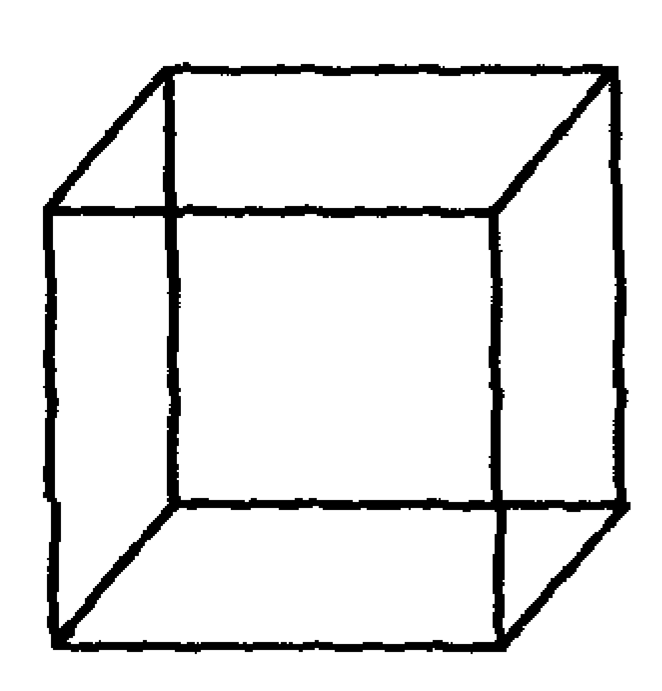
- «حسنًا، والبعد الثانى؟».

- «عليك بجعل الخط مربعًا، المربع المسطح سيكون فى البعد الثانى».



- «والثالث؟».

- «عليك بجعل البعد الثانى مربعًا فلا يعود المربع مسطحًا، سيكون له قاع وأضلاع وقمة».



ـ «والرابع؟».

حسنًا، أعتقد أنك لو أردت تفسير الأمر بطريقة رياضية فسيكون عليك تربيع المربع، ولكنك لن تستطيع أن تمسك بقلم وترسمه بنفس الطريقة التى رسمت بها الثلاثة الأوائل، أعلم أن هذا له علاقة بأينشتاين والوقت.. أعتقد أنه بإمكانك إطلاق لفظ البعد الرابع على الوقت.

قال «تشارلز»: «هذا صحيح.. أنت رائعة، حسنا وللبعد الخامس فستقومين بتربيع الرابع.. أليس كذلك؟».

ـ «أظن هذا».

ـ «حسنًا، البعد الخامس هو البعد التناظرى الرابع لو أضفت هذا للأبعاد الأربعة.. يمكنك السفر عبر الفضاء دون الحاجة إلى السير حول الطريق الطويل، أو بمعنى آخر: فإن هذا بنفس نظرية «إقليدس» فى الهندسة المستوية القديمة حيث لا يُعد الخط المستقيم هو أقصر مسافة بين نقطتين».

ولوهلة، بدا على وجه «ميج» نفس تعبير الإنصات الشديد الذى يظهر على وجه «تشارلز» عندما يقترب من فهم شىء حتى صاحت: «نعم. لقد فهمت، لقد استوعبتها فجأة، لا أستطيع أن أفسرها الآن ولكن للحظة رأيتها»، ثم استدارت فى إثارة نحو «كالفن» قائلة: «هل فهمت؟».

أومأ قائلاً: «ما يكفى لأفهمها لكن ليس بالطريقة التى يفهمها «تشارلز» ولكن ما يكفى لاستيعاب الفكرة».

فقالت السيدة «ويتش»: «حسنًا.. سنذهب الآن.. ليس هناك وقت..».

تساءلت «ميج»: «هل يمكن أن نمسك بأيدى بعضنا؟».

أمسك «كالڤن» بيدها بقوة بين يديه.

قالت السيدة «واتست»: «حاولى.. ولكننى لست واثقة من مدى نجاح ذلك، فرغم سفرنا معًا كما ترين إلا أننا نسافر وحدنا، سنذهب أولا ثم نأخذكم بعد ذلك فى حركة الهواء الخلفية وقد يكون هذا أسهل لكم» وأثناء حديثها بدأ الجسد الأبيض الكبير يهتز وتحللت الأجنحة إلى ضباب، وبدا كما لو أن السيدة «هُو» تتبخر حتى لم يعد هناك شىء سوى نظارتها ثم اختفت النظارة أيضًا، لقد ذكّرت «ميج» بقطة «تشيشير»(*).

وراحت «ميج» تفكر: «لقد رأيت وجهها بلا نظارة ، ونظارة بلا وجه! تُرى، هل سأذهب بهذه الصورة أيضًا، أنا أولا ثم نظارتى؟».

ونظرت نحو السيدة «ويتش»، كانت هناك، ثم لم تعد هناك.

هبت ريح مباغتة، ثم صوت تحطم حاد، كما لو كانت قد اصطدمت بـ... ماذا؟ ثم الظلام، السكون، أم العدم؟ لو كان «كالڤن» لايزال ممسكا بيدها لما شعرت به ولكن هذه المرة كانت مستعدة للانتقال الفجائى الكامل لجسدها، وعندما شعرت بذلك الوخز فى أطراف أصابعها علمت أن الرحلة قد قاربت على الانتهاء وعادت تشعر بضغط يد «كالڤن» على يدها.

وبلا تحذير، كما لو كانت صدمة كاملة غير متوقعة، شعرت بضغط لم تتخيله مطلقًا، كما لو أن آلة رصف طرق قد سارت فوق جسدها، كان هذا أكثر بكثير من العدم، فعندما أصبحت لا شىء لم تكن هناك حاجة للتنفس، لكن الآن التفّت رئتاها حول بعضها، لدرجة أنها شارفت على الموت بسبب حاجتها للهواء، ولم تعد هناك وسيلة لانبساط أو انقباض

(*) قطة ورد ذكرها فى قصة «أليس فى بلاد العجائب».

رئتيها؛ لتتنفس الهواء الذى تحتاجه؛ لتظل على قيد الحياة، كان هذا مختلفًا تمامًا عن ضيق الغلاف الجوى حينما طاروا فوق الجبل وكانت مضطرة لتقريب الزهور من وجهها؛ حتى تستطيع التنفس.. حاولت أن تلهث ولكن الدمية الورقية لا تستطيع أن تلهث، وظنت أنها تحاول التفكير ولكن عقلها المسطح لم يعد قادرًا على العمل مثل رئتيها، فلقد سُحقت أفكارها مع باقى جسمها وحاول قلبها أن يخفق ولكنه تحرك كالسكين من جانب لآخر دون أن يستطيع أن يتمدد.

ثم بدت وكأنها تسمع صوتًا أو إذا لم يكن صوتًا، فعلى الأقل كلمات، كلمات مسطحة كالحروف المطبوعة على الورق «لا.. لا يمكن أن نتوقف هنا! إنه كوكب ثنائى الأبعاد ولا يمكن أن يتكيف الأطفال معه!».

عادت بسرعة للعدم مرة أخرى، وكان العدم رائعًا، ولم تهتم بأنها لا تشعر بيد «كالفن» وهو يمسك يدها بقوة؛ نظرًا لأنها لم تستطع أن ترى أو تشعر أو تكون، كان التخلص من الضغط المفرط هو كل ما كانت تحتاجه، ثم بدأ الشعور بوخز خفيف يعود إلى أصابع يديها، أصابع أرجلها، استطاعت الشعور بـ «كالفن» يمسك بها بقوة.. قلبها يدق بانتظام، الدم يسرى عبر الأوردة، ومهما حدث وأيًّا كان الخطأ الذى حدث فلقد انتهى الآن، وبدا لها أنها تسمع «تشارلز والاس» وهو يتكلم بصورة طبيعية تمامًا: «حقًّا سيدة «واتست» لقد كدت أن تقتلينا!».

هذه المرة قُذفت من البعد الخامس المخيف فجأة، وبهزة مفاجئة سريعة عادت لنفسها مرة أخرى لتجد نفسها تقف بجوار «كالفن» وهى تمسك بيده للحياة الغالية وأمامها كان «تشارلز والاس» والسُّخط باديا عليه.. أما

السيدات الثلاث: «واتست» و«هُو» و«ويتش» فلم يكُنَّ ظاهرات إلا أنها كانت تعلم بوجودهن، كانت فكرة حضورهن واقعًا قويًا جدًّا بالنسبة لها.

انبعث صوت السيدة «واتست» قائلاً: «معذرة.. يا أطفال.. والآن.. اهدأ ..يا «تشارلز»..».

عاودت السيدة «واتست» ظهورها ولكن ليس كفرس مجنح أبيض جميل كما كانت، بل فى صورتها المألوفة وملابسها الكثيرة ومعطفها وقبعتها ووشاحها، وهى تقول: «أنت تعرف كم هو صعب عليها أن تتجسد، إن لم تعد لحقيقتك المادية؛ فسيكون من الصعب إدراك حدود البروتوبلازم»(*).

عادت السيدة «ويتش» تقول: « أنا ... آسفة..» ولكن هذه المرة كان صوتها يحمل شيئًا من المزاح.

ضرب «تشارلز» الأرض بقدمه فى حركة طفولية قائلاً: «هذا ليس مضحكًا».

لمعت نظارة السيدة «هُو»، ثم ظهر جسمها ببطء بعد ذلك، وقالت وهى تبتسم: «مثل شخصية بروسبير فى مسرحية العاصفة لشكسبير، إننا مثل الأحلام.. أنا أحب هذه المسرحية».

تساءل «تشارلز»: «هل فعلت ذلك عمدًا؟».

قالت السيدة «واتست» بسرعة: «بالطبع لا يا عزيزى، لقد كان خطأ، فالتفكير بشكل جسدى أمر صعب على السيدة «ويتش»، وهى لن تتعمد إيذاءك وأنت تعرف هذا، كما أنه كوكب صغير جميل ومن الممتع أن يكون مسطحا ونحن نستمتع بزياراتنا إلى هناك».

(*) البروتوبلازم: هو المادة الحية الأساسية فى الخلايا النباتية والحيوانية.

تساءل «تشارلز والاس»: «أين نحن الآن إذن ؟ ولماذا؟».

«إننا فى حزام «أوريون»، ولنا صديق هنا ونريدكم أن تلقوا نظرة على كوكبكم».

تساءلت «ميج» فى قلق: «متى نعود للمنزل؟ وماذا عن أمى؟ والتوأم؟ سيكونون فى غاية القلق علينا إذا لم نعد فى وقت النوم.. بل إن أمى فى غاية القلق الآن.. هى والتوأم و«فورت» سيخرجون للبحث عنا وبالطبع لن نكون هناك».

قالت السيدة «واتست» فى سعادة: «لا تقلقى يا صغيرتى، إننا نعتنى بذلك الأمر وخططنا له قبل مغادرتنا، فوالدتك لديها ما يقلقها معك أنت و«تشارلز» دون أية معرفة عن والدك، إننا نستطيع ضغط الوقت كما نستطيع ضغط الفضاء، إنه أمر سهل إذا عرفت كيف».

سألتها «ميج» بوضوح: «ماذا تقصدين من فضلك يا سيدة «واتست»، الأمر لايزال غامضًا؟».

قالت السيدة «واتست»: «اهدئى ولا تُقلقى نفسك بأشياء لا تستدعى هذا الضيق، لقد قسمنا الوقت بطريقة دقيقة للغاية، وإذا لم يحدث أى خطأ فسنعيدكم قبل مغادرتكم المنزل بخمس دقائق، وبهذا لن يعرف أحد بذهابكم رغم أنكم ستخبرون والدتكم، تلك الحمل الوديع، وهذا كل شىء يا عزيزتى، وإذا حدث خطأ فلا مشكلة إذا لم نعد على الإطلاق».

جاء صوت السيدة «ويتش» وهى تقول: «لا تخيفيهم.. هل فقدتِ إيمانك ؟».

«مستحيل، لا .. لا لم يحدث».

ولكن «ميج» رأت أن صوتها يبدو أكثر خفوتًا، فقال «كالڤن»:

«أتمنى أن يكون لطيفًا، ولكننا لا نرى معظمه».. هل هذا الكوكب يضيء؟».

نظرت «ميج» حولها، مدركة أنها كانت مرهقة للغاية من الرحلة، والتوقف فى الكوكب ثنائى الأبعاد، لدرجة أنها لم تلحظ المكان من حولها، وربما لم يكن ذلك مدهشًا؛ لأن الشيء الرئيسى عن كل ما يحيط بهم هو أنه غير ملحوظ، لقد بدا كأنهم يقفون على ما يشبه سطحًا مستويًا ويحيط بهم هواء رمادى اللون، ليس ضبابًا بالضبط ولكنها لم تستطع أن ترى شيئًا من خلاله، فكانت الرؤية محدودة بأجسام «تشارلز والاس» و«كالڤن» وكذلك السيدة «هُو» والسيدة «واتست» ووميض السيدة «ويتش» الباهت.

قالت السيدة «واتست»: «تعالوا يا أطفال، لن نذهب بعيدًا وربما نمشى، سيكون من المفيد أن تتمشوا قليلاً».

وعندما تحركوا وسط الهواء الرمادى لمحت «ميج» ما يشبه الصخور البركانية ولكن لم يكن هناك أى أثر لأشجار أو أى نبات، لا شيء سوى أرض مسطحة تحت أقدامهم، لا أثر لأية حياة نباتية على الإطلاق.

وأخيرًا ظهر أمامهم ما يشبه تلاً حجريًا، وعندما اقتربوا منه استطاعت «ميج» أن ترى به مدخلاً يؤدى إلى كهف مظلم وعميق، فتساءلت بعصبية: «هل سندخل هنا؟».

أجابت السيدة «واتست»: «لا تخافى، من السهل أن تعمل «هابى

ميديام» هنا.. ستحبونها يا أطفال فهى مرحة جدًا، ونادرًا ما أراها غير سعيدة، وإذا حدث ذلك، فأنا نفسى أشعر بالاكتئاب، ومادامت هى قادرة على الضحك أكون واثقة من أن كل شىء سيكون على ما يرام فى النهاية».

انطلق صوت السيدة «ويتش» قائلاً: «سيدة.. «واتست».. كونك صغيرة جدًا.. لا يعد عذرًا.. للتحدث كثيرًا».

بدا الألم على السيدة «واتست».

فسألها «كالڤن»: «كم عمرك؟».

غمغمت السيدة «واتست» لحظة واحدة وبدا كأنها تحسب سريعًا على أصابعها حتى أومأت قائلة بالضبط: «2379152497 سنة وثمانية شهور وثلاثة أيام طبقًا لتقويمكم وهو ما يجعله غير دقيق تمامًا»، ثم اقتربت من «ميج» و«كالڤن» هامسة: «لقد كان شرفًا عظيمًا لى أن يتم اختيارى لهذه المهمة، لقد كان هذا بسبب قدرتى على التعبير اللفظى والتجسد، ولكننا بالطبع لا نعدد مواهبنا وإنما المهم هو كيفية استخدامها وأنا أخطئ كثيرًا، ولهذا فأنا أسعد أنا والسيدة «هُو» برؤية السيدة «ويتش» وهى تقوم بخطأ عندما حاولت الهبوط بكم على كوكب ثنائى الأبعاد؛ وعلى هذا السبب كنا نضحك، ليس عليكم كما أنها كانت تضحك على شخصها، فهى تعاملنا نحن الأصغر منها بلطف شديد».

كانت «ميج» تستمع باهتمام لما تقوله السيدة «واتست» لدرجة أنها لم تلاحظ دخولهم للكهف، فكان الانتقال من اللون الرمادى الخارجى إلى اللون الرمادى الداخلى غير ملحوظ ورأت ضوءًا يرتعش أمامهم، اتجهوا نحوه وأثناء اقترابهم عرفوا أنه نيران.

قالت السيدة «واتست»: «إن الجو يزداد برودة هنا، لهذا طلبنا منها أن نضىء المشاعل من أجلكم».

عندما اقتربوا من النيران رأوا ظلاً داكنًا أمامهم، وعندما اقتربوا أكثر أدركوا أن الظل كان ظل امرأة ترتدى عمامة من الحرير البنفسجى الباهت وعباءة قرمزية لامعة وبين يديها استقرت كرة من البلُّور راحت تحدّق بها، ولم يبدُ عليها أنها رأت الأطفال أو أيًا من السيدة «واتست» أو السيدة «هُو» أو السيدة «ويتش»، ولكنها كانت مستغرقة فى التحديق بالكرة البلورية، وكلما تحدق تضحك، وأخذت تضحك وتضحك على ما تراه.

انبعث صوت السيدة «ويتش» واضحًا وقويًا ورنانًا بين جدران الكهف وهى تقول: «نحن هنا..».

رفعت السيدة رأسها عن الكرة وما إن رأتهم حتى نهضت وانحنت باحترام، فبادلتها السيدة «واتست» والسيدة «هُو» الانحناء، حتى وميض النيران بدا كما لو أنه ينحنى بدوره.

قالت السيدة «واتست»: «عزيزتى «ميديام» هؤلاء هم الأطفال «تشارلز والاس مورى»، وانحنى «تشارلز والاس» و«مارجريت مورى» وشعرت «ميج» أنه مثلما انحنت السيدة «واتست» والسيدة «هُو» فلابد أن تنحنى هى بدورها وهو ما فعلته، وإن كان على نحو غير ملائم وكذلك «كالفن أوكيف» أحنى رأسه، ثم قالت السيدة «واتست»: «نريد أن يروا موطنهم على هذا الكوكب».

اختفت ابتسامة «ميديام» المرحة قبل أن تقول : «لماذا تجعلوننى أنظر لأشياء غير سارة، عندما توجد أشياء عديدة سارة تستحق المشاهدة؟».

تردد صوت السيدة «ويتش» مرة أخرى فى الكهف: «لن تكون هناك أشياء سارة عديدة لننظر إليها لو لم يقم المسئولون بعمل شىء تجاه الأشياء غير السارة».

زفرت «ميديام» ثم رفعت كرتها عاليًا.

فقالت السيدة «واتست»: «انظروا يا أطفال.. انظروا فيها جيدًا».

وتكلمت السيدة «هُو» بالفرنسية قبل أن تكرر ما قالته: «كم تبدو الأرض صغيرة لمن ينظر إليها من السماء» «دوليل».. ترنمت بكلماتها بشكل موسيقى.

نظرت «ميج» للكرة البلورية بحذر فى البداية، ثم بشغف متزايد نحو الفضاء الداكن، ثم بدأت المجرات تتحرك، وأخيرًا بدا كما لو أنهم يقتربون من واحدة من المجرات.

همست السيدة «واتست» لـ «ميج» قائلة: «طريقك اللبنى».

كانوا يتجهون مباشرة نحو مركز المجرة ثم انحرفوا جانبًا، وبدا كما لو أن النجوم تسرع نحوهم فرفعت «ميج» ذراعيها لوجهها، كما لو أنها تحميه من تدفق هذه النجوم، قالت السيدة «ويتش» آمرةً: «انظروا!».

خفضت «ميج» ذراعها، فبدا أنهم يتحركون نحو كوكبٍ ما، واستطاعت أن تميز الأغطية الجليدية لقطبيه، وكل شىء كان يتلألأ بوضوح.. وعاتبتها «واتست» بلطف قائلة: «لا.. لا يا عزيزتى «ميديام» هذا هو المريخ».

تساءلت «ميديام»: «هل يجب أن أفعل ذلك؟».

قالت السيدة «ويتش» آمرة: «الآن!».

تحرك الكوكب البراق بعيدًا عن نظرهم.

للحظة ظهر ظلام الفضاء، ثم ظهر كوكب آخر، لم تكن حدوده نقية وواضحة، فلقد كان يبدو مغطى بضباب ووسط هذا الضباب تخيلت «ميج» أنها قد تميز الحدود المألوفة للقارات كما فى صور كتاب الدراسات الاجتماعية.

ثم تساءلت بشغف: «هل غلافنا الجوى هو سبب عدم استطاعتنا الرؤية بشكل واضح؟».

أجابت السيدة «ويتش» : «لا يا «ميج».. أنت تعرفين أنه ليس الغلاف الجوى.. يجب أن تكونى شجاعة».

صرخ «تشارلز والاس»: «إنه الشىء... الشىء المظلم الذى رأيناه من قمة الجبل فى «أورييل» عندما كنا فوق ظهر السيدة «واتست»!

تساءلت «ميج» فى ألم ، وهى لا تستطيع أن ترفع عينيها عن الظل الداكن الذى أخفى جمال الأرض: «هل أتى لتوه؟ هل أتى بمجرد مغادرتنا؟».

بدا صوت السيدة «ويتش» مجهدًا للغاية وهى تقول للسيدة «واتست»: «أخبريها».

زفرت السيدة «واتست» قائلة: «لا يا «ميج» إنه لم يأت لتوه، لقد كان هناك منذ سنوات كثيرة جدًّا، ولهذا يتعرض كوكبكم للمشكلات».

بدأ «كالفن» يسأل: ولكن لماذا...؟ وتحشرج صوته، ورفعت السيدة «واتست» يدها؛ لتجعله يصمت، ثم قالت: «لقد جعلناكم ترون الشىء

المظلم من على «أورييل» أولاً لأكثر من سبب.. أولاً؛ لأن الطقس على قمم التلال واضح بدرجة تجعلكم ترونه كما يبدو، وظننا أن هذا سيسهل عليكم فهم الأمر إذا رأيتموه .. إيه.. أولاً من مكان آخر، وليس أرضكم».

صرخ «تشارلز والاس»: «أنا أكره الشيء المظلم!».

أومأت السيدة «واتست»: «نعم يا عزيزى «تشارلز»، جميعنا نكرهه، وهذا سبب آخر أردنا من أجله أن نعيدكم، فوق «أورييل»، لقد ظننا أنه سيكون أمرًا مخيفًا جدًا لكم، أن تروا هذا الشيء للمرة الأولى من عالمكم المحبوب».

تساءل «كالڤن»: «ولكن ما هذا؟ إننا نعرف أنه شر ولكن ما هو؟».

تردد صوت السيدة «ويتش»: «لقد قلتها .. إنه بغيض.. كريه.. إنه قوى .. الظلام!».

ارتعش صوت «ميج» وهى تتساءل: «ولكن ماذا سيحدث؟ أرجوكِ يا سيدة «ويتش» أن تخبرينا بما سيحدث!».

«سنستمر فى القتال!».

شىء فى صوت السيدة «ويتش» جعل الأطفال الثلاثة يقفون فى استقامة وهم ينظرون نحو الضوء المرتعش الذى يمثل السيدة «ويتش» بفخر وثقة.

قالت السيدة «واتست»: «ونحن لسنا بمفردنا كما تعلمون يا أطفال «الروح القدس»، إنه يُحارب عبر الأكوان، ولكنها معركة كبيرة ومثيرة، وأنا أعرف أنه من الصعب عليكم أن تستوعبوا الحجم، وكيف يوجد فرق ضئيل فى الحجم بين أصغر الميكروبات وأضخم المجرات، فكروا فى ذلك،

وربما لن يبدو غريبًا لكم أن بعض أفضل محاربينا قد أتوا من كوكبكم وهو كوكب صغير يا أعزائى على حافة مجرة صغيرة، ويمكنكم أن تفخروا بأنه قد تم بهذا الشكل الجيد».

تساءل «كالڤن»: «ومن هم محاربونا؟».

تساءلت السيدة «واتست»: «لابد أنكم تعرفونهم يا أعزائى».

لمعت نظارة السيدة «هُو» نحوهم فى انتصار قائلة: «الضوء يلمع فى الظلام، والظلام لا يدركه».

قال «تشارلز والاس»: «يا إلهى. لِمَ هذا؟».

قالت السيدة «واتست»: «بالتأكيد! هيا استمر يا عزيزى «تشارلز»..».

هناك آخرون، كل فنانيكم العظام، لقد كانوا أضواء لنا لنرى.

قال «كالڤن» مقترحا: ««ليوناردو دافنشى»؟ و«مايكل أنجلو»؟».

صاح «تشارلز والاس»: و«شكسبير وباخ ولويس باستور ومدام كورى وأينشتين!».

ظهر فى صوت «كالڤن» رنين الثقة وهو يصيح: «شويتزر وغاندى وبوذا وبيتهوفن ورامبرانت وسان فرانسيس!».

قالت السيدة «واتست»: «وأنتِ يا «ميج»..».

قالت «ميج» فى ألم يعكس نفاد صبرها: «أظن «إقليدس» و«كوبرنيكس».. و... ولكن ماذا عن أبى؟ من فضلك، ماذا عن أبى؟».

قالت السيدة «ويتش»: «نحن ذاهبون إليه».

عادت «ميج» تقول وهى تضرب الأرض كالأطفال: «ولكن أين هو؟».

أجابتها السيدة «واتست» فى حزم هادئ: «على كوكب أعلن استسلامه؛ لذلك يجب أن تستعدوا لتكونوا أقوياء جدًّا».

اختفت كل ملامح السرور من على وجه «هابى ميديام» وجلست وهى تمسك بكرتها البلُّورية الكبيرة وتنظر لأسفل نحو الأرض المظلمة قبل أن تنحدر دمعة على خدها ببطء، ثم قالت: «لا يمكننى أن أحتمل أكثر من ذلك.. راقبوا الآن يا أطفال .. راقبوا!».

6 ميديـــام الوســيطة

مرة ثانية ركزوا نظرهم على الكرة البلّورية.. الأرض بغطائها المخيف من الظل المظلم تسبح بعيدًا عن نظرهم، وتتحرك مسرعة عبر الطريق اللبنى، وكان الشىء هناك ثانية.

قالت لهم الوسيطة: «انظروا!».

بدا الظلام يغلى ويتلوى، هل كان المقصود من ذلك إشعارهم بالاطمئنان؟

فجأة، خرج وهج شديد من الضوء من وسط الظلام.. وانتشر الضوء،

وكلما لمس الظلام تلاشى الظلام، وأخذ الضوء يعم حتى تلاشت آخر بقعة من الشىء المظلم وكان هناك فقط ضوء هادئ. ومن خلال الضياء ظهرت النجوم واضحة متلألئة، ثم وببطء بدأ الشعاع يخفت حتى تلاشى، ولم يعد هناك سوى النجوم وضوئها، لا ظلال ولا خوف، النجوم فقط وسط ظلام الفضاء النقى المختلف عن ظلام ذلك الشىء المخيف، حتى صاحت «ميديام» فى سعادة: «أترون؟ يمكن التغلب عليه! إنه يُهزم طوال الوقت!».

زفرت السيدة «واتست» زفرة حزينة جعلت «ميج» ترغب فى أن تحيطها بذراعيها قبل أن يقول «تشارلز والاس»:

«أخبرينا بما حدث بالضبط، من فضلك».

قالت فى حزن: «لقد كان هناك نجم ، نجم قدم حياته فى معركة مع الشىء.. لقد انتصر.. انتصر يا أعزائى ولكنه قدم حياته ثمنًا للانتصار».

تحدثت السيدة «ويتش» مرة أخرى وبدا صوتها متعبًا، فعرفوا أن حديثها كان جهدًا كبيرًا بالنسبة لها وهى تتساءل فى دقة:

«لم يكن هذا منذ وقت طويل بالنسبة لكم.. أليس كذلك؟».

هزت السيدة «واتست» رأسها وتقدم «تشارلز والاس» نحوها قائلاً:

«لقد فهمت الآن، لقد كنت نجمًا ذات يوم.. أليس كذلك؟».

غطت السيدة «واتست» وجهها بيديها كما لو أنها تشعر بالحرج ثم أومأت.

«وفعلتِ ما فعله هذا النجم لتوه؟».

أومأت السيدة «واتست» مرة أخرى وهى لاتزال تغطى وجهها فنظر إليها «تشارلز والاس» فى وقار شديد قائلا: «ليتنى أستطيع أن أقبلك».

أبعدت السيدة «واتست» يديها عن وجهها وجذبت «تشارلز والاس»

فى معانقة سريعة ووضع هو ذراعيه حول رقبتها قبل أن يلصق خده بوجهها ثم قبلها.

شعرت «ميج» برغبة فى تقبيل السيدة «واتست» كذلك، ولكن بعد ما فعله «تشارلز والاس» فإن أى شىء ستقوم به هى أو «كالڤن» سيكون غير ذى قيمة، فراحت تركز نظراتها على السيدة «واتست»، ورغم أنها كانت قد اعتادت على السيدة «واتست» ومظهرها الغريب - (وغرابتها الشديدة هذه جعلتها تبدو مريحة للغاية) - إلا أنها لاحظت فجأة أنها لم تكن ترى السيدة «واتست» على الإطلاق؛ لأن السيدة «واتست» نفسها الكاملة والحقيقية كانت أبعد عن الفهم الإنسانى وما كانت تراه هو اللعبة التى تلعبها السيدة «واتست»، كانت لعبة مسلية وساحرة، لعبة يملؤها الضحك والطمأنينة ولكنه كان هذا فقط أصغر الأشياء التى كانت يمكن أن تتحول لها السيدة «واتست» من بين كل الأشياء.

وقالت السيدة «واتست»: «أنا لم أقصد أن أخبركم، لم أشأ أن أجعلكم تعلمون ولكن آه.. يا أعزائى.. كم كنت أحب كونى نجمًا!».

قال صوت السيدة «ويتش»: «أنتِ مازلتِ صغيرة جدًّا».

جلست «ميديام» تنظر فى سعادة إلى السماء المرصعة بالنجوم فى كرتها وهى تبتسم وتومئ وتضحك ضحكة خافتة برقة، ولكن «ميج» لاحظت أن عينيها تنخفضان وفجأة يهوى رأسها للأمام قبل أن تبدأ فى إطلاق أصوات توحى بنومها.

قالت السيدة «واتست»: «ياللمسكينة! لقد أرهقناها.. إنه عمل شاق جدًّا عليها».

تساءلت «ميج»: «من فضلك، ما الذى يحدث الآن يا سيدة «واتست»؟».

«لماذا نحن هنا؟ وما الذى سنفعله بعد ذلك؟ وأين أبى؟ ثم ضمت يدها مستعطفة وقالت: متى سنذهب إليه؟

أجابتها السيدة «واتست»: «كل شىء فى حينه يا حبيبتى!».

وتدخلت السيدة «هُو» قائلة باللغة البرتغالية: «الحوائط لها آذان».

فعادت السيدة «واتست» تقول: «نعم. دعونا نخرج، هيا سندعها تنام».

وحين همّوا بالانصراف رفعت «ميديام» رأسها وابتسمت ابتسامة مشرقة وسألتهم: «هل ستذهبون دون أن تودعونى؟».

قالت السيدة «واتست» وهى تربت على كتفها: «فضلنا أن نتركك نائمة؛ لأننا أجهدناكِ بالفعل ونعرف كم أنت مرهقة».

«ولكننى كنت أودُّ أن أقدم لكم بعض الطعام الشهى أو الرحيق أو على الأقل بعض الشاى..».

وهنا لاحظت «ميج» شعورها بالجوع.. تُرى، كم مرَّ من الوقت منذ تناولت اليخنة فى المطبخ؟

ولكن السيدة «واتست» قالت: «شكرًا يا عزيزتى، أظن أنه من الأفضل أن نذهب».

همس «تشارلز» لـ «ميج» قائلاً: «إنهم لا يحتاجون للطعام، أو على الأقل لا يتناولون الطعام مثلنا، فالأكل بالنسبة لهم مجرد لعبة.. ومن الأفضل أن أذكرهم بأن عليهم أن يطعمونا إن عاجلاً أو آجلاً».

ابتسمت «ميديام» وأومأت قائلة: «لابد أننى سأقدر على عمل شىء

طيب لكم، بعدما اضطررت لعرض هذه الأشياء المخيفة على الأطفال.. تُرى، هل يرغبون فى رؤية والدتهم قبل أن يذهبوا؟».

تساءلت «ميج» بشغف: «هل يمكن أن أرى أبى؟».

قالت السيدة «ويتش»: «لا.. سنذهب لوالدك يا «ميج».. لا تكونى عَجولاً.

تساءلت «ميديام» فى لطف: «ولكن يمكنها أن ترى أمها.. أليس كذلك؟».

أجابتها السيدة «واتست» : «ولِمَ لا؟ فهذا لن يستغرق وقتًا، كما أنه لن يتسبب فى أى أذى».

سألت «ميج»: «هل يستطيع أن يرى والدته أيضًا؟».

لمس «كالفن» «ميج» فى إشارة سريعة لم تفهم إذا كانت امتنانًا أو خوفًا، لم تكن متأكدة من مغزاها.

ثم قالت السيدة «ويتش»: «أظن أن هذا خطأ، كانت السيدة «ويتش» غير موافقة.. ولكن.. مادمتِ ذكرتيها.. فأظن أنه يجب أن تبدئى».

قالت السيدة «واتست» وهى تنظر نحو السيدة «ويتش»: «أكره مقاطعتها والمشكلة أنها دائمًا تبدو على حق ولكننى لا أفهم كيف سيكون ذلك مؤذيًا»، وهو أمر سيجعل شعوركم جميعًا أفضل.. هيا يا عزيزتى «ميديام».

ابتسمت «ميديام» وراحت تغمغم فى هدوء وأخذت تدير الكرة البلُّورية بين يديها لتبدو بها السماء بنجومها وكواكبها وشُهبها، ثم ظهرت الأرض المعتمة مرة أخرى، وراحت تقترب وتقترب حتى ملأت الكرة

الأرضية، ثم اخترقوا الظلام حتى ظهرت السحب البيضاء وبدأت حدود القارات فى الظهور بوضوح.

همست «ميج» لـ «ميديام» : «والدة «كالڤن» أولاً».

اهتزت الكرة وملأها الضباب والسحب، ثم بدأت الظلال فى التجسد والوضوح بداخلها، فوجدوا أنفسهم ينظرون لمطبخ غير مرتب به حوض مملوء بالصحون غير النظيفة.

وأمام الحوض وقفت سيدة شعثاء يحيط شعرها الرمادى بوجهها، وكان فمها مفتوحًا بدون أسنان واستطاعت «ميج» رؤية لثة بدون أسنان وبدا لـ «ميج» أنها تكاد تسمع صراخها فى طفلين صغيرين يقفان بجانبها ثم جذبت ملعقة خشبية من الحوض، وبدأت فى ضرب أحدهما.

غمغمت «ميديام» فى حين بدأت الصورة تخبو: «يا إلهى.. أنا حقًا.. لم ...».

قال «كالڤن» بصوت خفيض: «لا عليكم، أعتقد أنه يجب أن تعرفوا».

والآن وبدلا من أن تقف هى فى حماية «كالڤن» أخذت «ميج» يده بين يديها دون أن تقول أية كلمة؛ محاولة أن تخبره بضغط أصابعها ما تشعر به، ولو أن أحدهم أخبرها منذ يوم واحد فقط أن «ميج» صاحبة الأسنان المعوجة قصيرة النظر، غير الرشيقة قد تمسك بيد صبى لتمنحه الراحة والقوة خاصة إذا كان صبيًّا شهيرًا ومهمًّا مثل «كالڤن» لما فهمت ما يقول، ولكن الآن بدا الأمر طبيعيًّا أن تريد مساعدة وحماية «كالڤن» كما تفعل مع «تشارلز والاس».

وبدأت ظلال جديدة فى الظهور بالكرة وعندما اتضحت، تعرفت

«ميج» على والدتها فى المعمل تجلس على مقعدها المرتفع، تكتب على ورقة فوق ساقيها، وظنت «ميج» أنها تكتب لوالدها تمامًا كما تفعل كل ليلة.

جرت الدموع ـ التى لم تتعلم مطلقًا أن تتحكم فيها ـ من عينيها وهى تنظر ورفعت السيدة «مورى» عينيها من فوق خطابها كما لو كانت تنظر نحو الأطفال، ثم خفضت رأسها واندمجت فى الأوراق وجلست هناك، منزوية تاركة نفسها تسترخى فى حالة الحزن، التى لم تسمح أبدًا لأولادها بأن يروها عليها.

ولم تعد «ميج» ترغب فى البكاء.. فالغضب الذى شعرت به عندما رأت منزل «كالفن» انتقل لأمها.

فصرخت قائلة: «هيا بنا! دعونا نفعل شيئًا!».

غمغمت السيدة «واتست» وهى تنظر نحو السيدة «ويتش» قائلة: «إنها دائمًا على حق، أحيانًا أتمنى أن تقول لقد أخبرتك بذلك وفعلت ما طلبته».

صاحت «ميديام» : «لقد قصدت المساعدة فقط..».

قالت السيدة «واتست» سريعًا: «عزيزتى «ميديام»..». «لا تضايقى نفسك، انظرى لشىء سارّ، هيا فأنا لا أطيق رؤيتك فى ضيق».

أكدت «ميج» لـ «ميديام» قائلة: «كل شىء على ما يرام يا سيدة «ميديام» ونشكرك كثيرًا».

تساءلت «ميديام» وقد عاودها شىء من السعادة: «هل أنت واثقة؟».

«بالطبع، لقد ساعدنا هذا كثيرًا وعندما أغضب بشدة، فلا مكان عندى للخوف».

فقالت «ميديام»: «حسنًا، قبلينى لكى يكون لكِ حظ سعيد».

تقدمت «ميديام» نحوها ومنحتها قبلة سريعة وكذلك فعل «تشارلز والاس» ونظرت «ميديام» باسمة نحو «كالفن» ثم غمزت له قائلة: «وأريد من هذا الشاب الصغير أن يقبلنى أيضًا، فقد أحببت الشعر الأحمر دومًا، كما أن هذا سيمنحك حظًّا سعيدًا يا عزيزى».

انحنى «كالفن» وقد تخضب وجهه خجلاً وقبّل وجنتها سريعًا.

فقالت: «أمامك الكثير لتتعلمه يا ولدى العزيز».

قالت السيدة «واتست» : «والآن إلى اللقاء يا عزيزتى «ميديام» وشكرًا جزيلاً، هل أستطيع أن أقول إننا سنراك خلال قرن أو قرنين؟».

سألت «ميديام»: «أين ستكونون إذا أردت الاتصال بكم؟».

أجابتها السيدة «واتست»: «كامازوتز». «أين؟ وما هو «كامازوتز»؟ لم يَرق لـ «ميج» موسيقى الكلمة ولا طريقة نطق السيدة «واتست» لها»، وأردفت السيدة «واتست» قائلة: «أرجوكِ لا تضايقى نفسك بسببنا، أنت تعلمين أنك لا تحبين النظر إلى الكواكب المظلمة، ويؤلمنا أن تضايقى نفسك».

قالت «ميديام»: يجب أن أعرف ما يحدث للأطفال، إن حبى للأطفال هو أصعب مشكلاتى، بإمكانى أن أعيش سعيدة طوال الوقت لو لم أقع فى حب الأطفال. آه. حسنًا، لقد رتبت أمورى على أن أحافظ على جمالى، وأن غفوة قصيرة سوف تفعل العجائب معى فى الحال، الوداع يا أصدقاء، ثم ضاعت كلمتها وسط طنين شامل من الغطيط.

أمرتهم السيدة «ويتش» قائلة: تعالوا، وتبعوها خارجين من ظلام الكهف إلى لون رمادى غير واضح المعالم لكوكب «ميديام».

وقالت السيدة «ويتش» محذرة: «والآن يا أطفال.. يجب ألا تخافوا مما سيحدث».

وهمست السيدة «واتست»: «ابقى غاضبة يا «ميج» الصغيرة، فستحتاجين كل غضبك الآن».

ودون تحذير عادت «ميج» للعدم مرة أخرى، ولكن هذه المرة كان الفراغ مقطوعا بشعور من البرودة والرطوبة لم تشعر بهما من قبل وازدادت البرودة وأحاطت بها وتخللتها وملأها نوع جديد من ظلام غريب كان ملموسًا تمامًا، كأن شيئًا أراد أن يلتهمها ويهضمها، كوحش ضارٍ يلتهم فريسته.

ثم اختفى الظلام!.. تُرى، هل كان الظل، الشىء الأسود؟ هل سافروا عبره ليصلوا إلى والدها؟

فى تلك الأثناء عاودتها الآلام فى يديها وقدميها، والتقدم عبر الصلابة، ثم جاءت على قدميها لاهثة الأنفاس، لكن دون أن يلحقها أذى، واقفة بجوار «كالفن» و«تشارلز والاس».

سأل «تشارلز والاس» السيدة «واتست» وهى تتجسد أمامه:

«هل هذا هو «كامازوتز»؟..».

أجابته قائلة: «نعم. والآن دعونا نلتقط أنفاسنا ونفحص ما حولنا».

كانوا يقفون على تل، ظنت «ميج» أنه يكون على الأرض، فقد كانت هناك الأشجار المألوفة التى تعرفها فى موطنها، مثل: البتولا والصنوبر والقيقب، ورغم كون المكان أكثر دفئًا مما كان عند شجرة التفاح التى غادروها عند منزلهم إلا أن الهواء حمل لمسة خريفية، وبالقرب منهم انتشرت بعض الشجيرات ذات الأوراق الحمراء، تشبه كثيرًا السُّماق،

وبقعة كبيرة من شىء يشبه الزهور الذهبية، وعندما نظرت لأسفل رأت «ميج» مداخل مدينة، وربما إحدى المدن المألوفة، لم يكن هناك شىء غريب أو مختلف أو مخيف فى المشهد حولهم، ولكن السيدة «واتست» تقدمت نحوها وأحاطتها بذراعها بحنو قائلة:

كما تعرفين يا حبيبتى «لن أستطيع أن أبقى معكم هنا، ستعتمدون أنتم الثلاثة على أنفسكم وسنكون بالقرب منكم لنراقبكم ولكنكم لن تتمكنوا من رؤيتنا أو طلب مساعدتنا كما أننا لن نستطيع المجىء إليكم».

تساءلت «ميج» وهى ترتعش: «ولكن، هل أبى هنا؟».

«نعم».

«أين؟» متى سنراه؟ كانت تبدو كما لو أنها على استعداد لأن تركض فورًا؛ بحثًا عنه فى أى مكان يكون موجودًا فيه.

«لن أستطيع أن أخبرك بهذا، ستنتظرون حتى تحين اللحظة المناسبة».

نظر «تشارلز والاس» إليها بثبات قائلا: «هل أنت خائفة علينا؟».

«قليلا».

«ولكن إذا كنت لم تخافى مما فعلتيه حين كنت نجمة، فلماذا تخافين علينا الآن؟».

أجابته فى هدوء: «ولكننى كنت خائفة».. وكانت تنظر نحو كل واحد من الثلاثة بثبات، ثم أخبرتهم: «أنتم ستحتاجون للمساعدة ولكن كل ما هو مسموح لى بتقديمه لكم هو قليل من التعاويذ، وأنت يا «كالفن» تملك موهبة عظيمة فى الاتصال بالناس.. كل أنواع الناس؛ لذلك فسأقوّى لك هذه الموهبة وأنت يا «ميج» سأعرفك بأخطائك».

صرخت «ميج» : «أخطائى!».

«نعم.. أخطاؤكِ».

«ولكننى دائمًا أحاول التغلب على أخطائى!».

قالت السيدة «واتست»: «نعم. على كل حال أظن أنك ستجدينها فى متناول يدك على «كامازوتز» وأنت يا «تشارلز والاس» كل ما أستطيع أن أقدمه إليك هو القدرة على التكيف مع طفولتك».

ومن مكان ما، لمعت نظارة السيدة «هُوَ» وسمعوا صوتها وهى تقول: «كالفن».. إشارة إليك.. أنصت جيدًا:

... لأنه كان روحًا رقيقة

وحتى يتصرف بطبيعته: الشديدة الرقة، الكارهة للأوامر

رافضًا وصاياهم الكبيرة التى قيدوه بها

بمساعدة مستشاريهم الأقوياء

وفى غضبهم الذى لا يهدأ

نحو شجرة الصنوبر المشقوقة وداخل الشق

سجين ظل متألمًا أبدًا..

العاصفة.. شكسبير

تساءل «تشارلز والاس»: «أين أنت يا سيدة «هُوَ»؟ وأين السيدة «ويتش»؟

هب عليهم صوت السيدة «هُوَ» مثل الرياح: «لا نستطيع أن نأتى إليكم الآن، أنا لا أعرف كل شىء ولكن هناك أشياء كثيرة أفهمها»، «جوته» قالتها بالألمانية أولاً ثم بالإنجليزية هذه لك يا «تشارلز»، فتذكر أنك

لا تعرف كل شىء»، ثم اتجه الصوت نحو «ميج»: «ولكِ سأترك نظارتى، ضعيفة النظر كالخفاش، ولكن لا تستخدميها إلا كملجأ أخير، ادخريها لآخر دقيقة فى الخطر».. وأثناء حديثها كان هناك وميض عدسات ثم اختفى كما اختفى الصوت، واستقرت العدسات فى يد «ميج» التى وضعتها بحرص فى جيب سترتها العلوى، ومجرد معرفتها بوجودهما هناك كان عاملاً مطمئنًا لها.

قالت السيدة «ويتش»: «ولكم أنتم الثلاثة أمركم: اهبطوا إلى المدينة، اهبطوا معًا، لا تجعلوهم يفرقونكم، كونوا أقوياء» وانبعثت ومضة قبل أن تختفى فارتعدت «ميج».

ولابد أن السيدة «واتست» رأت الرعدة؛ لأنها ربتت على كتف «ميج» ثم استدارت إلى «كالفن» قائلة: «اعتن بـ «ميج»».

فقال «تشارلز والاس» فى حدّة: «أنا أستطيع أن أعتنى بها، وقد كنت أقوم بذلك دومًا».

نظرت السيدة «واتست» نحو «تشارلز» وبدا صوتها الحاد وقد أصبح أكثر نعومة وعمقًا فى الوقت نفسه وهى تقول: «المكان هنا أخطر ما يكون عليك يا «تشارلز»..».

«لماذا؟».

«لما أنت عليه.. فقط بسبب ما أنت عليه، فأنت أكثر المعرضين للأخطار، يجب أن تبقى مع «ميج» و«كالفن»، لا يجب أن تسير وحدك، واحترس من الغرور والغطرسة يا «تشارلز» فقد يخونانك».

كان صوت السيدة «واتست» يحمل لهجة تحذير وتخويف فارتعدت

«ميج» مرة أخرى فى حين اقترب «تشارلز والاس» من السيدة «واتست» بنفس الطريقة التى كان يفعلها مع أمه وهو يهمس: «والآن أظن أننى أعرف ما كنت تعنيه بالخوف».

قالت له السيدة «واتست»: «الأحمق فقط هو الذى لا يخاف والآن هيا.. اذهبوا»، لم يكن فى المكان الذى تقف فيه سوى سماء، وحشائش وصخرة صغيرة.

قالت «ميج» بنفاد صبر: «هيا.. هيا بنا!»، لم تكن مدركة؛ لأن صوتها كان يرتعش مثل ورقة الحور، ثم أمسكت بيدى كل من «تشارلز» و«كالفن» واتجهوا معًا نحو أسفل التل.

* * *

إلى الأسفل، كانت المدينة مصممة فى أشكال زوايا جامدة، فجميع المنازل فى الضواحى كانت متماثلة وتشبه صناديق مربعة صغيرة طليت جميعها باللون الرمادى، وكل منزل كانت له مساحة خضراء مستطيلة أمامه مع خط مستقيم من الزهور الباهتة تحيط بالممر المؤدى للباب، وأحسَّت «ميج» أنها إن استطاعت عد الزهور فستكون بنفس العدد لكل منزل.. وأمام كل المنازل، كان الأطفال يلعبون، بعضهم يمارس وثب الحبل، وبعضهم يلعب بالكرات، وشعرت «ميج» بأن هناك خطأً ما فى طريقة لعبهم، كان الأمر يبدو كأطفال تلعب أمام المنازل، ولكن كان هناك شىء مختلف ونظرت نحو «كالفن» فوجدته هو أيضًا فى حيرة من أمره.

وفجأة قال «تشارلز والاس»: «انظرا! إنهم يقفزون ويضربون الكرة فى إيقاع ثابت! الجميع يفعلون نفس الشىء فى نفس اللحظة».

وقد كان كذلك، فعندما يضرب الحبل سطح الرصيف، كانت الكرة تقوم بنفس الشيء وعندما يرتفع الحبل فوق رأس الطفل الذى يقفز، كان الطفل الذى يلعب بالكرة يمسك بالكرة، وعندما تهبط الحبال تهبط الكرات وترتفع الحبال فترتفع الكرات، كل شيء بنفس الإيقاع، كل شيء متماثل: المنازل والشوارع والزهور.

ثم انفتحت أبواب المنازل معًا لتخرج منها مجموعة من السيدات وقفن كصف من الدمى الورقية وكانت نقشة فستان كل واحدة منهن مختلفة، ولكن مظهرهن كان يبدو متماثلاً ووقفت كل سيدة منهن على درجات سلم منزلها، وكل واحدة صفقت فأمسك كل طفل كان يلعب بالكرة كرته، ولف كل طفل كان يقفز بالحبل حبله واستدار كل طفل ودخل المنزل وأغلقت الأبواب خلفهم.

تساءلت «ميج» فى تعجب: «كيف يفعلون ذلك؟ إننا لن نستطيع أن نفعل ذلك لو حاولنا، فماذا يعنى ذلك؟».

وبدا صوت «كالڤن» مُلِحًّا وهو يقول: «دعونا نعود».

فتساءل «تشارلز»: «نعود! إلى أين؟»

«لا أعرف، أى مكان، نعود للتل أو للسيدة «واتست» والسيدة «هُوَ» والسيدة «ويتش»، فأنا لا أحب هذا».

«ولكنهن لسن هناك، هل تظن أنهن سيأتين إلينا لو عدنا أدراجنا الآن؟».

عاد «كالڤن» يقول: «أنا لا يروق لى هذا».

نفد صبر «ميج»، فقالت بصوت حاد: «هيا، أنتما تعرفان أننا لا نستطيع

العودة، لقد قالت السيدة «واتست» إن علينا أن نذهب للمدينة» وبدأت تسير نحو الشارع، وتبعها الصبيان وكلما نظروا وجدوا المنازل متماثلة تمامًا من حولهم فى استمرارية حتى مرمى البصر.

ثم فجأة رأوا نفس الشىء وتوقفوا؛ ليشاهدوا أمام منزل من المنازل صبيًا صغيرًا ومعه كرة يضربها ولكن بدون إيقاع خاص، وأحيانًا كان يسقطها ويركض خلفها، وأحيانًا كان يقذفها لأعلى ويحاول أن يعاود الإمساك بها، وفُتح باب منزله وخرجت إحدى أمهات المدينة المتشابهات، ونظرت نحو الشارع فوجدت الأطفال وقد رفعت يدها لفمها كما لو كانت تكتم صرخة، ثم جذبت الصبى الصغير، وأسرعت معه لداخل المنزل وسقطت الكرة من بين أصابعه وتدحرجت نحو الشارع.

أسرع «تشارلز والاس» خلفها والتقطها وحملها أمام «ميج» و«كالفن»؛ ليشاهداها، فبدت كرة عادية تمامًا من المطاط البنى اللون، ثم قال «تشارلز» مقترحًا: «دعونا نأخذها له ونرى ما يحدث».

ولكن «ميج» صاحت فيه: «لقد قالت السيدة «واتست» إن علينا أن نذهب للمدينة».

«حسنًا، إننا بالمدينة.. أليس كذلك؟» أو فى الضواحى على أية حال، وأريد أن أعرف المزيد عن ذلك، فأشعر أن ذلك سيساعدنا فيما بعد، يمكنك أن تذهبى إذا لم ترغبى فى المجىء معى.

قال «كالفن» بحدة: «لا.. سنبقى معًا، لقد قالت السيدة «واتست» إننا لا ينبغى أن ندعهم يفرقوننا، ولكننى معك فى هذا، هيا نطرق هذا الباب ونرى ما الذى سيحدث».

واتجهوا للمنزل و«ميج» مترددة وشغوف بالذهاب للمدينة، فقالت متوسلة: «دعونا نسرع أرجوكم! ألا ترغب فى أن نجد أبى؟»

أجابها «تشارلز والاس»: «بلى، ولكن ليس هكذا، كيف سنساعد إذا لم نعرف ما نحن بصدد مواجهته؟ ومن الواضح أننا أُحضرنا إلى هنا؛ كى نساعده وليس لنجده فقط»، وسار نحو الباب بخفة وطرقه وانتظروا، ولكن لم يحدث شىء وبعدها رأى «تشارلز والاس» جرسًا فضغط عليه وسمعوا رنين الجرس فى المنزل وصدى صوته يتردد فى الشارع، وبعد لحظة فتحت الأم الباب كما فتحت أبواب المنازل فى كل الشارع وحملقت العيون فى الأطفال الثلاثة، وتساءلت السيدة التى نظرت نحوهم فى خوف: «ماذا تريدون؟ وقت تسليم الصحف لم يحن بعد؛ وقد مر وقت الحليب؛ وأقدم تبرعاتى بانتظام وكل أوراقى سليمة».

فقال «تشارلز والاس» وهو يحمل الكرة أمامها: «أظن أن ولدك الصغير أسقط هذه الكرة».

دفعت السيدة الكرة بعيدًا قائلة: «لا.. إن الأطفال فى قسمنا لا يسقطون الكرات مطلقًا! لقد تم تدريبهم بصورة مثالية، ولم يحدث أى حالة انحراف منذ ثلاث سنوات».

وعلى طول الشارع أومأت الرءوس موافقة.

اقترب «تشارلز والاس» من السيدة ونظر خلفها إلى المنزل من الداخل، ووسط الظلال رأى الصبى الصغير الذى لابد وأنه فى مثل عمره، فقالت السيدة: «لا يمكنك الدخول، فأنت لم تقدم لى أى أوراق ولست مضطرَّة لأن أسمح لك بالدخول مادمتَ لا تملك أى أوراق».

نحى «تشارلز والاس» الكرة خلف السيدة حتى يراها الصبى وبسرعة البرق مال الصبى للأمام، وجذب الكرة من يد «تشارلز» ثم تراجع فى لمح البصر نحو ظلال المنزل فشحبت المرأة، وفتحت فمها كما لو كانت ستهم بقول شىء، ثم صفقت الباب فى وجوههم بدلاً من ذلك، وفى نفس الوقت صفقت كل الأبواب فى الشارع بأكمله.

تساءل «تشارلز والاس»: «ما الذى يخيفهم؟ ماذا بهم؟».

وتساءلت «ميج»: «ألا تعرف؟ ألا تعرف سبب كل ذلك يا «تشارلز»؟».

أجاب «تشارلز والاس»: «ليس بعد! ولا حتى فكرة غامضة، أنا أحاول ولكن لم أصل لشىء.. وهبط درجات السلم.. هيا».

بعد بضعة مبانٍ مجمعة ظهرت عمارات سكنية، أو على الأقل هذا ما شعرت به «ميج»، كانت مبانى عالية ومستطيلة وبسيطة تمامًا وكل نافذة وكل مدخل مثل الآخر تمامًا، ومن نهاية الشارع كان صبى يتجه نحوهم وهو يركب شيئًا؛ هو خليط بين الدراجة العادية والبخارية، فعندما يحرك ساقيه على بدالات الدراجة يبدو وكأن ذلك يولد طاقة غير مرئية المصدر تتحرك معها الدراجة بسرعة كبيرة رغم حركة قدميه البطيئة، وكلما مر أمام مدخل دس يده فى حقيبة معلقة على كتفه وجذب لفافة ورقية وألقاها بالمدخل، ربما كان «دينيس» أو «ساندى» أو أى طفل من مئات الأطفال الذين يقومون بتوزيع الصحف كما فى مدينتهم ولكن وكما كان لعب الكرة، ووثب الحبل، كان بالأمر شىء مختلف وغريب، فقد كان إيقاع الحركة لا يتغير مطلقًا، كانت الجريدة تطير بنفس الزاوية عند كل

مدخل وتستقر تمامًا فى نفس النقطة، لقد كان مستحيلا أن يقوم أى أحد بذلك وبهذه الدقة المذهلة.

صاح «كالڤن»: «تُرى، هل يلعبون البيسبول هنا؟».

وعندما رآهم الصبى أبطأ سرعة آلته، ثم توقف ويده ممسكة بها كما لو كانت على وشك الغطس فى كيس من الورق، ثم تساءل: «ماذا تفعلون فى الشارع أيها الأطفال؟ غير مسموح بالتجول الآن، إلا لصبية الطريق وأنتم تعرفون ذلك».

فقال «تشارلز والاس»: «لا.. لا نعرف ذلك، إننا غرباء، هلا أخبرتنا عن هذا المكان؟».

تساءل الصبى: «هل تعنون أنكم قد اعتمدتم أوراق دخولكم وكل شىء؟ لابد أنكم قمتم بذلك بما أنكم هنا.. ولكن، ماذا تفعلون هنا إذا كنتم لا تعرفون عنا؟».

أجابه «تشارلز والاس»: «أخبرنا أنت».

تساءل الصبى فى بعض قلق: «هل أنتم من الفاحصين؟ الجميع يعرفون أن مدينتنا تملك أفضل مركز للذكاء المركزى على ظهر الكوكب، وأن معدلات إنتاجنا هى الأكثر ارتفاعًا ومصانعنا لا تغلق أبدًا وآلاتنا لا تكف عن الدوران، بالإضافة إلى أن لدينا خمسة شعراء وموسيقيًّا واحدًا، وثلاثة فنانين وستة نحاتين، وجميعهم ماهرون فى مجالهم».

تساءل «تشارلز والاس»: «من أين تقتبس؟».

أجاب الصبى: «كتيب التشغيل»، بالتأكيد إننا أكثر المدن تألقًا على الكوكب، فلم يكن لدينا أية مشكلة منذ قرون وكل «كامازوتز» يعرف

تاريخنا، وهذا هو السبب فى كوننا عاصمة «كامازوتز»؛ ولهذا كان مركز الذكاء المركزى هنا، ولهذا اختار «آى تى» أن يكون موطن أتباعه هنا، وكان فى طريقة نطقه لكلمة «آى تى» ما جعل رعدة تسرى فى عظام «ميج».

أما «تشارلز والاس» فتساءل: «وأين هو مركز الذكاء المركزى هذا؟».

أجاب الصبى: تقصد مركز... فقط، استمروا فى السير وسترونه حتمًا، أنتم غرباء.. أليس كذلك؟ ماذا تفعلون هنا؟».

تساءل «تشارلز والاس» بحدة: «هل يمكن أن نطرح أسئلة؟».

شحب وجه الصبى تمامًا، كما حدث للمرأة، ثم قال: «أستميحكم عذرًا، فيجب أن أتابع عملى وإلا سأكون مضطرًا للحديث عن وقتى مع المُفَسِّر» ثم انطلق مسرعًا فوق آلته.

تابعه «تشارلز والاس» بنظراته قبل أن يسأل «ميج» و«تشارلز»: «ما هذا؟».

لقد كان هناك شىء مضحك فى طريقة كلامه.. كما... كما لو كان... كما لو كان ليس هو الذى يقوم بالكلام، هل تعرفون ما أعنيه؟».

أومأ «كالفن» مفكرًا، ثم قال: «نعم. مضحك ولكن ليس فقط طريقة كلامه وإنما الأمر برمته مريب».

اتجهت «ميج» إليهما وقالت: «هيا.. دعونا نجد أبى.. سيكون قادرًا على تفسير كل شىء لنا».

تابعوا سيرهم وبعد عدة مبانٍ بدأوا يرون الناس الراشدين، وليس الأطفال، يسيرون فى الشوارع، لكن الكبار تجاهلوا الأطفال تمامًا وبدوا كما لو كانوا غارقين تمامًا فى شئونهم الخاصة.. فبعضهم اتجه نحو المبانى

السكنية، ومعظمهم كانوا متجهين لنفس الاتجاه مثل الأطفال، وعندما وصلوا للشارع الرئيسى من الشوارع الجانبية، كانوا ينحرفون عند المنعطفات بشكل آلى غريب، كما لو أنهم غارقون فى مشكلاتهم وأن طريقهم مألوف تمامًا لدرجة أنهم فى غير حاجة للانتباه إلى أين هم ذاهبون.

بعد قليل انتهت المبانى السكنية، لتظهر أمامهم ما لابد وأن تكون مبانى إدارية ضخمة قوية الشكل لها مداخل ضخمة، رجال ونساء يدخلون ويخرجون حاملين حقائب صغيرة.

اتجه «تشارلز والاس» إلى إحدى السيدات قائلاً فى أسلوب مهذب: «معذرة، لكن هل يمكنك أن...» نظرت إليه بطرف عينيها، وهى تتابع سيرها.

وأشارت «ميج» صائحة: «انظرا»، وجدوا أمامهم عبر ميدان، كان يوجد أكبر مبنى رأوه من قبل، أعلى من مبنى «إمبايرستيت»(*) ونفس الارتفاع تقريبًا.

قال «تشارلز والاس»: «لابد أنه هو.. مركز الذكاء المركزى أو أيًا ما كان، هيا بنا».

اعترضت «ميج» قائلة: «لكن لو أن أبى يتعرض لمشكلة ما على هذا الكوكب، ألا يكون هذا المكان تحديدًا هو ما يجب أن نبتعد عنه؟».

فقال «تشارلز والاس»: «حسنًا، وكيف تفترضين أن نجده؟».

«بالتأكيد، أنا لن أسأل هناك!».

«أنا لم أقل شيئًا عن السؤال، لكننا لن نستدل على وجوده بأى شكل

(*) إمبايرستيت: ناطحة سحاب فى ولاية نيويورك بأمريكا يبلغ عدد طوابقها 86 طابقًا.

إذا لم نعرف أكثر عن هذا المكان، ولدى حدس أن هذا يجب أن يكون نقطة بدايتنا، إذا كان لديك فكرة أفضل يا «ميج» فعليك بها!».

قالت «ميج» بغضب: «لا داعى لهذا التعالى، دعنا نذهب إلى هذا المركز، ونرى ما سيكون».

قال «كالفن» مقترحًا: «أظن أننا يجب أن يكون معنا جوازات سفر أو ما شابه، فهذا أكثر كثيرًا من مغادرة أمريكا والسفر إلى أوربا، وهذا الصبى والسيدة كانا مهتمين بوجود أوراق رسمية، وبالتأكيد فنحن لا نملك أية أوراق رسمية.

قال «تشارلز والاس»: «لو كنا بحاجة لجوازات سفر أو أوراق لأخبرتنا السيدة «واتست» بذلك».

وضع «كالفن» يديه على خصره، ثم نظر ناحية «تشارلز والاس» قائلاً: «انظر هناك، أنا أحب هؤلاء الفتيات الثلاث مثلك تمامًا، ولكننى لست واثقًا أنهن يعرفن كل شىء».

«إنهن يعرفن أكثر منا بكثير».

«بالتأكيد ولكنك تعرف أن السيدة «واتست» تحدثت عن التحول إلى نجم، ولا أظن أن تحولها لنجم منحها التدريب الكافى لمعرفة الناس وعندما حولت نفسها لشخص كاد أن يفسد الأمر برمته، فلم تكن السيدة «واتست» تشبه أى أحد على البر أو البحر» فى الطريقة التى تتحول بها.

قال «تشارلز»: «لقد كانت تمزح، أنا واثق من أنها كانت تستطيع أن تكون مثلك أو «ميج» فى الشكل لو أرادت».

هز «كالفن» رأسه قائلاً: «أنا لست واثقًا، وهؤلاء الناس كأنهم يبدون

أشخاصًا ـ إذا كنت تفهم ما أقصد ـ إنهم ليسوا مثلنا.. هناك شيء غريب بشأنهم، ولكنهم أقرب للبشر العاديين من أولئك الذين كانوا على كوكب «أوربيل»».

اقترحت «ميج» قائلة: «هل تعتقد أنهم آليون؟».

هز «تشارلز والاس» رأسه قائلاً: «لا.. هذا الصبى الذى أسقط الكرة ليس آليًا، ولا أظن أن الباقين كذلك.. دعينى أنصت لدقيقة».

وقفوا ساكنين تمامًا بجانب بعضهم البعض فى ظل أحد المبانى الإدارية وستة أبواب كبيرة تفتح وتغلق مع دخول وخروج الناس منها، وهم ينظرون أمامهم تمامًا دون أى اهتمام بالأطفال بالمرة، فى حين راح «تشارلز» ينصت وعلى وجهه نفس تلك النظرة الفاحصة، ثم قال: «إنهم ليسوا آليين، أنا لست واثقًا تمامًا ولكنهم ليسوا آليين، فأنا أشعر بعقول هناك ولكننى لا أستطيع الوصول إليهم، وإن كنت أشعر بنبضاتهم، دعينى أحاول لدقيقة أخرى».

وقف ثلاثتهم هناك فى هدوء تام وظلت الأبواب تُفتح وتُغلق، تفتح وتغلق وهؤلاء الناس المتقلبون يسرعون بالدخول والخروج منها، وهم يتحركون بطريقة غريبة كالتى كان يتحرك بها الناس فى الأفلام الصامتة القديمة، ثم اختل إيقاع السرعة وأصبح عدد الناس أقل وكانوا يتحركون بسرعة، كما لو أن أحدهم قد زاد من سرعة سير الفيلم وجاء رجل أبيض الوجه يرتدى حلّة داكنة، وهو ينظر مباشرة نحو الأطفال قائلاً: «يا إلهى.. سأتأخر، ثم أسرع لداخل المبنى».

غمغمت «ميج» ضاحكة فى عصبية: «إنه مثل الأرنب الأبيض».

وقال «تشارلز»: «أنا خائف، أنا لا أستطيع أن أفهم مطلقًا».

عادت «ميج» تقول: «يجب أن نعثر على أبى».

اتسعت عينا «تشارلز والاس» فى فزع قائلاً: «ميج»، أنا حتى لست واثقًا أننى سأعرف أبى، لقد كان هذا منذ زمن بعيد وكنت لاأزال طفلاً رضيعًا...».

وجاء تأكيد «ميج» سريعًا وهى تقول: «ستعرفه! بالطبع ستعرفه! بنفس الطريقة التى كنت تعرفنى بها حتى بدون النظر إلىّ؛ لأننى دائمًا هنا من أجلك، لقد كنت دومًا تستطيع أن تصل إلىّ...».

قاطعها «تشارلز» وهو يضرب بقبضة راحة اليد الأخرى كمن اتخذ قراره: «هيا نذهب إلى مركز الذكاء المركزى».

مد «كالفن» ذراعيه؛ ليمسك بكل من «تشارلز» و«ميج» قائلاً: «هل تذكران عندما تقابلنا؟ لقد سألتما عن سبب وجودى هناك، وأخبرتكما أننى كنت هناك مضطرًا.. وأن شعورًا جعلنى أحضر لهذا المكان فى هذا الوقت بالتحديد!».

ـ «نعم.. بالطبع».

ـ «لدى شعور آخر، ليس مثل هذا النوع، شعور مختلف، شعور بأننا لو دخلنا إلى ذلك المبنى فسنتعرض لخطر مروّع».

7 الرجل ذو العيون الحمراء

قال «تشارلز والاس»: لقد كنا نعرف أننا سنكون فى خطر، فهذا ما أخبرتنا به السيدة «واتست».

«لقد قالت إن الأمر سيكون أسوأ بالنسبة إليك عنى وعن «ميج» وإنك يجب أن تكون حريصًا، فابق هنا مع «ميج» وسأذهب أنا لاستطلاع الأمر وأخبركما».

قال «تشارلز والاس» فى حزم: «لا، لقد أخبرتنا السيدة «واتست» أن نبقى معًا وألا يسير أىٌ منا وحده».

«لقد قالت لك أنت ألا تذهب وحدك، أنا الأكبر، وأنا من يجب أن يدخل أولاً».

قالت «ميج»: «لا.. «تشارلز» على حق، يجب أن نبقى معًا، لنفرض أنك لم تخرج، وكان علينا أن نأتى خلفك.. هه.. هيا بنا، ولكن فلنمسك أيدينا إن لم يكن لديكم اعتراض».

وعبروا الميدان وأيديهم متشابكة، وقد كان لمبنى مركز الذكاء المركزى باب واحد ولكنه باب ضخم، ـ على الأقل بارتفاع طابقين ـ وأوسع من حجرة مصنوعة من مادة معتمة تشبه البرونز.

ضحكت «ميج» قائلة: «هل نطرق الباب فقط؟».

فحص «كالفن» الباب قائلاً: «لا يوجد أى مقبض أو يد أو مزلاج أو أى شىء، ربما هناك طريق آخر للدخول».

قال «تشارلز»: «دعونا نجرب الطرق على أية حال» ورفع يده، ولكن قبل أن يلمس الباب فتح لأعلى وإلى الجانبين منقسمًا إلى ثلاثة أقسام منزلقة لم تكن مرئية منذ لحظة واحدة، ونظر الأطفال الخائفون إلى مدخل بهو كبير من الرخام الأخضر ومقاعد رخامية استقرت بجوار ثلاثة من الحوائط استقر عليها الناس كالتماثيل وقد انعكس على وجوههم لون الرخام الأخضر، وجعلهم يبدون شاحبين وأداروا رءوسهم عندما فتح الباب، ورأوا الأطفال ثم نظروا بعيدًا مرة أخرى».

هيا، قالها «تشارلز» وهم لايزالون ممسكين بأيدى بعضهم البعض، ودلفوا إلى الداخل، وبمجرد عبورهم عتبة الباب أُغلق خلفهم فى هدوء ونظرت «ميج» إلى «تشارلز» و«كالفن» فوجدت وجهيهما وقد أصبحا متلونين بلون أخضر شاحب.

اتجه الأطفال إلى الحائط الرابع الفارغ، وقد بدا وكأنه غير حقيقى كما لو أن الفرد قد يستطيع أن يمر خلاله.. مد «تشارلز» يده قائلاً: «إنه مصمت وبارد كالثلج» ولمسه «كالفن» بدوره، فقال: «ما هذا؟».

كانت يد «ميج» اليسرى فى يد «تشارلز» ويدها اليمنى فى يد «كالفن» ولم ترغب فى أن تترك يد أى منهما لتلمس الحائط.

قادهما «تشارلز» نحو أحد المقاعد قائلاً: «دعونا نسأل أى أحد أى شىء.. من فضلك، هل يمكنك أن تخبرنا عن الإجراءات المتبعة هنا؟» وجه سؤاله إلى أحد الرجال الذين كانوا جميعًا يرتدون حُلَلاً عملية جدًّا، وكما تختلف ملامح وجوه البشر، كانت ملامحهم هم أيضًا مختلفة، وإن بدا أن هناك شيئًا متماثلاً بينهم؛ مثل التشابه بين ركاب قطار الأنفاق، فكرت «ميج»، الاختلاف هو أن فى كل لحظة شخصًا مختلفًا، أما هنا فلا.

نظر الرجل نحو الأطفال بحذر متسائلاً: «الإجراءات الخاصة بماذا؟».

تساءل «تشارلز»: «كيف نقابل المسئول هنا؟».

قال الرجل فى حدة: «أنت تقدم أوراقك إلى الآلة (A)، يجب أن تكون على علم بذلك».

تساءل «كالفن»: «وأين هى الآلة (A) ؟».

أشار الرجل إلى الحائط المصمت.

فقال «كالفن»: «ولكن لا يوجد باب ولا أى شىء، فكيف ندخل ؟».

قال الرجل: «ضع أوراق «س» فى الفتحة «ب»، لماذا تسألنى هذه الأسئلة الغبية؟ هل تعتقد أننى لا أعرف الإجابة؟ من الأفضل ألا تمارس أية حيل هنا، وإلا فستكون مضطراً لعبور الآلة مرة ثانية، وأعتقد أنك لا تفضل ذلك.

عاد «كالڤن» يقول: نحن غرباء هنا، ولهذا لا نعرف الأشياء، أرجو أن تخبرنا يا سيدى: من أنت وما وظيفتك؟».

«أنا أدير آلة التهجى، رقم واحد فى مستوى المرحلة الثانية».

سأله «تشارلز والاس»: «ولكن ماذا تفعل هنا الآن؟».

«أنا هنا لأبلغ أن أحد حروفى معلق، وحتى يتم تزييته بشكل صحيح بواسطة مُزيت من المرحلة «ف»، فهناك خطر تعرض العقول للانحشار».

مربى فراولة أم توت العُليق؟.. تمتم «تشارلز والاس». نظر «كالڤن» بعدم اكتراث إلى «تشارلز» وهز رأسه محذرًا.. ضغطت «ميج» على يد الصبى الصغير ضغطة خفيفة، وكانت واثقة تمامًا أن «تشارلز والاس» لم يكن يحاول أن يكون سيئ الأدب أو عدوانيًا، إنما هى طريقته عندما لا يكون لديه ما يقوله.

نظر الرجل إلى «تشارلز» فى حدة قائلاً: «أظن أننى يجب أن أبلغ عنكم، صحيح أنا أحب الأطفال بسبب طبيعة عملى، ولا أحب أن أعرضهم للمشاكل، ولكن هذا أفضل من أن أخاطر بتعرضى لإعادة أعداد، يجب أن أبلغ عنكم!.

قال «تشارلز»: «ربما تكون هذه فكرة طيبة، من الذى ستبلغه عنا؟».

«من الذى سأبلغه عنكم؟!».

«حسنًا، أنا لم أصل لمستوى المرحلة الثانية بعد».

قالت «ميج»: أتمنى لو أنه لا يتصرف وهو واثق من نفسه هكذا، وهى تنظر نحو «تشارلز» فى قلق، وقد زاد ضغط يدها على يده حتى لوَى أصابعه فى احتجاج، فهذا هو ما قالته السيدة «واتست» وأخبرته أنه يجب

أن يحترس من التفاخر، كانت «ميج» تفكر بشدة فى «تشارلز والاس» وأخذت تقول: لا.. من فضلك لا تفعل.

تعجبت «ميج»، لماذا كان «كالڤن» يدرك أن الكثير من التكبر يعد تعجبًا.

نهض الرجل وهو يتحرك بصعوبة، كما لو كان يجلس منذ فترة طويلة، ثم قال: «أتمنى ألا يكون الأمر صعبًا عليكم».. قالها وهو يقود الأطفال نحو الحائط الرابع الخالى، متابعًا: «ولكننى تعرضت لإعادة الأعداد مرة واحدة وأظنها كانت كافية، ولا أريد أن يرسلونى إلى «آى تى» فأنا لم يسبق لى أن أرسلت إلى «آى تى» ولا أستطيع أن أخاطر باحتمال حدوث هذا».

ها هو «آى تى» مرة أخرى، فما هو هذا الـ «آى تى»؟».

أخرج الرجل من جيبه حافظة مملوءة بالأوراق من كل لون، راح يتصفحها بحرص، وأخيرًا تخيّر واحدة، قائلاً: «لدى عدة تقارير لأنهيها مؤخرًا، يجب أن أرسل فى طلب المزيد من بطاقات أ ــ 21»، وأمسك ببطاقة ووضعها أمام الحائط فانزلقت عبر الرخام، كما لو كان الحائط قد ابتلعها واختفت قبل أن يقول الرجل: «ربما تُحتجزون لبضعة أيام، ولكننى واثق أنها لن تكون فترة صعبة عليكم بسبب صغر سنكم، استرخوا فقط ولا تقاوموا، وهذا سيجعل الأمر أكثر سهولة عليكم، ثم عاد لمقعده وقد ترك الأطفال واقفين يحملقون فى الحائط».

فجأة، لم يعد الحائط هناك وأصبحوا ينظرون نحو حجرة كبيرة اصطفت بها الآلات، لم تكن مثل الآلات الحاسبة الكبيرة التى رأتها «ميج» فى كتاب العلوم، وكانت تعلم أن والدها كان يعمل بها أحيانًا، كان

بعضها لا يبدو مُستخدَمًا، فى حين كانت أضواء البعض الآخر تومض وتنطفئ.. فى إحدى الآلات كان هناك شريط طويل قد سُحب، وفى أخرى سلسلة من الخطوط الأفقية الصغيرة (A) كانت قد نقبت ووسط الآلات كانت تتحرك مجموعة من أصحاب المعاطف البيضاء يفحصون الآلات، إذا رأى أى منهم الأطفال فلا يعطون أية انطباعات.

غمغم «كالڤن» بشىء.

تساءلت: «ماذا؟».

قال «كالڤن»: «لا شىء نخاف منه سوى الخوف نفسه، إننى أحاول اقتباس التعليقات مثلما تفعل السيدة «هُو» و«ميج»، أنا خائف جدًّا».

شدت «ميج» قبضة يدها عليه متابعة: «وأنا أيضًا، هيا».

ودخلوا الحجرة التى بها الآلات ورغم اتساع الغرفة الكبيرة إلا أن طولها كان أكبر من عرضها، وهذا المنظور جعل صفوف الآلات، وكأنها متصلة الأطراف وسار الأطفال حتى وسط الحجرة، وهم يحاولون الابتعاد عن الآلات قدر الإمكان حتى قال «تشارلز والاس»: «رغم أننى لا أظن أن بها أى نشاط إشعاعى أو أى شىء ولا أن واحدة منها ستشدنا وتمضغنا».

وبعدما ساروا لمسافة بدت وكأنها أميال رأوا أن الحجرة العملاقة لها نهاية، وفى نهايتها كان يوجد شىء.

وفجأة، قال «تشارلز والاس» فى صوت يعبر عن الخوف الشديد: «لا تتركوا يدى! تماسكوا! إنه يحاول النيل منى!».

تساءلت «ميج» بصوت حاد: «من؟».

«لا أعرف، ولكنه يحاول النيل منى! أنا أشعر به!».

حاول «كالفن» التراجع، قائلاً: «فلنعد أدراجنا».

قال «تشارلز والاس»: «لا، يجب أن أستمر، يجب أن نتخذ قرارنا، ولن نستطيع ذلك، ونحن خائفون».. كانت نبرات صوته كأنه رجل كبير، وكانت غريبة وبعيدة، فأمسكت يده الصغيرة بقوة حتى شعرت بقطرات من العرق تتساقط من يديها.

وعندما اقتربوا من نهاية الغرفة، صارت خطواتهم أبطأ، ووجدوا أمامهم منصة فوقها مقعد ورجل جالس عليه.

أما ما يتعلق بالرجل، فهو أنه يجمع كل البرودة والظلمة التى شعر بها الأطفال يومًا حينما كانوا يعبرون خلال ذلك الشىء الأسود وهم فى طريقهم إلى هذا الكوكب.

قال الرجل: «لقد كنت فى انتظاركم يا أعزائى، وكان صوته رقيقًا وعطوفًا وليس باردًا أو مخيفًا، كما كانت تتوقع «ميج»، واستغرق الأمر منها لحظة حتى تدرك أن الصوت رغم أنه يأتى من الرجل إلا أنه لم يفتح فمه، ولم يحرك شفتيه على الإطلاق، وأنه لم تكن هناك كلمات حقيقية قد دخلت آذانهم، وأنه كان يتصل بعقولهم بطريقة مباشرة.

سألهم الرجل: «ولكن كيف حدث ذلك؟ إنكم ثلاثة!» وتكلم «تشارلز والاس» بجرأة بالغة وإن شعرت «ميج» بأنه كان يرتعش: «آه.. لقد حضر «كالفن» للنزهة فقط».

أوه، فعل ذلك، هل فعل؟ شعروا لحظة بأن الصوت الذى يتكلم داخل عقولهم كان حادًا ثم خفت وأصبح هادئًا ثانية.. أتمنى أن تكون رحلة موفقة حتى الآن.

فقال «تشارلز والاس»: «تعليمية للغاية».

قال الرجل آمرًا: «دع «كالڤن» يتحدث عن نفسه».

شعر «كالڤن» بأن شفتيه ملتصقتان وجسده يرتعد وهو يقول: «ليس لدىّ ما أقوله».

أما «ميج» فقد حدقت فى الرجل وهى مأخوذة، كانت عيناه لامعتين وبهما وهج أحمر، وأعلى رأسه كان هناك ضوء يتوهج بنفس توهج عينيه، وينبض فى إيقاع منتظم.

أغلق «تشارلز والاس» عينيه بشدة، ثم قال لـ «ميج» و«كالڤن»: «أغلقا أعينكما، لا تنظرا نحو الضوء ولا نحو عينيه، سينومكما مغناطيسيًّا».

استمر الصوت قائلاً: «أنت ماهر.. أليس كذلك؟ تركيز عينيك سيفيد بالطبع، ولكنّ هناك طرقًا أخرى، يا رجلى الصغير.. نعم.. هناك طرق أخرى».

قال «تشارلز والاس»: «لو حاولتها معى، فسأركلك» وكانت أول مرة تسمع فيها «ميج» «تشارلز» يقترح العنف.

«حقًّا يا أيها الرجل الصغير؟» ـ كان المقصود أن الكلام مسلٍّ متسامح، ولكن ظهر أربعة رجال فى أثواب فضفاضة داكنة وأحاطوا بالأولاد، فتابعت الكلمات: والآن يا أعزائى، ليس بى حاجة لأن ألجأ للعنف، ولكننى أظن أنه ربما أوفر عليكم الألم إذا ما جعلتكم ترون على الفور أنه ليس من الصواب أن تعارضونى، ليس فقط؛ لأنه لا حاجة لذلك؛ بل لأنه لا يوجد لديكم أدنى رغبة فى ذلك، فلماذا تتعاركون مع من هو موجود هنا ليوفر عليكم الألم والمشاكل؟ لأجلكم ولأجل باقى

الناس السعداء المفيدين على هذا الكوكب، أنا على استعداد لتولى كل الألم والمسئولية والأعباء الخاصة بالتفكير واتخاذ القرار».

قال «تشارلز والاس»: «سنتخذ قراراتنا بأنفسنا، شكرًا لك».

«بالتأكيد وستكون قراراتنا واحدة، أنتم وأنا، ألا ترون كم سيكون ذلك أفضل وأسهل لكم؟ دعونى أريكم، هيا نذكر جدول الضرب معًا.

قال «تشارلز والاس»: «لا».

«واحد فى واحد يساوى واحدًا، اثنان فى واحد يساوى اثنين، ثلاثة فى واحد يساوى ثلاثة».

صاح «تشارلز والاس»: «كان لدى «مارى» حمل صغير..».

«أربعة فى واحد يساوى أربعة، خمسة فى واحد يساوى خمسة، ستة فى واحد يساوى ستة».

وأينما ذهبت «مارى»، ذهب الحمل.

«سبعة فى واحد يساوى سبعة، ثمانية فى واحد يساوى ثمانية، تسعة فى واحد يساوى تسعة».

ـ «بيتر، بيتر، آكل القرع، كانت له زوجة ولم يستطع رعايتها..».

«عشرة فى واحد يساوى عشرة، أحد عشر فى واحد يساوى أحد عشر، واثنا عشر فى واحد يساوى اثنى عشر».

وراحت كلمات الأرقام تطرق مخ «ميج» كما لو كانت تشق طريقًا داخل جمجمتها.

«اثنان فى واحد يساوى اثنين، اثنان فى اثنين يساوى أربعة، اثنان فى ثلاثة يساوى ستة».

وأطلق «كالفن» صيحة غاضبة قائلاً: «منذ سبع وثمانين عامًا أنشأ آباؤنا

أمة جديدة على هذه القارة تؤمن بالحرية، وتقدس قول: «إن جميع البشر خلقوا متساوين»..».

«أربعة فى اثنين يساوى ثمانية، خمسة فى اثنين يساوى عشرة، ستة فى اثنين يساوى اثنى عشر».

صرخت «ميج»: «أبى.. أبى»، وتسببت الصرخة فى خروج عقلها من الظلام، وبدا كما لو أن كلمات جدول الضرب قد تحولت إلى ضحكة، ثم قال الصوت: «رائع! رائع! لقد نجحتم فى الاختبار التمهيدى بتفوق».

قال «تشارلز والاس» متسائلاً: «أنت. لِمَ تظن أننا سنخضع لهذه الخدع القديمة بسهولة؟».

«آه.. لم أكن أتمنى فعلاً، لم أكن أتمنى، على أية حال أنتم صغار وحساسون للغاية، وإن الأصغر هو الأفضل يا رجلى الصغير، إن الأصغر هو الأفضل».

ونظرت «ميج» نحو عينيه المتوهجتين والضوء النابض فوقها، ثم بعيدًا حاولت النظر نحو الفم ونحو الشفتين عديمتى اللون تقريبًا، وقد كان هذا أكثر سهولة رغم أنها لم تستطع النظر مباشرة؛ لأنها لم تكن واثقة تمامًا من شكل الوجه، وإذا كان صغيرًا أم كبير السن، وهل كان هو قاسيًا أم عطوفًا، إنسانًا أم مخلوقًا غريبًا.

وقالت فى صوت حاولت من خلاله أن تبدو هادئة وشجاعة: «إذا سمحت، السبب الوحيد لوجودنا هنا هو أننا نظن أن أبانا موجود هنا، هل يمكنك أن تخبرنا أين نجده؟».

بدا شىء من المرح فى الصوت الذى قال: «آه.. أبوكم، آه.. نعم، أبوكم! ولكن ليس.. هل يمكننى...!، إنما هل سأفعل؟».

«حسنًا.. هل ستفعل؟».

«هذا يعتمد على بضعة أشياء، لماذا تريدين والدك؟».

تساءلت «ميج»: «أليس لك أب؟ أنت لا تريده لأجل سبب ما، أنت تريده؛ لأنه والدك».

«آه، ولكنه لم يكن يتصرف كأب مؤخرًا.. أليس كذلك؟ يترك زوجته وأربعة أطفال صغار ويخرج وراء أهوائه الشخصية».

«لقد كان يعمل لحساب الحكومة، ولم يكن ليتركنا لولا ذلك، ونحن نريد أن نراه الآن، أرجوك حالاً».

«ولكن الآنسة الصغيرة ليست صبورًا، صبرًا.. صبرًا يا سيدتى الصغيرة».

ولم تقل «ميج» للرجل الجالس على المقعد إن الصبر لم يكن من فضائلها، فعاد يتابع: «وبالمناسبة يا أطفالى، لا داعى لنطق الكلمات حرفيًّا أثناء حديثكم معى، فأنا أستطيع أن أفهمكم تمامًا كما تفهموننى».

وضع «تشارلز والاس» يديه على خصره قائلاً: «الكلمات المنطوقة أحد انتصارات الإنسان، وأنا أنوى الاستمرار فى استخدامها، خاصة مع من لا أثق بهم»، ولكن صوته كان يرتعش، وكاد «تشارلز والاس» الذى كان طفلاً نادر البكاء أن يبكى.

«وأنت لا تثق بى؟».

«وما الذى يدعونا للثقة بك؟».

«وماذا فعلت حتى لا تثقوا بى؟ والْتَوت شفتاه قليلاً».

فجأة تقدم «تشارلز والاس» وضرب الرجل بكل قوته، وكانت ضربته قوية بالفعل، فقد تدرب كثيرًا مع التوأم.

صرخت «ميج»: «تشارلز!».

وتحرك الرجال ذوو الملابس الداكنة فى سرعة وخفة نحو «تشارلز» ولكن الرجل الجالس رفع إحدى أصابعه فتراجعوا، همس «كالڤن» قائلاً: «توقف» وبمعاونة «ميج» تقدما للأمام سريعًا وجذبا «تشارلز والاس» بعيدًا عن المنصة.

أجفل الرجل وبدأ يتحدث مرة أخرى وأنفاسه متقطعة كما لو أن ضربة «تشارلز» قد أثرت فيه: «هل لى أن أسأل: لماذا فعلت هذا؟».

قال «تشارلز والاس»: «لأنك لست أنت، أنا لست واثقًا مَنْ أنت، ولكنك...» وأشار نحو الرجل الجالس على المقعد متابعًا: «لست مَنْ يتحدث إلينا، أنا آسف إذا كنت قد آلمتك، فلم أكن أعتقد أنك حقيقى، ظننت أنك قد تكون «روبوت»؛ لأننى لا أشعر أن أى شىء يأتى منك مباشرة، ولست واثقًا من أين يأتى، ولكنه يأتى بواسطتك.. وهو ليس أنت؟».

«ذكى للغاية.. أليس كذلك؟» وشعرت «ميج» بشعور غير مريح نحو الكلمات هذه المرة؛ إذ كانت توحى بالغضب، قال «تشارلز والاس»: «ليس الأمر أننى ذكى، وعادت «ميج» تشعر أن راحة يدها تتصبب عرقًا».

قال الصوت: «إذن، حاول أن تعرف من أنا».

قال «تشارلز» بصوت مرتفع: «لقد كنت أحاول».

«انظر نحو عينى بعمق، مباشرة وسأخبرك».

نظر «تشارلز والاس» بسرعة نحو «ميج» و«كالفن»، ثم قال وكأنما يحدث نفسه: «يجب أن أفعل ذلك، ثم ركز عينيه الزرقاوين على عينى الرجل الحمراوين ونظرت «ميج» نحو شقيقها، وليس نحو الرجل، وبعد لحظة بدا أن عينيه لم تكونا مركزتين، فلقد ضاقت حدقتاه، كما لو كان وسط ضوء مبهر حتى بدت عيناه مغلقتين تمامًا، حتى صارتا لا شىء سوى مادة زرقاء وغير شفافة.

وترك يدىّ «ميج» و«كالفن» وبدأ يسير ببطء نحو الرجل الجالس على المقعد.

صرخت «ميج»: «لا!.. لا!».

ولكن «تشارلز والاس» تابع تقدمه ببطء وقد عرفت أنه لم يسمعها.

عادت تصرخ مرة أخرى: «لا!» وركضت خلفه ثم قفزت نحوه؛ لتستقر فوقه، كانت أكبر حجمًا منه؛ لذلك فقد سقط واصطدمت رأسه بقوة بالأرضية الرخامية وظلت هى تنتحب إلى جواره، وبعد لحظة فتح عينيه، كما لو أن الصدمة قد أفقدته وعيه، فتح عينيه وهز رأسه ثم نهض جالسًا، وببطء عاودت حدقتا عينيه اتساعهما حتى عادتا لوضعهما الطبيعى، وعاد الدم إلى وجنتيه الشاحبتين.

تحدث الرجل الذى فوق المقعد إلى عقل «ميج» مباشرة وصار واضحًا فى كلامه تهديدٌ: «أنا غير مسرور، وقد أفقد صبرى معكم، وهذا لن يكون جيدًا لوالدكِ أيتها السيدة الصغيرة، ولو كان لديك أقل قدر من الرغبة فى رؤية والدك، فمن الأفضل أن تتعاونى».

وتصرفت «ميج» كما تفعل أحيانًا مع الأستاذ «جينكس» فى المدرسة؛ عبست ونظرت إلى الأرض، وعقدت ما بين حاجبيها فى غضب، تذمرت قائلة: «قد يساعدنا أن تقدم لنا شيئًا لنأكله، إننا جميعًا نتضوّر جوعًا، ولو كنت تنوى معاملتنا بفظاعة، فمن الأفضل أن تملأ معدتنا أولاً».

ومرة أخرى شعرت «ميج» أن الأفكار تتحول إلى ضحكة: «أليست فتاة مرحة؟ إنه من حسن حظّك أنكِ تسلينى يا عزيزتى، وإلا ما كان علىّ أن أكون متساهلاً هكذا معك، فالصبيان اللذان أراهما ليسا مختلفين تقريبًا ولكن قولى لى يا سيدتى الصغيرة، لو أطعمتك، فهل تكفين عن التدخل فى أمورى؟».

قالت «ميج»: «لا».

قال لها الرجل: «الجوع يصنع العجائب بالتأكيد، وأنا أكره استخدام هذه الطرق البدائية معكم، ولكنكم تدركون أنكم تضطروننى إلى ذلك».

ما كنت لأكل طعامكم القديم على أى حال، كانت «ميج» لا تزال على حالتها من الضيق والغضب، كما لو كانت فى مكتب الأستاذ. جينكس.. ما كنت لأثق به.

«طعامنا بالطبع، مركب ولن يفوق أصنافكم من الحبوب ولحم الخنزير وغيرها، ولكننى أؤكد لك أنه مغذ، ورغم أنه لا طعم له فى حد ذاته، وكل المطلوب هو بعض الاستعداد البسيط؛ لإيهامكم بأنكم تتناولون ديكًا روميًا مشويًا على العشاء».

عادت «ميج» تقول: «لو أكلت الآن فسأتقيأ على أى حال».

كانت لا تزال ممسكة بيدىّ «تشارلز» و«كالفن» وهى تتقدم للأمام

معهما، ثم قال «تشارلز»: «حسنًا، وماذا بعد؟ لقد قلنا ما يكفينا من هذه المقدمات، دعنا نبدأ».

قال الرجل: «هذا بالضبط ما كنا نفعله، حتى تدخلت شقيقتك وأصابتك بارتجاج فى المخ، هل يمكن أن نحاول ثانية؟».

صرخت «ميج»: «لا.. لا يا «تشارلز»، أرجوك دعنى أقم أنا بهذا أو «كالفن»..».

«ولكن هذا غير ممكن، فالصبى الصغير هو الوحيد الذى يملك نظامًا عصبيًا معقدًا بما يكفى، ولو حاولت التحكم فى الأعصاب الضرورية فسينفجر مخك».

«ولن يحدث ذلك لـ «تشارلز»؟».

«لا أظن».

«ولكنْ هناك احتمالاً!».

«دائمًا هناك احتمال».

«إذن، يجب ألا يفعلها».

«أعتقد أنه يجب أن تدعيه يقرر بنفسه».

ولكن عناد «ميج»، الذى كثيرًا ما يسبب لها المتاعب، استمر: «هل تعنى أن «كالفن» وأنا لا نستطيعان أن نعرف من أنت؟».

«لا.. أنا لم أقل ذلك، أنتما لا تستطيعان أن تعرفا بنفس الطريقة، ولا لأنه يهمنى أن تعرفا، آه.. ها نحن!».. ومن مكان ما وسط الظلال ظهر أربعة رجال فى ملابس داكنة يحملون منضدة مغطاة بقماش أبيض مثل الموائد التى تستخدم فى خدمة الغرف بالفنادق، ويحملون صندوقًا

معدنيًا ساخنًا يحتوى على شىء شهى الرائحة، تشبه رائحته رائحة الديك الرومى.

وراحت «ميج» تفكر فى الموقف كله وشعرت بغرابة واضحة فى الوضع كله، بالتأكيد هناك شىء ما متعفن فى حالة «كامازوتز».

ومرة أخرى تحولت الأفكار إلى ضحكة «إن رائحته ليست كرائحة طعامكم، ولكن ألا يحمل نفس الجودة؟».

قال «تشارلز والاس»: «أنا لا أشم شيئًا».

«أعرف يا صديقى، وتذكروا ماذا تفتقدون، سيبدو هذا كما لو كنت تأكل الرمال، ولكننى أقترح أن تبتلعه بأى طريقة، فأنا لا أفضل الحصول على قراراتكم وأنتم بهذا الضعف الناتج عن معدة فارغة».

وضعت المائدة أمامهم، وقام الرجال ذوو الملابس الداكنة بوضع صحون البطاطس وصلصة اللحم وبعض البسلة الخضراء، مع بعض الزبد الأصفر وتوت برى وبطاطا مع كريمة بنية، وزيتون وكرفس، وبراعم الورد، والفجل، و... .

شعرت «ميج» بمعدتها تزمجر؛ طلبًا للطعام وجرى اللعاب فى فمها.

غمغم «كالڤن»: «يا إلهى، ظهرت وعاد الرجال الذين أعدوا الوليمة للظلال».

حرَّر «تشارلز والاس» يديه من «ميج» و«كالڤن» وقفز فوق أحد المقاعد، ثم قال: «هيا، لو أنه مسمم، فهو كذلك وإن كنت لا أظن أنه مسمم».

جلس «كالڤن» فى حين ظلت «ميج» واقفة فى تردد.

وتناول «كالڤن» قضمة ومضغها ثم ابتلعها، ونظر نحو «ميج» قائلاً: «لو أنه غير حقيقى فهو أفضل تقليد ستحصلين عليه».

وقضم «تشارلز والاس» قضمة، ثم ظهر على وجهه تعبير غريب، وبصق كل ما فى فمه صائحًا فى الرجل: «هذا ليس عدلاً!».

وبدت كلمات الرجل ضاحكة مرة أخرى وهو يقول: «هيا أيها الصغير كُل».

وزفرت «ميج»، ثم جلست قائلة: «لا أظن أننا ينبغى أن نأكل هذه الأشياء ولكن إذا كنتما ستأكلان، فمن الأفضل أن آكل أيضًا»، وملأت فمها بالطعام، ثم تابعت: «مذاقه جيد، حاول أن تجرب بعض ما لدىّ يا «تشارلز»..» وحملت شوكة بها لحم الديك الرومى، تناولها «تشارلز» ليبدو على وجهه نفس التعبير ولكنه حاول البلع قائلاً: «لايزال يبدو كطعم الرمال»، ثم نظر نحو الرجل متسائلاً: «لماذا؟».

«أنت تعرف تمامًا لماذا.. لقد أغلقت عقلك تمامًا نحوى، والاثنان الآخران لا يقدران، وأنا أستطيع أن أنفُذَ لعقلهما من خلال نقاط الضعف بالعمق الكافى لجعلهما يتناولان عشاءً من لحم الديك الرومى، وكما ترى فأنا عطوف ومهذب».

ضحك «تشارلز والاس» فى سخرية، فى حين ارتسمت ابتسامة على وجه الرجل لتكون ابتسامته أبشع شىء رأته «ميج» قبل أن يعاود حديثه: «لماذا لا تثق بى يا «تشارلز»؟ لماذا لا تثق بى حتى تنفذ إلىّ وتعرف من أنا؟ أنا السلام والراحة المطلقة، أنا التحرر من المسئولية، وأن تأتى إلى آخر قرار صعب يمكنك أن تتخذه».

تساءل «تشارلز والاس»: «إذا نفذت إليك، فهل يمكننى الخروج مرة أخرى؟».

«بالطبع، إذا أردت، ولكننى لا أظن أنك ستريد ذلك».

«لو نفذت.. فليس لأبقى كما تفهم، وإنما فقط لأعرف مَنْ أنت، فهل ستخبرنا أين أبى؟».

«نعم. إنه وعد، وأنا لا أحنث بوعودى».

«هل يمكننى أن أتحدث مع «ميج» و«كالڤن» وحدنا دون أن تسمعنا؟».

«لا».

فقال «تشارلز» لهما: «اسمعا، يجب أن أعرف من هو وأنتما تعرفان ذلك، سوف أحاول منع ذلك، سأحاول الاحتفاظ بجزء من نفسى خارجًا، لا توقفينى هذه المرة يا «ميج».

«ولكنك لن تقدر يا «تشارلز»، إنه أقوى منك! وأنت تعلم ذلك!».

«يجب أن أحاول».

«ولكن السيدة «واتست» حذرتك!».

«يجب أن أحاول من أجل أبى يا «ميج» أرجوك، أنا أريد... أريد أن أعرف أبى وارتعشت شفتاه للحظة، ثم تمالك نفسه قائلاً: «ولكن الأمر ليس أبى فقط يا «ميج»، أنت تعرفين ذلك الآن، هذا الشىء الأسود.. يجب أن نقوم بما أرسلتنا السيدة «واتست» إلى هنا من أجله».

قالت «ميج» متوسلة: «كالڤن».

ولكن «كالڤن» هز رأسه قائلاً: «إنه على حق يا «ميج» وسنكون معه مهما حدث».

صرخت «ميج»: «ولكن ماذا سيحدث؟».

نظر «تشارلز والاس» نحو الرجل قائلاً: «حسنًا.. هيا بنا».

وبدا وكأن أعين الرجل الحمراء والضوء الذى يعلوهما يغمران «تشارلز»، ومرة أخرى عادت حدقتا عينى الصبى تضيقان، وعندما ضاعت النقطة النهائية من الكلام فى الزرقة، اختفتا تمامًا، ابتعد عن الأعين الحمراء، ونظر نحو «ميج» مبتسمًا، ولكنها لم تكن ابتسامة «تشارلز والاس» وهو يقول: «هيا يا «ميج»، تناولى هذا الطعام الشهى الذى أُعدّ لنا».

أمسكت «ميج» بطبق «تشارلز» ورمته على الأرض فتحطّم وتناثر، وهى تصرخ: «لا!» وراح صوتها يرتفع فى حدة وهى تردد: «لا! لا! لا!».

ومن وسط الظلال، جاء أحد أصحاب الزى الداكن، ووضع صحنًا آخر أمام «تشارلز والاس»، الذى راح يأكل بشغف، ثم تساءل: «ماذا هناك يا «ميج»؟ لماذا تبدين متحفزة، غير متعاونة؟».

كان الصوت هو صوت «تشارلز والاس» ولكنه أيضًا كان مختلفًا، لقد تمدد بطريقة ما، كما لو كان صوتًا على الكوكب الثنائى الأبعاد.

وأمسكت «ميج» بـ «كالفن» فى شراسة وهى تصيح: «هذا ليس «تشارلز»! «تشارلز» قد ذهب!».

8 العمود الشفاف

جلس «تشارلز والاس» هناك يلتهم الديك الرومى كما لو كان أشهى شىء تذوقه، كان الجالس يرتدى مثل «تشارلز والاس» ويبدو مثل «تشارلز والاس».. فله نفس الشعر البنى ونفس الوجه، الذى لم يفقد دورانه الطفولى، ولكن العينين كانتا مختلفتين، فقد ابتلع لونهما الأزرق سواد الحدقتين ولكن ما جعل «ميج» تشعر باختلاف «تشارلز» كان أكثر من ذلك، فهذا الصبى الجالس هناك كان مجرد نسخة من «تشارلز والاس».. مجرد دمية.

قاومت انتحابها وهى تتساءل: أين هو؟ ثم نظرت نحو الرجل ذى الأعين الحمراء متسائلة: «ماذا فعلت به؟ أين «تشارلز والاس»؟».

نقل لها الرجل أفكاره قائلاً: «ولكن يا طفلتى العزيزة أنتِ متوترة، إنه هنا.. أمامك بخير وسعادة تامة لأول مرة فى حياته، وهاهو ينهى عشاءه، ومن الحكمة أن تفعلى ذلك أنتِ أيضًا».

صاحت به «ميج»: «أنت تعرف أنه ليس «تشارلز»!، لقد تمكنت منه بطريقة ما».

همس لها «كالڤن» فى أذنها قائلاً: ««ميج»، لا فائدة من محاولة الحديث معه، ما يجب أن نفعله هو الإمساك بـ «تشارلز» بإحكام، إنه هناك فى مكان ما ولا يجب أن ندعهم يأخذونه منا، ساعدينى فى التمسك به يا «ميج» ولا تفقدى السيطرة على نفسِك، ليس الآن، يجب أن تساعدينى فى الإمساك بـ «تشارلز»!» وأمسك بذراع الصبى بقوة.

وأمسكت «ميج» بذراع «تشارلز» الأخرى، وهى تحارب توترها.

فقال «تشارلز» فى حدة: «أنت تؤلميننى يا «ميج»! دعينى أذهب!».

قالت «ميج» بحدة: «لا».

جاء صوت «تشارلز والاس»: كنا كلنا مخطئين، ظنت «ميج» أن هذا الصوت مسجل بتقنية عالية.

إنه ليس عدوًا على الإطلاق، إنه صديق.

قال «كالڤن» بوقاحة: «مجانين!».

عاد «تشارلز» يقول: «أنت لا تفهم يا «كالڤن» إن السيدة «واتست»، والسيدة «هُو» والسيدة «ويتش» قد تسببن فى إحداث ربكة لنا وخلطن الأمور، هن أعداؤنا الحقيقيون، ولم يكن يجب أن نثق بهن البتة».. كان يتحدث بصوت شديد الهدوء والعقلانية، الصوت الذى يكرهه التوأم بشدة، كان ينظر مباشرة نحو «كالڤن» وهو يتكلم، وكانت «ميج» واثقة أن

العينين الزرقاوين عليلتان ولا تستطيعان رؤية أى شىء وأن ذلك شخص، أو الشىء الآخر ينظر نحو «كالڤن» من خلال «تشارلز».

ثم استدارت العينان الباردتان الغريبتان نحو «ميج» وقال: «ميج» دعينى أفسر لك كل شىء، ولكن يجب أن تتركينى».

ضغطت «ميج» على أسنانها وقالت: لا. لم تخفف قبضتها، فبدأ «تشارلز والاس» يبتعد عنها بقوة ليست قوته هو، ولم تكن قوتها الضعيفة تساوى شيئًا أمام هذه القوة، «كالڤن»: شهقت، بينما لوى «تشارلز والاس» ذراعه ليخلصها منها، ثم وقف.

أما «كالڤن» الرياضى، الذى كان يقطع لوالدته حطب المدفأة، والذى كان مفتول العضلات ويستطيع التحكم فيها، ترك معصم «تشارلز» ثم أحاطه بذراعيه كما لو كان يحيط بكرة قدم، وفى وسط ذعرها وغضبها اندفعت «ميج» نحو الرجل وهى تنوى ضربه، كما فعل «تشارلز والاس» ولكنّ الرجال ذوى الملابس الداكنة كانوا أسرع منها وأمسك أحدهم بها وطوق ذراعيها خلف ظهرها.

وانبعث صوت «تشارلز» من أسفل «كالڤن» قائلاً: ««كالڤن» أنصحك بأن تدعنى».

عبس «كالڤن» وجهه بشدة وفى تصميم واضح لم يُرخِ مسكته، أومأ الرجل ذو العينين الحمراوين، وتحرك ثلاثة رجال نحو «كالڤن» وأجبروه على ترك «تشارلز» قبل أن يطوقوه، كما فعلوا مع «ميج».

صاحت «ميج» فى يأس: «سيدة «واتست»... سيدة «واتست»..».

ولكن السيدة «واتست» لم تأتِ.

فقال «تشارلز والاس»: ««ميج»، استمعى إلىّ».

«حسنًا.. ها أنا أسمع».

«لقد أخبرتك أننا كنا جميعًا مخطئين، إننا لم نفهم، لقد كنا نحارب صديقنا.. إنه صديق والدنا».

«لو أن أبى أخبرنى أنه صديقنا فربما أصدق ذلك، ربما، إلا إذا كان قد أوقع أبى تحت تأثير تعويذة أو أى شىء من هذا القبيل، مثلما يحدث معك».

قال «تشارلز والاس»: «إنها ليست قصة من قصص الخيال، «ميج» يجب أن تتوقفى عن العراك وتهدئى، اهدئى وكونى سعيدة، فلو هدأتِ فستلاحظين أن كل متاعبنا قد انتهت، أنت لا تفهمين إلى أى مكان رائع قد وصلنا، فكما ترين.. كل شىء على هذا الكوكب يسير وفق نظام محكم؛ لأن الجميع تعلموا أن يكونوا هادئين، أن يستسلموا ويخضعوا، وكل ما عليك هو النظر بهدوء وثبات نحو عينى صديقنا الطيب هنا؛ لأنه صديقنا يا شقيقتى العزيزة وسيأخذك كما أخذنى».

قالت «ميج»: «لقد أخذك بالفعل، أنت تعلم أنك لست أنت، فأنت تعلم أنك لم تنادِنى باسم «شقيقتى العزيزة» مطلقًا قبل ذلك».

همس إليها «كالفن»: «اصمتى قليلاً يا «ميج» ونظر نحو الرجل ذى الأعين الحمراء، ثم قال: «حسنًا، دع أتباعك يتركونا وتوقف عن الحديث إلينا من خلال «تشارلز»، إننا نعرف أنك أنت الذى تتكلم، أو أيًّا كان من يتحدث.. لقد نوَّمت «تشارلز» مغناطيسيًّا!.

همهم الرجل: «طريقة بدائية لطرح الأمر»، ثم أشار بإصبعه؛ ليطلق سراح «ميج» و«كالفن»، فقال الأخير: «شكرًا، والآن.. لو أنك صديقنا فأخبرنا من أنت؟ أو ما أنت؟».

«ليس ضروريًا أن تعرفوا من أنا، أنا رئيس المنسقين، هذا هو كل ما تحتاجون معرفته».

«ولكن هناك من يتكلم من خلالك، أليس كذلك؟ مثل «تشارلز والاس»، هل أنت أيضا منوم مغناطيسى؟».

«لقد قلت لك إنها كلمة بدائية بدون الدلالات الصحيحة».

«هل أنت الذى سيأخذنا للسيد «مورى»؟

«لا، هذا ليس ضروريًا، فمن المستحيل أن أترك المكان، «تشارلز والاس» سيقودكم».

«تشارلز والاس؟!»

«نعم».

«متى؟».

«الآن».. وارتسمت على وجه الرجل ذى العينين الحمراوين قسمات مخيفَة تدل على ابتسامته وهو يتابع: «نعم. من الأفضل أن تكون الآن».

وأشار «تشارلز والاس» برأسه قائلاً: «هيا»، وبدأ السير فى طريقة آلية غريبة وتبعه «كالفن»، فى حين ترددت «ميج» وهى تنقل عينيها من الرجل ذى العينين الحمراوين وبين «تشارلز» و«كالفن»، ويبدو أنها كانت ترغب فى أن تمسك بيد «كالفن» كما لو أنها طوال رحلتها كانت تبحث عن يد لتمسك بها، ولهذا فقد دست يديها فى جيوبها وسارت خلفهما.

أخذت تقول لنفسها: «يجب أن أكون شجاعة وسأكون».

وساروا معًا فى ممر أبيض طويل، كما لو كان لا نهاية له وتابع «تشارلز» نفس طريقة سيره الميكانيكية دون أن ينظر خلفه؛ ليرى هل هما هناك أم لا؟!

وفجأة ركضت «ميج» ولحقت «كالفن»، ثم قالت له: «اسمع، هل تذكر

ما قالته السيدة «واتست».. إن موهبتك فى الاتصال، وكان هذا ما تمنحك هى إياه؟ لقد كنا نحاول التغلب على «تشارلز» بدنيًا وهو ما لم يُجدِ، ألا يمكن أن تحاول الاتصال به؟ ألا تستطيع أن ننفذ إليه؟».

«يوم رائع. أنت على حق».. وأشرق وجه «كالڤن» بالأمل، وأضاءت عيناه التى كانت منطفئة، واستعادت بريقها المعتاد.. لقد تعرضت لمثل هذا الموقف من قبل، قد لا يُكتب لهذه المحاولة النجاح، لكن على الأقل يجب أن أحاول.. وأسرعا من خطواتهما حتى يكونا فى مستوى «تشارلز والاس» وحاول «كالڤن» الإمساك بذراع «تشارلز»، لكن «تشارلز» أبعدها.

فقال «كالڤن»: «أنا لن أؤذيك، أنا فقط أحاول أن أكون ودودًا، دعنا نتصالح».

تساءل «تشارلز والاس»: «هل تعنى أنك ستعود إلى رشدك؟».

أجابه «كالڤن» محاولاً مشاكسته: «بالتأكيد، نحن فى الواقع عقلانيون، فقط انظر نحوى لدقيقة».

استدار «تشارلز» ببطء لينظر نحوه بعينيه الباردتين الخاليتين من التعبير فبادله «كالڤن» النظرة، وشعرت «ميج» بمحاولته للتركيز قبل أن تسرى رعدة واضحة فى جسد «تشارلز والاس» لتهزه، وللحظة بدت عيناه، وكأنما استعادتا قدرتهما على الرؤية، ثم راح جسده كله يرتجف وعاود سيره الآلى مرة أخرى قائلاً: «كان يجب أن أعرف أكثر، إذا كنت تريد أن ترى «مورى»، فمن الأفضل أن تتبعنى ولا تحاول ممارسة أى خدع».

سأله «كالڤن»: «هل هذا هو ما تدعو به والدك.. «مورى»؟».

استطاعت «ميج» معرفة مدى غضبه وضيقه من نجاحه المرتقب، فى حين راح «تشارلز والاس» يردد: «والد؟ وما هو الوالد؟ إنه تصور غير سليم، لو شعرت أنك بحاجة لأب، فأقترح عليك أن تذهب إلى «آى تى»..».

مرة أخرى «آى تى».

تساءلت «ميج»: «من هو «آى تى»؟».

أجابها «تشارلز والاس»: «كل شىء فى وقته، أنت لست مستعدة لـ «آى تى» بعد، أولاً سأخبرك بشىء عن هذا الكوكب الجميل المستنير «كامازوتز» واتخذ صوته نبرات الأستاذ «جينكس» المتحذلقة والجافة وهو يتابع: ربما لا تدركان أننا قهرنا المرض وكل العاهات من على كوكب «كامازوتز»..».

قاطعه «كالڤن»: «إننا...!».

واستمر «تشارلز» كما لو لم يسمع، وبالطبع هو لم يسمع، كما ظنت «ميج»، فتابع: «نحن لا نسمح بأية معاناة، إنه نوع من التعاطف أن تساعد مريضًا، لا أحد يعانى من الرشح واحتقان الحلق لأسابيع. وبدلاً من أن يتحملوا هذه المشقة، راحوا فى النوم سريعًا».

تساءل «كالڤن»: «هل تعنى أنه تم تنويمهم أثناء إصابتهم بالبرد أم أنهم قُتلوا؟».

قال «تشارلز والاس»: «القتل كلمة بدائية جدًّا، لا يوجد شىء كالقتل على كوكب «كامازوتز» فـ «آى تى» يعتنى بكل هذه الأشياء». تحرك ناحية حائط الممر، وقف للحظة ثم رفع يده، واهتز الحائط وارتج وأصبح شفافًا.. عبره «تشارلز والاس» وأشار إلى «ميج» و«كالڤن» أن يتبعاه وبالفعل تبعاه.

كانوا فى حجرة صغيرة مربعة يشع فيها ضوء باهت كبريتى وشعرت «ميج» بنذير سوء بسبب كون الحجرة مضغوطة بشدة، كما لو أن السقف والأرض والحوائط تتحرك معًا وتسحق أى أحد سوّلت له نفسه الدخول.

وسأل «كالڤن» «تشارلز»: «كيف فعلت هذا؟».

«فعلت ماذا؟».

«فتحت الحائط هكذا».

أجابه «تشارلز والاس» من عليائه: «لقد أعدت ترتيب الذرات، ألم تدرس الذرة فى المدرسة؟».

«بالتأكيد ولكن...».

«أى إنك تعرف أن المادة ليست صلدة، أليس كذلك؟ وأنك أنت يا «كالڤن» تتكون من فراغات؟ وأنه لو كان لمادة جسمك أن تتجمع معًا فستصبح فى حجم رأس الدبوس! إنها حقيقة علمية، أليس كذلك؟».

«بلى ولكن...».

«حسنًا.. المسألة ببساطة أننى نحيت الذرات جانبًا، وسرنا خلال الفراغ الموجود بينها».

شعرت «ميج» أن معدتها تكاد تسقط، ثم أدركت أن ذلك المربع الذى يقفون عليه ليس إلا مصعدًا، وقد بدأ يتحرك لأعلى فى سرعة كبيرة، وأضاء النور الأصفر وجوههم، وعينا «تشارلز» الزرقاوان الشاحبتان قد امتصتا اللون الأصفر وتحولتا للّون الأخضر.

لعق «كالڤن» شفتيه وتساءل: «إلى أين نحن ذاهبون؟».

واستمر «تشارلز» فى محاضرته قائلاً: «لأعلى.. فى «كامازوتز» كلنا سعداء؛ لأننا كلنا متشابهون، فالاختلافات تخلق المشكلات، وأنت تعرفين هذا يا شقيقتى العزيزة.. أليس كذلك؟».

أجابته «ميج» قائلة: «نعم».

«بل.. بلى، لقد رأيت فى منزلنا كيف كان ذلك صحيحًا، وأن هذا هو سبب عدم سعادتكِ فى المدرسة؛ لأنك مختلفة».

فقال «كالڤن»: «أنا مختلف وسعيد».

«ولكنك تتظاهر أنك لست مختلفًا».

ارتفع صوت «كالڤن» بطريقة غير طبيعية وهو يقول: «أنا مختلف وأحب كونى مختلفًا».

وقالت «ميج»: «ربما أنا التى لا أحب كونى مختلفة، ولكننى لا أريد أن أكون مثل الجميع أيضًا».

رفع «تشارلز والاس» يديه، فتوقفت حركة الصندوق المربع، وبدا أن أحد الحوائط قد اختفى.. خطى «تشارلز» للخارج، تبعته «ميج» و«كالڤن» الذى خرج فى آخر لحظة قبل أن يظهر الحائط مرة ثانية، ثم لم يعد باستطاعتهم معرفة أين كانت الفتحة، فتساءلت «ميج»: «هل كنت تريد أن يظل «كالڤن» هناك؟».

«أنا فقط أحاول أن أعلمكما الحذر وأحذركما، إذا سببتما لى أية مشكلة، فسأكون مضطرًا لاصطحابكما إلى «آى تى»..».

خرجت الكلمة من بين شفتى «تشارلز» لتشعر «ميج» مرة أخرى كما لو أنها تشير لشىء مقزز ومفزع، فتساءلت: «ما هو «آى تى»؟».

«يمكن أن تقولى أن «آى تى» هو الرئيس»، أخذ «تشارلز والاس» يضحك بصوت شرير لم يسبق لـ «ميج» أن سمعته من قبل، ثم تابع: ««آى تى».. أحيانًا يدعو نفسه أكثر الساديين سعادة».

تكلمت «ميج» ببرود؛ لتغطى خوفها: «لا أعرف عما تتحدث».

قال «تشارلز» وهو يضحك مرة أخرى: «السادية(*) ألا تعرفينها؟ كثير من لا يعرفونها».

قالت «ميج»: «حسنًا، لا يهمنى، فأنا لا أرغب حتى فى رؤية «آى تى»».

(*) السادية: نسبة إلى الفرنسى الكونت «دى ساد» وهو مذهب يتلذذ فيه المرء بتعذيب الآخرين، ومعناها القسوة المفرطة.

تردد صوت «تشارلز والاس» الغريب فى أذنيها وهو يقول: ««ميج»، من المفروض أن تفكرى فى الأمر جيدًا، لماذا فى رأيك توجد حروب فى موطننا؟».. لماذا يصبح الناس متوترين وغير سعداء؟ لأن كلاً منهم يعيش بمعزل عن الآخرين، لقد كنت أحاول تفسير الأمر لكما بأبسط الطرق الممكنة.. إنه هنا على «كامازوتز»، كلنا هنا نعيش بعقل واحد، إنه «آى تى» وهذا هو سبب سعادة الجميع وكفاءتهم.. وهذا هو السبب فى أن الساحرات العجائز مثل السيدة «واتست» لا يردن حدوث ذلك عندنا».

قاطعته «ميج» قائلة: «إنها ليست ساحرة».

«لا».

قال «كالفن»: «لا.. أنت تعرف أنها ليست ساحرة، وتعرف أن لعبتهن وربما طريقتهن الضحك فى الظلام».

تابع «تشارلز»: «فى الظلام كلمة صحيحة، إنهن يردن منا أن نرتبك بدلاً من أن نكون منظمين بطريقة صحيحة».

هزت «ميج» رأسها بعنف، ثم صرخت: «لا! أنا أعرف أن عالمنا ليس مثاليًّا يا «تشارلز»، ولكنه أفضل من هذا، فهذا ليس البديل الوحيد، مستحيل أن يكون!».

عاد «تشارلز» يقول: «لا أحد يعانى هنا، ولا أحد غير سعيد».

عادت «ميج» تقول: «لا أحد سعيد دائمًا، ربما لأنك تكون غير سعيد أحيانًا فأنت لا تعرف كيف تكون سعيدًا.. «كالفن»، أنا أريد أن أعود للمنزل».

أجابها «كالفن»: «لا يمكن أن نترك «تشارلز» ولا يمكن أن نذهب قبل أن نعثر على والدك، أنت تعرفين ذلك، ولكنك على حق، وكذلك السيدة «ويتش».. هذا شر».

هز «تشارلز والاس» رأسه، وبدا كما لو أن مرافعة ساخرة ستنطلق منه، ثم قال: «هيا، إننا نضيّع الوقت».

وتحرك سريعًا عبر الممر، ولكنه تابع حديثه: «كم هو سخيف أن تكون كائنات صغيرة وحيدة» وتسارعت خطواته ومن خطوة إلى خطوة كانت رجله تومض حتى اضطرت «ميج» ومعها «كالفن» أن يركضا؛ ليلحقا به وهو يقول: «والآن انظرا لهذا»، ورفع يده فجأة؛ ليروا خلال أحد الحوائط حجرة صغيرة، كان بها صبى صغير يضرب كرة، يضربها بإيقاع منتظم، وبدا أن جدران هذه الحجرة تنبض مع إيقاع الكرة، وكل مرة ترتطم الكرة بالأرض يصرخ الصبى، كما لو كان يشعر بألم.

قال «كالفن» بحدة: «إنه الصبى الصغير الذى رأيناه بعد ظهر اليوم، ذلك الصبى الذى لم يكن يضرب الكرة كالآخرين».

ضحك «تشارلز والاس» مرة أخرى، ثم قال: «نعم. كل حين، توجد مشكلة فى التعاون، ولكن ليس من السهل التعامل معها، فبعد اليوم لن يرغب فى الانحراف مرة أخرى.. آه.. ها نحن».

وتحرك سريعًا فى الممر، ومرة أخرى رفع يده؛ ليجعل الحائط شفافًا، ووجدوا أنفسهم ينظرون داخل حجرة أخرى صغيرة أو زنزانة، وفى وسطها استقر عمود شفاف مستدير، كان هناك رجل بداخله.

صرخت «ميج»: «أبى!».

9 «آى تى»

هرعت «ميج» إلى الرجل المسجون بالعمود الشفاف، ولكن ما إن وصلت إلى ما كان يبدو الباب المفتوح، حتى تراجعت مسرعة كمن اصطدم بحائط من الحجر.

أمسك بها «كالڤن» ثم قال: «إنه شفاف كالزجاج هذه المرة، ولا نستطيع العبور خلاله».

كانت «ميج» مرهقة وتشعر بالدوار من أثر الصدمة، فلم تستطع الإجابة للحظة، كانت خائفة من أن تفقد وعيها أو تتقيأ، ضحك «تشارلز والاس» مرة أخرى، الضحكة التى لم تكن ضحكته، وكان هذا هو ما أنقذها. فمرة

أخرى تغلب الغضب على الألم والخوف، فـ «تشارلز والاس» الحقيقى.. «تشارلز والاس» العزيز لم يضحك عليها مطلقًا عندما كانت تؤذى نفسها، بل وبدلاً من ذلك كانت ذراعاه ستحيطان رقبتها سريعًا، ويلصق وجنته الناعمة إلى وجنتها فى حب، ولكن الشيطان «تشارلز» الموجود هنا سخر منها فاستدارت مبتعدة عنه، وراحت تنظر نحو الرجل الذى بالعمود، ثم همست فى شوق: «أبى»، ولكن الرجل لم يتحرك أو ينظر إليها، ولم يكن يرتدى نظارته التى تشبه البوق، والتى كانت تبدو دائمًا كجزء منه.. لقد ذهبت وامتقعت عيناه كما لو كان يفكر بعمق، وكانت لحيته قد نمت، وقد تحول بعض شعرها البنى إلى الرمادى، وكذلك شعر رأسه كان طويلاً، لم يكن هذا الشعر الطويل لذاك الذى كان فى الصورة فى قاعدة «كيب كانڤرال»؛ كاد يتدلى للخلف من أعلى جبهته حتى يصل لكتفيه بشكل جعله يبدو كشخص من قرن آخر من الزمان، أو بحَّار فى إحدى السفن الجانحة، ولكن رغم تغير شكله لم يكن هناك شك فى أنه والدها.. والدها المحبوب.

قال «تشارلز والاس» وهو يضحك فى سخرية: «يبدو فى حالة مزرية.. أليس كذلك؟».

صاحت فيه «ميج» بغضب: ««تشارلز»، إنه أبى.. والدك!».

«وماذا فى ذلك؟».

ابتعدت «ميج» عنه وعقدت ذراعيها ووقفت بثبات أمام الرجل الذى فى العمود، فقال «كالڤن» برقة: «إنه لا يرانا يا «ميج»..».

«لماذا؟ لماذا؟».

قال «كالڤن» مفسرًا: «أظن أنه نوع من العيون السحرية، التى تكون على أبواب الشقق، وكما تعرفين، فأنت تستطيعين النظر من الداخل، أما

من الخارج فلا يمكن رؤية أى شىء على الإطلاق، إننا نراه ولكنه لا يستطيع أن يرانا».

قالت «ميج» مستعطفة: ««تشارلز»، دعنى أَنْفُذُ إلى أبى!».

سألها «تشارلز» فى هدوء: «لماذا؟».

وتذكرت «ميج» عندما كانوا فى الحجرة مع الرجل ذى العينين الحمراوين، لقد استعاد «تشارلز والاس» نفسه حينما هاجمته، واصطدم رأسه بالأرض، فاندفعت نحوه، ولكن قبل أن تصل إليه انطلقت قبضته، واصطدمت بمعدتها فى عنف فلهثت؛ طلبًا للهواء من قوة الصدمة، ثم ابتعدت عن أخيها وهى تتوجع، ثم عادت للحائط الشفاف.. كانت هناك تلك الزنزانة، وذلك العمود الذى بداخله والدها، ورغم رؤيتها له ورغم أنها كانت قريبة منه لدرجة تجعلها تستطيع لمسه إلا أنه بدا بعيدًا، أبعد مما كان فى الصورة التى عرضتها على «كالفن» فوق البيانو.. كان يقف هناك فى هدوء، كما لو كان متجمدًا فى عمود من الثلج، وعلى وجهه تعبير من المعاناة والجَلَدْ ينفذ إلى قلبها كالسهم.

جاءها صوت «تشارلز والاس» من خلفها لا يحمل أى عاطفة وهو يقول: «هل تقولين أنك تريدين مساعدة والدكِ؟».

تساءلت «ميج» وهى تحملق فيه: «نعم. ألا تريد أنت ذلك؟».

«بالتأكيد فهذا سبب وجودنا هنا».

والآن، ماذا نفعل؟ حاولت «ميج» ألا يظهر احتياجها الشديد فى صوتها، محاولة أن يكون صوتها خاليًا من الشعور مثل «تشارلز»، لكن برغم ذلك انتهى ببكاء وصراخ.

أجابها «تشارلز»: «يجب أن تفعلا مثلما فعلت، وتدخلا إلى «آى تى»..».

«لا».

«هذا يعنى أنك لا ترغبين فى إنقاذ والدك».

«وكيف أنقذه وأنا لا أعى ما حولى هكذا؟».

«جاءها صوت بارد رتيب صادر من «تشارلز والاس» قائلاً: ««مارجريت»، يجب أن تثقى فيما أقول، «آى تى» يريدك وسيحصل عليك، ولا تنسى أننى أيضًا جزء من «آى تى» الآن.. وكما تعرفين، فإننى لم أكن لأفعل ذلك إلا إذا كان هذا هو الشىء الصحيح».

تساءلت «ميج» فى ألم: ««كالڤن» هل سينقذ هذا أبى حقًّا؟».

ولكن «كالڤن» لم يكن منتبها لها، كان يبدو مركزًا بكل قوته على «تشارلز والاس»، كان يحملق فى العينين الزرقاوين، أو ما بقى منهما، ثم راح يهمس: «و...، لأنك روحٌ رقيقة، وحتى تتصرف بطبيعتها الماقتة للأوامر فقد احتجزتك فى ثمرة صنوبر مشقوقة».

تعرفت «ميج» على كلمات السيدة «هُو» له.

للحظة بدا «تشارلز والاس» كما لو كان يستمع، ثم هز كتفيه وتراجع، وابتعد، تبعه «كالڤن» محاولاً إبقاء عينيه مركزتين على «تشارلز» ثم قال: «إذا كنت تريد ساحرة شريرة يا «تشارلز»، فإن «آى تى»، هى الساحرة الشريرة وليس سيداتنا، لقد كان شيئًا طيبًا.

إننى درست «العاصفة» فى المدرسة هذا العام.. أليس كذلك يا «تشارلز»؟

فقد كانت هى الساحرة الشريرة التى وضعت «أورييل» فى ثمرة الصنوبر المشقوقة.. أليس كذلك؟

بدا صوت «تشارلز والاس» كما لو كان قادمًا من مسافة بعيدة وهو يقول: «توقف عن الحملقة بى».

تسارعت أنفاس «كالفن» وهو يستمر فى تثبيت «تشارلز» بنظرته متابعًا: «أنت مثل «أورييل» فى ثمرة الصنوبر المشقوقة يا «تشارلز» وأنا أستطيع أن أخرجك.. انظر نحوى يا«تشارلز».. عد إلينا».

ومرة أخرى سرت الرعدة «تشارلز والاس».

وصدمه صوت «كالفن» الرخيم: «عد يا «تشارلز».. عد إلينا».

ومرة أخرى ارتعد «تشارلز» وبدا كما لو أن يدا خفية امتدت إلى صدره وطرحته أرضًا، فتحطمت نظرة «كالفن» له، وجلس «تشارلز» هناك على الأرض فى الممر يبكى بصوت ليس كطفل صغير، بل بصوت حيوان مخيف.

استدارت «ميج» نحوه وهى عاقدة ذراعيها بشدة قائلة: ««كالفن»، حاول أن تصل لوالدى».

هز «كالفن» رأسه قائلاً: «لقد خرج «تشارلز» تقريبًا.. لقد شارفت على تحقيق هذا، وكاد أن يعود إلينا».

قالت «ميج» ثانية: «حاول مع أبى».

«كيف ؟».

«هذا الكلام الذى قلته، أليس أبى سجينًا فى شق مثل «تشارلز»؟ انظر إليه فى هذا العمود هناك وأخرجه يا «كالفن»».

تكلم «كالفن» بشكل مرهق: ««ميج»، أنا لا أعرف ماذا أفعل، لا أعرف كيف أنفذ، «ميج» إنهم يطلبون منا الكثير».

قالت «ميج» فجأة: «نظارة السيدة «هُو».. كانت السيدة «هُو» قد أخبرتها أن تستخدمها كحل أخير، وبالتأكيد هذا هو الوقت لهذا، دست يدها فى جيبها فوجدت النظارة.. هناك برودة، وضوء، وراحة!! فأخرجتها بأصابع مرتعشة».

وقال «تشارلز والاس» فى لهجة قاسية آمرة، وهو ينهض من على الأرض ويركض نحوها: «أعطينى هذه النظارة».

ولكن بالكاد كان لديها وقت حتى تخلع نظارتها، وتضع نظارة السيدة «هُو»، وبينما كانت تفعل ذلك، إذا بأحد ذراعى النظارة يسقط على خدها، وبالكاد ظلت على وجهها، وبينما كان «تشارلز والاس» يناديها بصوت عال، دفعت نفسها على الباب الشفاف وعبرته.. كان فى نفس الزنزانة التى بها العمود المحبوس والدها بداخله، وبأصابع ترتعش عدلت نظارة السيدة «هُو» ووضعت نظارتها هى فى جيبها.

أمرها «تشارلز والاس» فى صوت كأنه يهددها: أعطينى هذه النظارة، كان معها فى الزنزانة و«كالڤن» بالخارج يدفع الباب بجنون محاولاً الدخول.

وضربت «ميج» «تشارلز والاس» وركضت نحو العمود، وكانت تشعر أنها تسير عبر شىء مظلم وبارد ولكنها عبرت، ثم صرخت: «أبى!»، ثم أصبحت بين ذراعيه.

كانت هذه هى اللحظة التى تنتظرها، ليس فقط منذ أن أخذتهم السيدة «ويتش» معها، ولكن طوال الشهور والسنوات السابقة منذ أن توقفت الخطابات ومنذ أن راح الناس يتكلمون عن «تشارلز والاس»، منذ أن كانت السيدة «مورى» تحاول إخفاء عزلتها وألمها، كانت هذه هى اللحظة التى تعنى أن كل شىء من الآن وللأبد سيكون على ما يرام.

وعندما التصقت بوالدها نسيت كل شىء عدا الفرحة، كان هناك فقط الشعور بالسلام والراحة النابعة من الاقتراب منه، وروعة إحاطتها بذراعيه، والشعور التام بالأمان الذى كان وجوده يمنحه لها دومًا.

وتحول صوتها إلى بكاء سعيد وهى تقول: «أبى!.. آه.. أبى!».

وصاح هو فى دهشة وسعادة: ««ميج»! «ميج»، ماذا تفعلين هنا؟ وأين والدتك؟ والأولاد؟».

نظرت خارج العمود لترى «تشارلز والاس» فى الزنزانة، وقد اعتلى وجهه تعبير غريب، شوه وجهه ثم استدارت لوالدها، لم يكن هناك وقت للتحية أو الفرح أو أى تفسير، فقالت: «يجب أن نذهب إلى «تشارلز والاس».. بسرعة».

كانت يدا والدها تتحرك على وجهها، وعندما شعرت بلمس أصابعه القوية الرقيقة، اكتشفت مع فيض من الفزع أنها تستطيع أن ترى «كالفن» فى الممر و«تشارلز» فى الزنزانة، ولكن والدها لا يستطيع أن يراهما، ولا يستطيع أن يراها، فنظرت نحوه فى ذعر، ولكن عينيه ظلتا فى نفس ثباتهما ونفس زرقتهما، فحرّكت يدها أمام عينيه، ولكنه لم يرمش.

صرخت قائلة: «أبى! أبى! ألا ترانى؟».

أحاطت بها ذراعاه مرة أخرى مؤكدًا شعوره الطيب تجاهها، ثم قال: «لا.. لا يا «ميج»».

ارتعش صوتها وهى تقول: «ولكن يا أبى.. أنا أراك..».

وفجأة أبعدت نظارة السيدة «هُو» عن أنفها، وحدقت فيهم على الفور، وجدت نفسها فى ظلام دامس، ثم قدمتها لوالدها.

وما إن لمس النظارة بأصابعه حتى قال: «حبيبتى.. أخشى أن نظارتك لن تساعدنى».

فقالت مفسرة: «ولكنها نظارة السيدة «هُو» وليست نظارتى»، لم تلاحظ أن كلماتها ستكون غامضة بالنسبة له فتابعت: «أرجوك جربها يا أبى، أرجوك!» وانتظرت حتى شعرت به يتلمس فى الظلام، فسألته: «هل ترانى الآن؟ هل ترانى يا أبى؟».

أجابها قائلاً: «نعم. إن الحائط شفاف، يا له من أمر غريب! إننى أكاد أرى الذرات يُعاد ترتيبها!».

لم يتغير صوته القديم المألوف عند الإثارة والاكتشاف، كان يشبه أيضا صوته حينما كان يعود للبيت أحيانًا من معمله بعد يوم طيب، ويبدأ فى إخبار زوجته عن عمله، ثم صاح: ««تشارلز»! «تشارلز والاس»!». ثم «ميج» ماذا حدث له؟ ما الأمر؟ إنه «تشارلز».. أليس كذلك؟».

أجابته مفسرة: «لقد أخذه «آى تى» يا أبى، لقد ذهب له، ويجب أن نساعده».

وصمت السيد «مورى» للحظة طويلة، وامتلأ الصمت بالكلمات التى كان يفكر بها، ولم يقلها لابنته، ثم قال: ««ميج»، أنا سجين هنا، لقد كنت...».

«أبى، هذه الجدران أنت تستطيع المرور خلالها، لقد عبرتها للعمود، حتى أصل إليك باستخدام نظارة السيدة «هُو»..».

لم يسألها والدها عن السيدة «هُو»، ولكنه قرب يده من العمود نصف الشفاف، ثم قال: «إنه مصمت بالقدر الكافى».

عادت «ميج» تكرر: «ولكننى عبرت خلاله، وها أنا هنا، ربما تساعد النظارة على إعادة ترتيب الذرات، جربها يا أبى».

وانتظرت، وبعد لحظة أدركت أنها وحدها داخل العمود، ومدت يديها وسط الظلام لتشعر بسطح العمود الناعم يحيط بها من كل الجهات، يبدو أنها كانت وحدها تمامًا، والصمت والظلام لا يمكن اختراقهما للأبد، فحاربت الذعر حتى سمعت صوت أبيها الذى يُسمع بالكاد:

«سأعود إليك يا «ميج»..».

كان تقريبًا شعورًا ملموسًا كما لو أن ذرات هذه المادة الغريبة تتباعد

حتى تدعه يمر إليها، كان هناك ستار فى منزلهم الموجود فى «كيب كانڤرال» يفصل بين حجرة الطعام وحجرة المعيشة، مصنوع من خيوط طويلة من قش الأرز، كان يبدو كستار مصمت، ولكنك تستطيع أن تسير خلاله فى البداية، كانت «ميج» تجفل فى كل مرة تقترب فيها من الستار، ولكن بالتدريج اعتادت عليه، وأصبحت تجرى وهى تعبره تاركة الخيوط الطويلة تتأرجح خلفها، ربما تكون الحوائط هنا مرتبة بنفس الطريقة، بنفس الأسلوب.

وقال السيد «مورى»: «ضعى ذراعيك حول عنقى يا «ميج»، وتشبثى بى جيدًا، أغلقى عينيك ولا تخافى»، وحملها وقد أحاطت خصره بساقيها الطويلتين وتثبتت بعنف، ومع نظارة السيدة «هُو» شعرت بأن حدة الظلام والبرودة تقل، وهى تتحرك عبر العمود وبدونها شعرت بنفس الشعور الذى داهمها عندما انتقلوا عبر الظلام الخارجى لكوكب «كامازوتز» وأيًا كان ذلك الشىء الأسود الذى خضع له كوكب «كامازوتز» فقد كان داخل وخارج الكوكب.. وللحظة بدا أن الظلام سيبعدها عن ذراعى والدها وحاولت أن تصرخ، ولكن مع هذا الرعب المثلج لم يكن أى صوت ممكنًا، وشدد والدها من قبضة ذراعيه حولها، وتعلقت بشدة بعنقه، حتى بدت كأنها ستخنقه، لكنها لم تعد ضائعة وسط الرعب، كانت تعرف أن والدها لو لم يستطع أن يخرجها من الحائط، فإنه سيبقى معها، ولن يتركها، كانت تعرف أنها فى أمان مادامت بين ذراعيه.. وخرجا بالفعل ثم ارتفع العمود فى منتصف الحجرة شفافًا ونقيًا وخاويًا.

ورمشت «ميج» لرؤية ظلال شخصىّ والدها و«تشارلز» غير واضحين، وتساءلت فى نفسها عن سبب عدم وضوحهما، ثم أخرجت نظارتها من

جيبها وارتدتها، فاستطاعت عيناها التى تعانى من قِصر النظر أن تركز بصرها.

كان «تشارلز والاس» يضرب الأرض بإحدى قدميه وهو نافد الصبر قائلاً: «آى تى» ليس سعيدًا.. ليس سعيدًا على الإطلاق».

ترك السيد «مورى» «ميج» وجثا على ركبتيه أمام الطفل الصغير، وقال بصوت رقيق: «تشارلز والاس!».

«ماذا تريد؟».

«أنا والدك يا «تشارلز»، انظر إلىّ».

كانت العينان الباهتتان تركزان على وجه السيد «مورى»، ثم انبعث صوت غير مهذب يقول: «مرحبا أبى...».

صرخت «ميج»: «إنه ليس «تشارلز!» إن «تشارلز» ليس هكذا، لقد استولى عليه «آى تى»..».

قال السيد «مورى» وصوته يبدو متعبًا: «نعم. أرى ذلك»، ثم فرد ذراعيه قائلاً: ««تشارلز» تعالَ إلى هنا».

وفكرت «ميج» أن والدها سيجعل كل شىء على ما يرام.. سيصير كل شىء على ما يرام الآن.

ولم يتحرك «تشارلز» نحو الذراعين الممدودتين ووقف على بُعد بضعة أقدام من والده دون أن ينظر نحوه.

فأمره السيد «مورى» قائلاً: «انظر إلىّ».

«لا!».

ازداد صوت السيد «مورى» حدة وهو يقول: «عندما تتحدث معى تقول: «لا يا أبى» أو «لا يا سيدى»».

انبعث نفس الصوت البارد من «تشارلز والاس»: «لا تهتم بهذا يا

أبى»، جاء صوت «تشارلز والاس» البارد الذى كان غريبًا ومختلفًا، دائمًا قبل حضوره إلى «كامازوتز»، ولكنه لم يكن أبدًا وقحًا وتابع: «أنت لست الرئيس هنا».

ورأت «ميج» «كالڤن» وهو يضرب الحائط الزجاجى بقبضته فصاحت: «كالڤن»!.

قال «تشارلز»: «إنه لا يستطيع سماعك، رسم نظرة بشعة على وجه «كالڤن» ثم وضع إبهامه على أنفه وبسط سائر أصابعه؛ ليسخر منه».

ثم تساءل السيد «مورى»: «من هو «كالڤن»؟».

قالت «ميج»: «إنه ...» ولكن «تشارلز والاس» قاطعها: «ستضطرين لتأجيل هذه التفسيرات، هيا بنا».

«إلى أين؟».

«إلى «آى تى»..».

قال السيد «مورى»: «لا.. لا يمكن أن تأخذ «ميج» إلى هناك».

«حقًا!».

«لا.. لا يمكنك، أنت ولدى يا «تشارلز» وأنا أخشى أنك ستضطر لتنفيذ أوامرى».

صرخت «ميج» فى ألم: «ولكنه ليس «تشارلز»! لماذا لا يريد والدها أن يفهم.. إنه يا أبى لا علاقة لـ «تشارلز» بهذا الأمر، أنت تعلم ذلك تمامًا!».

قال لها السيد «مورى» وهو منزعج: «لقد كان طفلاً عندما تركت المنزل».

«أبى، إن «آى تى» يتحدث عبر «تشارلز»، ولكنه ليس «تشارلز».. إنه... إنه مسحور».

عاد «تشارلز» يقول: «قصص الجنيات مرة أخرى».

تساءلت «ميج»: «هل تعرف «آى تى» يا أبى؟».

«نعم».

«هل رأيت «آى تى»؟».

أجاب وقد بدا صوته مجهدًا مرة ثانية:

«نعم. يا «ميج»، نعم. رأيته» ثم استدار نحو «تشارلز» متابعًا: «أنت تعرف أنها لن تحتمل».

قال «تشارلز»: «بالتأكيد».

«أبى أنت لا تستطيع أن تتكلم معه على أنه «تشارلز».. اسأل «كالڤن» سيخبرك».

قال «تشارلز والاس»: «هيا، يجب أن نذهب»، ومد يديه وسار خارج الزنزانة ولم يعد هناك شىء لدى «ميج» ووالدها إلا أن يتبعاه.

وعندما خرجا للممر، أمسكت «ميج» بأكمام سترة والدها وهى تقول: ««كالڤن»، ها هو أبى!».

استدار «كالڤن» ناحيتها فى ترقب وقد برزت حبات النمش على وجهه الشاحب قبل أن يقول «تشارلز والاس»: «قومى بالتقديم فيما بعد، فـ «آى تى» لا يحب الانتظار»، ثم سار فى الممر ومشيته تزداد غرابة مع كل خطوة يخطوها وتبعه الباقون، وهم يسرعون الخطى حتى يلحقوا به».

وسأل «كالڤن» «ميج»: «هل عرف والدك شيئًا عن السيدات الثلاث؟».

كان اليأس مسيطرًا على «ميج»، وكأن هناك حجرًا فى معدتها وهى تجيب: «لم يكن هناك وقت لأى شىء، لقد كان كل شىء بشعًا»، فقد كانت واثقة أن مجرد عثورها على والدها سيكون حلا لكل المشكلات وسينتهى كل شىء، وستحل كل المشكلات على يديه، ولن تعود مسئولة عن شىء بعد ذلك.

وبدلاً من هذه النتيجة السعيدة التى كانت تتوقعها، بدا أنهم يواجهون المزيد من المشكلات.

وهمست «ميج» إلى «كالڤن»: «إنه لا يفهم ما حدث لـ «تشارلز» كانت تنظر بأسى نحو ظهر والدها، الذى يسير خلف الصبى الصغير».

عاد «كالڤن» يتساءل: «إلى أين نحن ذاهبون؟».

«إلى «آى تى» يا «كالڤن»، أنا لا أريد الذهاب! لا أستطيع» وتوقفت، ولكن «تشارلز» استمر فى سيره الغريب.

قال «كالڤن»: «لا يمكن أن نترك «تشارلز»، فلن يحببن ذلك».

«من هن اللائى لن يحببن ذلك؟».

«السيدة «واتست» وشريكاتها».

«لكنهن خدعننا، لقد أحضرننا إلى هذا المكان البشع، وتركننا!».

نظر «كالڤن» إليها فى دهشة، ثم قال: «اجلسى أو ارحلى لو أردتِ، أما أنا فلن أترك «تشارلز»، وركض؛ حتى يلحق بـ «تشارلز والاس» والسيد «مورى».

«أنا لم أقصد ...» وهرولت خلفهم.

وما إن لحقت بهم حتى توقف «تشارلز» ورفع يده ليعود هذا المصعد مرة أخرى، بضوئه الخافت الأصفر الشاحب، وشعرت «ميج» بنفس الشعور عندما بدأت حركة الهبوط السريعة وظلوا فى صمت حتى توقفت الحركة ثم تبعوا «تشارلز» خلال الممرات الطويلة، ثم إلى الشارع، وخلفهم كان مبنى الذكاء المركزى.

وراحت «ميج» تتمنى أن يقوم والدها بأى شىء يساعدهم.. افعل شيئًا.. ساعدنا.. أنقذنا.

انحرفوا عن منعطف، وعند نهاية الشارع كان هناك مبنى غريب يشبه

القبة، تلمع جدرانه بلهب بنفسجى وسقفه الفضى ينبض بضوء ينذر بالسوء.

ولم يكن الضوء دافئًا ولا باردًا، ولكنه بدا كما لو كان يمتد حتى يلمسهم، وظنت «ميج» أن هذا لابد وأن يكون المكان الذى ينتظرهم فيه «آى تى».

ساروا تجاه نهاية الشارع، أصبحت خطواتهم أكثر بطئًا، وكلما اقتربوا من المبنى الذى على شكل قبة، بدا كما لو أن الأشعة البنفسجية، تتمدد لتحتويهم ولتمتصهم بداخلها، ثم أصبحوا داخلها.

وشعرت «ميج» بنبض منتظم الإيقاع ليس فقط حولها، وإنما داخلها أيضًا، كما لو كان نبض قلبها ورئتاها لم تعد هى التى بداخلها بل كأنها تعمل بواسطة بعض القوى الخارجية، وكان أقرب شعور لهذا هو ما شعرت به عندما كانت تتدرب على التنفس الصناعى مع بنات الكشافة، وكانت القائدة امرأة قوية تدرب «ميج» على أن الزفير يُخرج الهواء الفاسد، والشهيق يُدخل الهواء النقى وتضغط على صدرها بيديها القويتين وترفعهما، تضغط وترفع، تضغط وترفع.

شهقت «ميج» فى محاولة؛ لكى تتنفس بمعدلها الطبيعى، ولكن الضربات الداخلية والخارجية غير المحتملة استمرت، وللحظة شعرت أنها لا تستطيع أن تتحرك، ولا أن تنظر حولها لترى ما يحدث للآخرين، كان عليها ببساطة أن تقف هناك فى محاولة لحفظ توازن نفسها مع هذا الإيقاع الصناعى لقلبها ورئتيها، أما عيناها.. فبدا وكأنهما تسبحان فى بحر من الحُمرة.

ثم بدأت الأشياء تتضح، واستطاعت أن تتنفس بدون أن تشهق كالسمكة التى أخرجت من الماء، راحت تنظر حول المبنى المستدير

الضخم ذى القبة، كان خاليًا تمامًا إلا من النبض، الذى بدا ملموسًا ومنصة مستديرة فى الوسط تمامًا، وعلى هذه المنصة كان يرقد... ماذا؟ لم تستطع «ميج» أن تعرف، وبمجرد أن عرفت أن الإيقاع يأتى من هذا المكان تقدمت نحوه مترددة لتشعر أنها اجتازت الخوف الآن، «تشارلز والاس» لم يعد «تشارلز والاس» ووالدها عندما وجدته لم يقم بكل شىء على ما يرام، بل على العكس ساءت الأمور عن ذى قبل، ووالدها المحبوب نمت لحيته وأصبح نحيفًا وشاحبًا، وفى الواقع وبدون سلطة أو نفوذ ومهما حدث بعد ذلك، فلا شىء يمكن أن يكون أكثر إثارة للخوف والفزع أكثر من ذلك.

ألم يستطيعوا؟!

وبينما هى تتقدم ببطء، أدركت أخيرًا حقيقة الشىء الموجود على المنصة؛ أدركت أن «آى تى» ما هو إلا عقل.

عقل بلا جسد.. عقل كبير الحجم، أكبر بدرجة كبيرة عن المخ العادى ليكون مقززًا ومخيفًا، مخ حى.. مخ ينبض ويرتعد، يأمر وينهى. لا عجب أن المخ الذى أُطلق عليه «آى تى» كان أبشع، ومن أكثر الأشياء تنفيرًا، كان مثيرًا للاشمئزاز أكثر من أى شىء قد تخيلته فى عقلها الواعى أو حتى أفزعها فى أشد الكوابيس بشاعة.

لكن ما إن شعرت بتجاوزها للخوف حتى كانت الآن تتجاوز الصراخ.

ونظرت نحو «تشارلز والاس» وهو واقف هناك، ثم استدارت ناحية «آى تى»: فكه يتدلى فى حرية، فى حين راحت عيناه الزرقاوان الجامدتان تدوران ببطء.

أوه، نعم. من الممكن أن تكون الأمور دائمًا أسوأ. هاتان العينان اللتان تدوران فى وجه «تشارلز والاس» الناعم المستدير؛ جعلت «ميج» تشعر ببرودة الثلج من داخلها وخارجها.

حولت نظرها بعيدًا عن «تشارلز»، لتنظر نحو والدها الذى وقف مرتديًا نظارة السيدة «هُو» التى انزلقت عن أنفه.. هل يذكر أنها لاتزال على وجهه...؟ وأنه صاح فى «كالڤن»: «لا تستسلم!».

وصاح «كالڤن» ردًا عليه: «لن أفعل! ساعد «ميج»، وخيم الصمت على القبة قبل أن تلاحظ «ميج» أن الطريقة الوحيدة للحديث هى الصياح بكل قوتها، حيث إن كل اتجاه تنظر إليه، وحيثما استدارت، كان هناك إيقاع منتظم، وكما استمر فى التحكم فى ارتفاع وانخفاض ضغط قلبها، ودخول وخروج أنفاسها، بدأ البخار الأحمر العفن يزحف أمام عينيها ثانية، خشيت أن تفقد وعيها، ولو حدث ذلك فستصبح تحت سيطرة «آى تى» بالكامل.

كانت السيدة «واتست» قد قالت: ««ميج»، إنى أعرفك بأخطائك».

ما أفدح أخطائها؟ هل الغضب؟ أم عدم الصبر؟ أم العناد؟ نعم. ستنقذ نفسها من أخطائها الآن.

وبجهد كبير حاولت أن تتنفس ضد إيقاع «آى تى»، ولكن قوة «آى تى» كبيرة ، وكل مرة تمكنت من أن تتنفس بعيدًا عن إيقاعه؛ شعرت وكأن يدًا حديدية تعتصر قلبها ورئتيها.

ثم تذكرت عندما كانوا يقفون أمام الرجل ذى العينين الحمراوين الذى راح يتلو عليهم جدول الضرب، وكان «تشارلز والاس» يحارب قوته عن طريق الصياح، ورفض ما كان يقول، وما قاله «كالڤن» من أحد كتب الأطفال، وراحت تصيح وهى تدلله، ولكن دون فائدة..كان من السهل جدًّا أن تسقط أناشيد الأطفال تحت سيطرة إيقاع «آى تى».

ولم تكن تحفظ أى جزء من أى كتاب.. ترى، كيف يبدأ إعلان الاستقلال؟ لقد حفظته هذا الشتاء فقط لا لأنه كان مطلوبا منها

بالمدرسة، وإنما لأنها أحبته، وصاحت: «سنحمل هذه الحقائق كدليل ذاتى، إن جميع البشر خُلِقوا متساوين؛ لأنهم مكفولون بمعرفة خالقهم، بحقوق ثابتة مؤكدة، ووسط ذلك، هناك الحياة والحرية، وتمتعهم بالسعادة.

وأثناء صراخها بهذه الكلمات شعرت بعقل يتحرك داخلها، وشعرت أن «آى تى» يعتصر مخها ويحيط به، ثم أدركت أن «تشارلز والاس» كان يتحدث أو أن «آى تى» يتحدث من خلاله.

«ولكن هذا تمامًا ما نقوم به على «كامازوتز»: المساواة التامة، الجميع متشابهون».

وللحظة ارتبك عقلها، ثم اتضحت الحقيقة فصرخت فى نشوة المنتصر: «لا.. التشابه والمساواة ليسا نفس الشىء على الإطلاق!».

صاح والدها: «أنت فتاة رائعة يا «ميج»!».

ولكن «تشارلز والاس» تابع كما لو أنه لم تكن هناك مقاطعة: «الجميع فى «كامازوتز» متساوون، كل واحد تمامًا مثل الآخر» ولكنه لم يتح لها فرصة النقاش، ولم يطلب إجابة، فتمسكت داخلها بلحظة الإلهام هذه.

التشابه والمساواة شيئان مختلفان تمامًا.

فى الوقت الحالى استطاعت أن تهرب من قوة «آى تى»، ولكن كيف؟

لقد كانت تعرف أن عقلها الصغير لا يقوى على مواجهة هذا العقل العملاق النابض الموجود على المنصة المستديرة هناك؛ فارتجفت وهى تنظر نحوها، ففى معمل المدرسة كان هناك مخ إنسان محفوظ فى مادة الفورمالديهايد، وكان على من يستعدون لدخول الجامعة إخراجه ودراسته، وكانت «ميج» تشعر دومًا أنه عندما يأتى دورها فإنها لن تستطيع أن تفعل ذلك، ولكن الآن ظنت أنها لو كانت تملك سكينًا حادًّا لشقّت مخ «آى تى» ومخيخه ومزقته بلا رحمة.

ألا تدركين أنك لو حطمتنِى، فسوف تقتلين شقيقك الصغير؟
هذه المرة كانت الكلمات تتردد داخلها مباشرة وليس من خلال «تشارلز».

لو أن هذا العقل العملاق سُحق ومزق، فهل ستموت كل العقول الواقعة تحت تأثير «آى تى» فى «كامازوتز»؟ بالتالى «تشارلز والاس» والرجل ذو العينين الحمراوين، والرجل الذى يقوم بتشغيل آلة التهجى فى مستوى المرحلة الثانية، وكل الأطفال الذين يلعبون الكرة، ويثبون الحبل، وكل الآباء والأمهات والنساء اللائى كن يدخلن ويخرجن من المنازل؟ هل تعتمد حياتهم على «آى تى» تمامًا؟ هل تخطوا أى احتمال للخلاص؟

شعرت بأن العقل يمتد إليها ثانية، عندما تخلت عن عنادها، اكتست عيناها بطبقة من الضباب الأحمر.

رغم أنها سمعت صوت والدها ضعيفًا واهنًا، إلا أنها علمت أنه كان يناديها بأعلى صوته: اذكرى الجدول الدورى للعناصر، اذكريه يا «ميج».

ولمعت صورة فى عقلها لها هى ووالدها أمام المدفأة فى أمسيات الشتاء وهى تستذكر دروسها مع والدها، وبدأت فى طاعة: «هيدروچين، هيليوم»، وراحت تذكر العناصر، وهى تحافظ على ترتيبها طبقًا للوزن الذرى. ثم ما العنصر التالى، إنها تعرفه، نعم: «ليثيوم، بريليوم، بورون، كربون، نيتروجين، أوكسيجين، فلورين» راحت تصيح بالأسماء نحو والدها، وقد استدارت مبتعدة عن «آى تى»: «نيون، صوديوم، ماغنسيوم، ألومنيوم، سيليكون، فوسفور».

صاح والدها: «إنها إيقاعية للغاية، ما هو الجذر التربيعى للرقم 5؟».

وللحظة شعرت «ميج» بقدرتها على التركيز، فقالت لنفسها: «استجمعى قواكِ يا «ميج»، لا تدعى «آى تى» يقهرك، «الجذر التربيعى لرقم 5 هو 2.236 صرخت فى سعادة غامرة؛ لأن حاصل ضرب 2.236 فى نفسه يساوى 5».

«وما هو الجذر التربيعى للرقم 7؟».

بدأت تجيب ولكنها لم تكمل، لقد بدأ «آى تى» يهاجمها فلم تستطع التركيز، ولا حتى فى الرياضيات، وعما قريب سيمتصها؛ لتتحول إلى «آى تى» بدورها.

وسمعت صوت «كالڤن» وسط الظلام الأحمر وهو يصيح: «اختصر المسافة يا سيدى.. اختصر المسافة!».

وشعرت بوالدها يسحبها من رسغها، وبعدها شعرت بألم بالغ يسحق كل عظمة فى جسمها، ثم عمَّ ظلام الانتقال.

لو كانت تجربة الانتقال مع كل من السيدة «واتست» والسيدة «هُو» والسيدة «ويتش» تجربة غريبة ومخيفة، فهذا لم يكن يشبه الانتقال مع والدها على الإطلاق، على أى حال لقد كانت السيدة «ويتش» متمرسة فى هذا، أما السيد «مورى».. فما الذى يعرفه عن الأمر؟ وشعرت «ميج» بأنها تتمزق وسط دوامة قوية، ثم ضاعت وسط الألم الذى تحلل تمامًا فى الظلام، وسقطت فى إغماءة كاملة.

10 الصفر المطلق

كان أول ما يشير لاستعادة وعيها البرد، ثم الصوت، حيث كانت مدركة للأصوات، وشعورها بالبرد جعل تلك الأصوات تبدو كما لو كانت تسافر خلالها عبر صحارى القطب المتجمد الشمالى، وببطء بدأت الأصوات الثلجية تتضح، حتى أدركت أن الأصوات هى أصوات والدها و«كالڤن»، ولم تسمع صوت «تشارلز والاس» فحاولت فتح عينيها، ولكن الجفون لم تتحرك، وحاولت أن تنهض، ولكنها لم تستطع الحركة، ثم حاولت أن تستدير أو تحرك يديها أو قدميها ولكن لم يحدث شىء من ذلك.. كانت تعرف أن لها جسدًا، ولكنه كان بلا حياة كالرخام.

وسمعت صوت «كالڤن» المتجمد وهو يقول: «قلبها يخفق ببطء شديد..».

ثم صوت والدها: «ولكنه يخفق، إنها على قيد الحياة».

«بالكاد».

«لم يكن هناك خفق على الإطلاق فى البداية، وظننا أنها قد ماتت».

«نعم».

«ثم شعرنا بقلبها يبدأ فى الخفقان فى بطء شديد قبل أن يزداد قوة، لذلك فكل ما علينا هو الانتظار» كانت كلمات والدها تبدو متقصفة، كما لو كانت قطعت من ثلج.

قال «كالڤن»: «نعم. معك حق يا سيدى».

أرادت أن تصيح بهما قائلة: «أنا حية! حية تمامًا! كل ما فى الأمر أننى تحولت إلى حجر».

ولكنها لم تستطع أن تصيح، كما لم تستطع أن تتحرك.

عاد صوت «كالڤن» يقول ثانية: «على كل حال فقد أنقذتها من «آى تى»، أنقذتنا نحن الاثنين، لم نكن نستطع أن نستمر فى الهروب، «آى تى» قوى للغاية وأقوى من ... كيف بقينا فى الخارج يا سيدى؟ كيف تدبرنا الأمر مادمنا قد فعلنا ذلك؟

قال والدها: «لأن «آى تى» لم يعتد مطلقًا على أن يُرفض، هذا هو السبب الوحيد الذى أنقذنى من الامتصاص، أنا بدورى، فلم يحاول أى عقل أن يقاوم «آى تى» منذ آلاف القرون، حتى أن بعض مراكزه قد تلفت بسبب نقص الاستخدام، ولولا أنكم وصلتم إلىَّ، ما علمتُ إلى متى كنت سأظل على قيد الحياة، لقد كدت أن أستسلم».

قال «كالڤن»: «لا.. لا يا سيدى..»

والدها: «نعم. لم يبد أى شىء ذى أهمية سوى الراحة، وبالطبع فقد قدم لى «آى تى» الراحة التامة، وكدت أن أصل إلى استنتاج أن المقاومة خطأ، وأن «آى تى» فى الواقع كان على حق، وأن كل شىء آمنت به كان

مجرد حلم رجل مجنون، ولكن بعد ذلك أتيت أنت و«ميج» بجوارحى واقتحمتم سجنى، عاد لى الأمل والإيمان مرة أخرى».

«كالڤن»: «سيدى، لماذا ذهبت إلى «كامازوتز»؟ هل هناك سبب معين فى ذهابك إلى هناك؟».

قال والدها بضحكة باردة: «لقد كان ذهابى إلى «كامازوتز»، مجرد حادث، فلم أكن أنوى مطلقًا أن أغادر نظامنا الشمسى، لقد كانت رحلتى إلى المريخ، فالانتقال المضغوط أكثر تعقيدًا مما كنا نتوقع».

قال «كالڤن»: «سيدى، كيف استطاع «آى تى» أن يسيطر على «تشارلز» قبلى أنا و«ميج»؟».

أجاب والدها: «بما أخبرتمانى به يبدو لى أن السبب هو أن «تشارلز والاس» ظن أنه يستطيع عن عمد الوصول إلى «آى تى» والعودة مرة أخرى، لقد كانت ثقته فى قوته كبيرة للغاية ـ اسمع!، أظن أن خفقان قلبها يزداد قوة.

لم تبد لها الكلمات متجمدة كما كانت.. تُرى، أكانت أذناها مثلجة، أم الكلمات التى كان والدها يقولها؟ ولكن لماذا تسمع والدها و«كالڤن» فقط؟ لماذا لم يتكلم «تشارلز والاس»؟».

صمت.. صمت طويل، ثم عاد صوت «كالڤن»: «ألا نستطيع أن نفعل أى شىء؟ ألا يمكن أى نبحث عن النجدة؟ هل سنبقى هكذا منتظرين؟».

قال والدها:«لا يمكن أن نتركها ويجب أن نبقى معًا، ولا يجب أن نخشى مرور الوقت».

«كالڤن»: «هل تعنى أننا كنا...؟ أننا أُقحمنا فى الأحداث على «كامازوتز» وكذلك أسرع «تشارلز»، ولهذا قبض عليه؟»

«ربما ولكننى غير متأكد، لا أدرى بالقدر الكافى حتى الآن.. على أية حال، فالوقت مختلف فى «كامازوتز»، وقتنا غير ملائم هنا رغم كونه على الأقل مستقيمًا، إنه حتى ربما لا يكون أحادى البعد بشكل تام؛ لأنه لا يستطيع التقدم أو التراجع على الخط الخاص به، وإنما للأمام فقط، وهو اتجاه سيره، فعلى الأقل هو ملتزم به، أما الوقت على «كامازوتز» فيبدو أنه مقلوب ومنقلب على نفسه، لذلك فليس لدى أية فكرة عمًّا إذا كنت قد سجنت فى هذا العمود لقرون أو لمجرد دقائق.. «ساد الصمت لدقيقة قبل أن يعود صوت والدها: أظننى أشعر بالنبض فى معصمها الآن».

ولم تشعر «ميج» بأصابعه على معصمها، بل لم تشعر بمعصمها على الإطلاق، كان جسدها لا يزال متحجرًا، ولكنَّ عقلها استعاد بعض قدرته، فحاولت باستماتة أن تصدر أى صوت أو إشارة لهما، ولكن لم يحدث شىء.

عادت أصواتهم مرة أخرى، فقال «كالڤن»:«ومشروعك يا سيدى، هل كنت تعمل عليه بمفردك؟».

والدها:«لا، لقد كنا فريق عمل من ستة علماء نعمل فيه، ويمكننى القول بأنه كان هناك عدد آخر لا نعرفه يعملون معنا، وبالتأكيد فلم نكن نحن الأمة الوحيدة التى تبحث فى هذا الأمر، إنها لم تكن فكرة جديدة، ولكننا حاولنا بشدة ألا تُعرف فى الخارج قبل أن نحاول جعلها ممكنة التطبيق من الناحية العملية».

«وهل جئت إلى «كامازوتز» بمفردك؟ أم كان هناك آخرون معك؟»

«لقد جئت بمفردى، فكما ترى يا «كالڤن» لا سبيل لهذه المحاولة باستخدام الفئران، أو القرود أو الكلاب، ولم تكن لدينا أية فكرة إذا كانت ستنجح، أم ستكون النتيجة تحطمًا جسمانيًا تامًا.. إن اللعب مع الزمن والفضاء أمر خطير».

«ولكن، لماذا أنت يا سيدى؟».

«لم أكن الأول.. فلقد أجرينا قرعة، وكنت الثانى».

«وماذا حدث للشخص الأول؟».

«إننا... لا.. انظر! هل تحرك جفناها؟» صمت، ثم قال: «لا.. لقد كان مجرد ظل».

حاولت «ميج» أن تخبرهما أنها رمشت، أنا واثقة أننى فعلت ذلك وأستطيع أن أسمعكما! افعلا شيئًا!

ولكن، كل ما كان هناك هو صمت طويل مرة أخرى، وأثناءه ربما كانا ينظران نحوها.. ويراقبان ظلا آخر أو رجفة أخرى، ثم سمعت صوت والدها مرة أخرى هادئًا وأكثر دفئًا واقترب إلى صوته الحقيقى وهو يقول: «أجرينا قرعة، وكنت الثانى، فقد كنا نعرف أن «هانك» ذهب.. رأيناه يذهب، رأيناه وهو يتلاشى أمامنا، كان هناك، ثم لم يعد هناك، وكان علينا أن ننتظره سنة كاملة ليعود أو يرسل أية رسالة ولكن لا شىء».

تحشرج صوت «كالڤن»: «يا إلهى.. لابد أنها كانت صدمة لك يا سيدى».

قال والدها: «نعم. لقد كان أمرًا مخيفًا، وكذلك مثير أن نكتشف أن

المادة والطاقة هما نفس الشيء، وأن الحجم وهم.. والوقت مادة جوهرية، لقد استطعنا أن نعرف ذلك، ولكنه أكثر بكثير من استيعاب عقولنا القاصرة، أظنكم ستكونون قادرين على فهم ما هو أكثر من ذلك عنى، وستكون قدرة «تشارلز والاس» على الفهم أكبر منكما.

«نعم. ولكن ماذا ـ إذا سمحت يا سيدى ـ حدث بعد الرجل الأول؟».

سمعت «ميج» زفرة والدها قبل أن يتابع: «كان دورى وذهبت، وها أنا ذا إنسان متواضع وأكثر حكمة، أنا واثق أننى لم أغب أكثر من عامين، والآن ومنذ مجيئكم، تجدد لدى بعض الأمل أن أستطيع العودة مع الوقت، فهناك شىء يجب أن أخبر به الآخرين وهو أننا لا نعرف شيئًا».

قال «كالڤن»: «ماذا تعنى يا سيدى؟».

رد والدها: «ما قلته تمامًا، لقد كنا أطفالا نلعب بالمفرقعات، وفى سرعتنا المجنونة تعثرنا فى ذلك قبل أن...».

وبقوة يائسة أصدرت «ميج» صوتًا، لم يكن صوتًا مرتفعًا جدًّا، ولكنه كان صوتًا.. فتوقف السيد «مورى» قائلاً: «هش.. اسمع».

لقد صدر عن «ميج» صوت متحشرج غريب، ثم اكتشفت أيضًا أنها استطاعت فتح عينيها، ورغم ثقل جفنيها إلا أنها حاولت دفعهما لتجد والدها و «كالڤن» فوقها، ولم تر «تشارلز والاس».. تُرى، أين هو؟

كانت راقدة فى حقل كبير من شىء يشبه الأعشاب الصدئة؛ أجفلت ببطء وصعوبة.

ثم قال والدها: «ميج»، هل أنت بخير؟»

شعرت بلسانها وكأنه لسان حجرى داخل فمها، ولكنها تكلمت بصوت متحشرج: «لا أستطيع أن أتحرك».

بدأ صوت «كالڤن» كما لو كان غاضبًا منها، حين قال: «حاولى.. حركى أصابع قدميك.. وحركى أصابع يديك»، أجابته بلسانها المتحجر: «لا أستطيع، أين «تشارلز والاس»؟» ويبدو أنهما لم يفهما، فلم يجبها أحد.

عاد «كالڤن» يقول: «نحن أيضًا غبنا عن الوعى لبعض الوقت، ستكونين بخير، ولكن لا تجزعى، كان هو منحنيًا فوقها» ورغم صوته الذى استمر، كان ينظر نحوها بقلق.. كانت تعرف أنها، ولابد أن تكون مرتدية نظارتها؛ لأنها استطاعت أن تراه بوضوح، وترى النمش الذى يغطى وجهه، ورموشه السوداء وبريق عينيه الزرقاوين.

كان والدها جاثيًا على ركبتيه بجانبها من الناحية الأخرى، وكانت عدسات نظارة السيدة «هُو» لا تزال تجعل الرؤية غير واضحة، أمسك بإحدى يديها بين كفيه وربت عليها قائلاً: «هل تشعرين بأصابعى؟» كان صوته يبدو هادئًا كما لو أنه لم يكن هناك شىء غير عادى فى كونها مشلولة تمامًا، ولكن مع هدوء صوته شعرت هى أيضًا بالهدوء. ثم رأت قطرات العرق التى تكاثفت على جبهته، كما لاحظت برودة النسيم الذى يمس وجنتيها، وفى البداية كانت كلماته متجمدة، أما الآن فقد نشطت الرياح.. تُرى، هل الجو هنا بارد أم دافئ؟ عاد والدها يسألها: «هل تشعرين بأصابعى؟».

نعم. لقد كانت تشعر الآن بضغط أصابعه على معصمها، ولكنها لم تستطع أن تومئ برأسها إلا أنها عادت تسأل: «أين «تشارلز والاس»؟».

كانت كلماتها أكثر وضوحًا هذه المرة، وقد بدأت تشعر بشىء من البرودة فى لسانها وشفتيها، كما لو كانت قد حُقنت عند طبيب الأسنان بكمية كبيرة من المخدر، وأدركت أن أطرافها قد بدأت تشعر بالبرودة، ليس عدم الدفء، وإنما ببرودة قادمة شعرت بها تجمد جسدها من الرأس إلى القدمين، وهذا هو الذى جعلها تشعر ببرودة كلمات والدها، وهو ما شلّ حركتها.

قالت بصوت واهن: «إننى متجمدة». لم يكن «كامازوتز» بهذه البرودة.. برودة قارسة أكثر من أقسى أيام الشتاء فى المنزل، لقد كانت بعيدة عن «أى تى» ولكن هذه البرودة الغريبة كانت بالغة السوء، ولم ينقذها والدها.

أصبحت الآن قادرة على الالتفات، وكل شىء حولها كان صدئًا أو رماديًّا، كانت هناك أشجار تبرز فى الحقل الذى ترقد فيه.. وأوراقها بنية كالحشائش، وكانت هناك نباتات ربما تكون زهورًا، فيما عدا كونها يابسة ورمادية فى تناقض بين اللون الرمادى والبرودة التى أفقدتها الإحساس، إلا أن الهواء كان قد حمل عبيرًا رقيقًا مثل عبير الربيع كلما هب ناعمًا على وجهها، ونظرت لوالدها و«كالفن» كانا لا يرتديان شيئًا فوق القمصان وبدا عليهما أنهما مرتاحان تمامًا فى كامل الراحة، أما هى فالتفت فى ملابسها وكانت ترتعد من البرودة الشديدة لدرجة أنها كانت ترتعش.

تساءلت: «لماذا أشعر بهذه البرودة؟ وأين «تشارلز والاس»؟ ولكنهما لم يجيباها، فعادت تسأل: أبى، أين نحن؟».

نظر نحوها السيد «مورى» قائلاً: «لا أعرف يا «ميج»، يبدو أننى لم أنتقل بشكل سليم، لابد أننى أخطأت، وبطريقة ما لم نعد على «كامازوتز»

ولا أعرف أين نحن، وأظن أن شعورك بالبرودة سببه عبورنا الشىء الأسود، الذى ظننت أنه سيأخذك منى».

بدأ لسانها يدفأ، وكلماتها تزداد وضوحًا، فتساءلت:«هل هو كوكب مظلم؟».

أجابها السيد «مورى» رغم عدم وضوح كلماتها قائلاً: «لا أظن ذلك، ولكننى أعرف القليل جدًا مما يجعلنى غير واثق».

«لم يكن يجب عليك أن تحاول هذا إذًا» ولم يسبق لها مطلقًا أن تحدثت مع والدها بهذه الطريقة حتى أن الكلمات لم تبدُ كلماتها.

نظر «كالڤن» نحوها وهز رأسه، ثم قال:«كان هذا هو الشىء الوحيد الذى يمكن عمله، على الأقل غادرنا من «كامازوتز»..».

«ولماذا رحلنا بدون «تشارلز والاس»؟ هل تركناه هناك؟» لم تكن كلماتها حقًا، فقد كانت باردة وبها نبرة اتهام.

أجاب والدها:«إننا لم نتركه، تذكرى أن العقل البشرى عضو دقيق، ويمكن تلفه بسهولة».

وبدا على «كالڤن» التوتر والقلق، وهو ينحنى فوقها قائلاً:«ميج» لو حاول والدك أخذ «تشارلز» معنا أثناء انتقالنا، ولو كان «آى تى» تمسك به خلال ذلك لفقدناه للأبد، وكان علينا أن نقوم بالشىء الصحيح حينها».

«لماذا؟».

«لقد سيطر علينا «آى تى» وأنت وأنا كنا ننجرف له، ولو استمر والدك فى محاولة مساعدتنا لما استطاع الاحتمال لفترة طويلة أيضًا».

اتهمته «ميج» قائلة:«أنت الذى حرضته على ذلك».

تدخل السيد «مورى» فى صرامة : «لا يوجد أى سبب لتوجيه اللوم، هل يمكنك الحركة الآن؟».

كانت كل أخطاء «ميج» فى أوجها الآن، ولم يكن ذلك فى صالحها، كلا «ومن الأفضل أن تعيدنى إلى «كامازوتز» و«تشارلز والاس» سريعًا، المفروض أن تكون قادرًا على المساعدة» كان الإحباط بداخلها شديد الغموض والإزعاج، مثل الشىء الأسود، فخرجت الكلمات القبيحة من بين شفتيها الباردتين، كما لو أنها هى نفسها لم تستطع أن تصدق أنها كانت موجهة لأبيها المحبوب الذى اشتاقت له طويلاً، بهذه الطريقة، ولو أن دموعها لم تتجمد بعد لأجهشت بالبكاء.

لقد وجدت والدها، ولكنه لم يجعل الأمور على ما يرام، فكل شىء ظل ينتقل من سيئ إلى أسوأ، ولو أن البحث الطويل عن والدها قد انتهى، وأنه لم يكن قادرًا على تخطى كل الصعاب، فلا شىء يضمن أن الأمر سينتهى نهاية صحيحة، لم يعد هناك أى باعث على الأمل، لقد كانت متجمدة و«آى تى» التهم «تشارلز والاس»، ووالدها صاحب القدرة والسلطة لا يفعل أى شىء، وتأرجحت ما بين الحب والكراهية، ودفعها الشىء الأسود نحو الكراهية، فقالت:«إنك حتى لا تعرف أين نحن»، ثم صرخت فى أبيها متابعة:« لن نتمكن من رؤية أمى ولا التوأم مرة أخرى! إننا لا نعرف أين هى الأرض، ولا أين «كامازوتز»! لقد ضعنا فى الفضاء! ماذا ستفعل؟» ولم تدرك أنها كانت تحت قوة الشىء الأسود تمامًا، مثل «تشارلز والاس».

انحنى السيد «مورى» فوقها وراح يدلك أصابعها الباردة، ولم تستطع أن ترى وجهه وهو يقول: «ابنتى، أنا لست السيدة «واتست» ولا السيدة

«هو» ولا السيدة «ويتش»، نعم. لقد أخبرنى «كالڤن» بكل شىء، أنا آدمى ولست معصومًا من الخطأ، ولكننى أتفق مع «كالڤن»، لقد أُرسلنا إلى هنا لغرض ما، ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معًا للخير، للذين يحبون الله، ويسيرون حسب مشيئته».

صرخت «ميج» فى وجهه: «الشىء الأسود.. لماذا جعلته يكاد أن يستولى علىّ؟»

ذكرها «كالڤن» قائلاً:«إنك لم تنتقلى مطلقًا كبقيتنا، فالانتقال لم يزعجنى أنا ولا «تشارلز» مثلما حدث معك».

قالت «ميج»:«لم يكن عليه أن يأخذنى؛ حتى يتعلم كيف يقوم بالأمر بطريقة أفضل».

ولم يتكلم والدها ولا «كالڤن».. أما والدها فتابع تدليكه الرقيق لها حتى عادت أصابعها للحياة، وشعرت بشىء من الوخز، فقالت:«أخشى أن أصابعى أصبحت تؤلمنى!».

قال والدها بهدوء: «أى إنك تشعرين مجددًا، أخشى أن هذا سيشعرك ببعض الألم».

بدأ الألم ينتقل تدريجيًا إلى ذراعيها، وقد بدأ فى أصابع قدميها، ثم ساقيها، فبدأت تصرخ عندما أشار «كالڤن» فى تعجب:«انظر!».

ووسط الحشائش البنية كان هناك ثلاثة ظلال تتحرك نحوهم فى صمت.. تُرى، من هؤلاء؟

على كوكب «أورييل»، كانت هناك تلك المخلوقات الساحرة، وعلى «كامازوتز» كان السكان على الأقل أناس مثلهم.

ولكن، ما هذه الأشياء الثلاثة الغريبة التى تقترب منهم؟

كانوا فى نفس لون الزهور الرمادى.. ولولا أنهم يسيرون منتصبى القامة لبدوا كالحيوانات، كانوا يتحركون مباشرة نحو الآدميين الثلاثة،كان لهم أربع أذرع وأكثر من خمس أصابع فى كل يد، وهذه الأصابع لم تكن أصابع، وإنما مجسات طويلة متحركة، وكان لهم رءوس ووجوه، لكن فى حين كانت وجوه المخلوقات على «أورييل» تبدو بعيدة عن وجوه الآدميين، فقد بدت هذه بعيدة الشبه عن الآدميين إلى حد كبير، وإن حلت محل السمات العادية فجوات مختلفة، وفى مكان الأذنين والشعر كان هناك المزيد من المجسات، كانوا طوال القامة، كما لاحظت «ميج» أثناء اقترابهم، أطول من أى إنسان، ولم تكن لهم عيون، إنما مجرد بروز ناعمة.

وحاول جسد «ميج» المتجمد أن يرتعد من الفزع، ولكن بدلاً من ذلك انتاب جسدها ألم شديد، فأخذت تئن.

وقفت الأشياء فوقهم، وقد بدا أنهم ينظرون إلى أسفل نحوهم، فيما عدا أنهم بلا عيون ليروا بها.. واستمر السيد «مورى» فى تدليك «ميج» وهو يجثو بجوارها.

وراحت «ميج» تفكر: لقد قُتلنا عندما أُحضرنا هنا، ولن أرى «تشارلز والاس» مرة أخرى، ولا أمى، ولا التوأم...

نهض «كالڤن» على قدميه، وانحنى للوحوش، كما لو أنهم يرونه، ثم قال: «مرحبا يا سيدى.. أم يا سيدتى..!».

قال أطول المخلوقات:«من أنتم؟» ولم يكن صوته عدوانيًا، ولا مُرحِّبًا،

ولم يكن الصوت صادرًا من تلك الفجوة التى فى مكان الفم فى الوجه ذى الفراء، وإنما من المجسات المتحركة.

وراحت «ميج» تفكر: سيلتهموننا، إنهم يؤلموننى: أصابع قدمىّ.. أصابع يدىّ.

وأجاب «كالفن» عن سؤال «بيست» قائلاً: «إننا... إننا من كوكب الأرض، ولا أعرف كيف وصلنا إلى هنا، لقد تعرضنا لحادث.. و«ميج»،.. هذه الفتاة.. إنها... إنها مشلولة.. ولا تستطيع أن تتحرك.. وجسدها بارد جدًّا.. ونظن أن هذا هو سبب عدم قدرتها على الحركة».

تقدم أحدهم نحو «ميج» وجلس القرفصاء على عُجزيه بجانبها، وشعرت بالاشمئزاز وهو يمد أحد مجساته ليلمس به وجهها.

ولكن المجس أتى بنفس العبير الرقيق الذى كان يتحرك فوقها مع النسيم، وشعرت بوخزات خفيفة من الدفء تسرى فى أوصالها، وتُسكّن ألمها فى الحال، حتى شعرت فجأة بالنعاس.

فكرت «ميج» وهى بين النوم واليقظة: يبدو أن شكلها غريب جدًّا بالنسبة له؛ لأنه نظر إليها، ثم أدركت فجأة أنه لا يراها على الإطلاق، فجأة، إنه لا يراها مطلقًا إلا أن شعورًا بالأمان سرى فى جسدها مع الدفء الذى راح يتسرب لها مع لمس المخلوق لها قبل أن يحملها مهدئًا إياها باثنتين من أذرعه الأربعة.

وعلى الفور، نهض السيد «مورى» متسائلاً: «ماذا تفعل؟».

«آخذ الطفلة».

11 العمَّة «بيست»

قال السيد «مورى» فى حدة:«لا! ضعها أرجوك».

وبدا على المخلوق بعض المرح قبل أن يقول أطولهم الذى بدا كأنه المتحدث باسمهم: «هل نخيفكم؟».

تساءل السيد «مورى»: «ماذا ستفعلون بنا؟».

أجاب المخلوق: «آسف، إن اتصالنا بالآخر أفضل»، ثم استدار نحو «كالڤن» متابعًا: «من أنت؟».

«أنا كالڤن أوكيف».

«ما هذا؟».

«أنا فتى.. شاب».

«وهل أنت أيضًا خائف؟».

«أنا .. لست متأكدًا».

«أخبرنى.. ما المفروض أن تفعله إذا حضر ثلاثة منا فجأة إلى كوكبكم؟».

اعترف «كالڤن» قائلا:« سأطلق النار عليكم.. على ما أظن».

«إذًا، أليس هذا هو ما يجب أن نفعله معكم؟!».

بدا النمش على وجه «كالڤن» وكأنه يزداد عمقًا، لكنه أجاب بهدوء: «أفضل بالفعل ألا تفعل ذلك، أعنى أن الأرض موطنى، وأفضل وجودى هناك عن أى مكان آخر فى العالم.. أقصد فى الكون، ولا أطيق الصبر حتى أعود إلى هناك، إلا أننا قمنا ببعض الأخطاء الفظيعة هناك».

قال أصغرهم الذى يحمل «ميج»:«وربما لم يعتادوا على زيارات من الكواكب الأخرى».

تعجب «كالڤن» قائلاً: لم نعتد! إننا لم نستقبل أية زيارة من هذا النوع على قدر علمى.

«لماذا؟».

«لا أعرف».

قال المخلوق الأوسط وارتعاشة خوف فى كلماته: «أنتم لستم من كوكب مظلم.. أليس كذلك؟».

هز «كالڤن» رأسه فى حدة رغم أن هذا المخلوق لا يراه، قائلاً: «نحن... نحن مظللون ولكننا نحارب الظل».

عاد الذى يحمل «ميج» يسأل: «أنتم الثلاثة تحاربون؟».

أجاب «كالڤن»:«نعم. إننا نعرف ذلك الآن».

استدار المخلوق الطويل نحو السيد «مورى» قائلاً فى حدة: «أنت أكبرهم؟ من أين أتيت الآن؟».

أجاب السيد «مورى» فى ثبات: من كوكب يدعى «كامازوتز»، وسرت همهمة بين المخلوقات الثلاثة، فتابع السيد «مورى» بهدوء: «ولكننا لا ننتمى إليه، لقد كنا غرباء هناك، كما نحن هنا، وأنا كنت سجينًا هناك، وهؤلاء الأطفال أنقذونى، وولدى الصغير لا يزال هناك أسير العقل المظلم «آى تى»..».

حاولت «ميج» الدوران بين أذرع المخلوق؛ حتى تنظر نحو والدها و«كالڤن»، وهى تتساءل عن السبب الذى يجعلهما بهذه الصراحة؟ ألا يدركان مقدار الخطر؟ ولكن سرعان ما اختفى غضبها عندما غمرها دفء مجسات المخلوق الذى يحملها قبل أن تلاحظ أنها استطاعت تحريك أصابع يديها وقدميها بحرية مع زوال الألم.

عاد الوحش الذى يحملها يقول: «يجب أن نأخذ هذه الطفلة معنا».

صاحت «ميج» على والدها قائلة: «لا تتركنى كما تركت «تشارلز»!».

بسبب هذا الرعب الشديد، تحطم جسدها تحت وطأة نوبة ألم، ثم شهقت.

قال لها الوحش: «توقفى عن المقاومة، فأنت تزيدين الأمر سوءًا، اهدئى».

صرخت «ميج»: «هذا ما قاله «آى تى».. أبى و«كالڤن» ساعدانى!».

استدار المخلوق نحو السيد «مورى» و «كالڤن» قائلاً: « هذه الطفلة فى خطر يجب أن تثقا بنا».

قال السيد «مورى»: «ليس أمامنا بديل آخر، هل يمكنكم إنقاذها؟».

«أظن ذلك».

«هل يمكن أن أبقى معها؟».

«لا .. ولكنك لن تكون بعيدًا، إننا نشعر أنك جائع ومجهد، وتحتاج إلى أن تغتسل وتستريح، وهذه الصغيرة الـ... ما هى الكلمة؟» وأدار المخلوق أحد مجساته نحو «كالڤن».

قال «كالڤن»: إنها فتاة صغيرة.

«هذه الفتاة الصغيرة تحتاج لرعاية خاصة، فهذه البرودة التى أصابتها من...، ماذا تدعونه؟».

«الشىء الأسود!».

«نعم. الشىء الأسود، فالشىء الأسود يؤذى لو لم يتم التصدى له بطريقة صحيحة».

ووقف المخلوقات الثلاثة حول «ميج» وبدا أنهم يحسون بها باستخدام مجساتهم المتحركة، التى كانت تتحرك فى إيقاع منتظم مثل أحد النباتات البحرية وبين أذرع ذلك المخلوق كانت «ميج» تشعر، رغمًا عنها، بالأمان أكثر من أى شىء عرفته منذ أيام، عندما كانت ترقد بين ذراعى والدتها فوق المقعد الهزاز القديم، وهى تغنى لها حتى يتسنى لها النوم، وبمساعدة والدها استطاعت مقاومة «أى تى» والآن لم تستطع أن تقاوم، فألقت برأسها على صدر المخلوق، لترى أن جسده الرمادى مغطى بأنعم وأرق فراء يحمل نفس الرائحة الجميلة التى تحملها نسمات الهواء العليل.

أخذت تفكر وتقول: «أتمنى ألا تكون رائحتى سيئة بالنسبة له»، ولكن حينئذ علمت بإحساسها العميق بالراحة أنها حتى لو كانت رائحتها سيئة، فإن هذه المخلوقات سوف تسامحها، وما إن أخذها المخلوق الطويل

بين ذراعيه؛ ليهدهدها كطفل صغير حتى شعرت بالاسترخاء، لم تكن هذه الراحة لتأتيها من شيء مثل «آى تى»، فكل ما يقدمه «آى تى» هو الألم، ولابد أن هؤلاء المخلوقات طيبون يجب أن يكونوا كذلك، زفرت بعمق مثل أية طفلة صغيرة ثم استغرقت فى النوم.

عندما أفاقت من نومها كان فى ذاكرتها شىء عن الألم المبرح، ولكن الألم نفسه كان قد زال وجسمها يرقد فى راحة، كانت ترقد على شىء فائق النعومة فى غرفة مغلقة، وقد كانت الغرفة مظلمة، وكل ما استطاعت رؤيته هو ظلال طويلة متحركة، كانت ظلال تلك المخلوقات وهى تتحرك بالمكان، وكانت قد خلعت ملابسها والتف جسدها بشىء دافئ ورقيق، زفرت ومدت أطرافها مكتشفة قدرتها على عمل ذلك؛ بأنها تستطيع أن تتحرك مرة أخرى، إنها لم تعد مشلولة، كما أن جسدها كان قد غرق فى موجات من الدفء، ووالدها لم ينقذها، الذى أنقذها هم هؤلاء الوحوش.

ترامى إلى سمعها صوت رقيق يقول: « هل استيقظتِ يا صغيرة؟ يا لك من طفلة لطيفة! هل ذهب الألم الآن؟».

«نعم. تمامًا».

«هل عاودك الدفء والحيوية مجددًا؟».

حاولت الجلوس وهى تقول: « نعم. أنا بخير».

«لا، ابقى راقدة أيتها الصغيرة، يجب ألا تبذلى جهدًا بعد، سأحضر لك ثوبًا من الفراء على الفور، ثم بعض الغذاء لنطعمك، لا يجب حتى أن تطعمى نفسك، يجب أن تعودى طفلة صغيرة مرة أخرى، فالشىء الأسود لا يتخلى عن ضحاياه بسهولة».

«أين أبى و«كالڤن»؟.. هل عادا ليحضرا «تشارلز والاس»؟».

أجابها المخلوق: «إنهما يتناولان شيئًا من الطعام وينالان قسطًا من الراحة، ونحن نحاول أن نعرف المزيد عن بعضنا؛ لنرى أفضل طرق مساعدتكم.. إننا نشعر الآن بعدم خطورتكم وإننا سوف يصرح لنا بمساعدتكم».

تساءلت «ميج» وهى تنظر حولها: «لماذا هذا الظلام؟» لم تستطع سوى رؤية ظلال، ولكنها كانت تشعر باتساع المكان الذى كانت فيه، كما لو كان مفتوحًا، كما شعرت بنسيم رقيق يتحرك حولها مما خفف من قسوة الظلام.

وتساءل المخلوق متعجبًا: «ما هذا الظلام؟ وما هذا الضوء؟ إننا لا نفهم.. والدك وهذا الصبى «كالفن» سألا نفس السؤال أيضًا ويقولان إننا فى الليل الآن على كوكبنا، ولذلك لا يستطيعان الرؤية، ولقد أخبرانا أن غلافنا الجوى غير شفاف، ولهذا فالنجوم غير ظاهرة، ثم فوجئا بأننا نعرف ما هى النجوم، وأننا نعرف موسيقاهم وحركاتهم، أفضل منكم يا من تقضون ساعات فى دراستها عبر ما تسمونه بالتلسكوبات.. إننا لا نفهم معنى أن ترى».

قالت «ميج» فى عجز: «حسنًا، إنه الشكل الذى تبدو عليه الأشياء».

«إننا لا نعرف كيف تبدو الأشياء كما تقولين، إننا نعرف ما هى أشباه الأشياء، ولابد أن مسألة الرؤية هذه مسألة محدودة جدًّا».

صرخت «ميج»: «لا.. إنها... إنها أروع شىء فى العالم!».

قال المخلوق: «عالمك بالتأكيد عالم غريب، ذلك الذى تكون فيه الرؤية بهذه الأهمية، حاولى أن تخبرينى ما هذا الشىء المسمى بالضوء؟!، الذى لا تقدرون على عمل الكثير من الأشياء إذا لم يكن موجودًا!».

أجابته «ميج» : «حسنًا، إننا لا نستطيع أن نرى بدونه»، ولكنها لاحظت عدم قدرتها على تفسير الرؤية والضوء والظلام، فكيف يمكن أن تشرح الرؤية فى عالم لم يسبق لأحد فيه رؤية أى شىء ولا حاجة فيه للعينين؟

«حسنًا.. على هذا الكوكب لديكم شمس.. أليس كذلك؟».

«شمس رائعة، يأتى منها الدفء، والأشعة التى تمنحنا زهورنا وطعامنا وموسيقانا، وكل شىء يصنع الحياة والنماء».

قالت «ميج»: «حسنًا، عندما تستدير الأرض نحو الشمس، أعنى كوكبنا، فإننا نحصل على الضوء، وعندما نبتعد عنها يحل الليل، وإذا أردنا رؤية أى شىء نستعمل ضوءًا صناعيًّا».

زفر المخلوق قائلاً: «ضوء صناعى، كم هى حياة معقدة على كوكبكم، سيجب عليك فيما بعد شرح المزيد لى».

وعدته «ميج» قائلة: اتفقنا، وهى تعرف أن محاولة شرحها لأى شىء يُرى بالعينين ستكون مستحيلة؛ لأن هذه المخلوقات بطريقة ما ترى وتعرف وتفهم أكثر منها وأكثر من والديها ومن «كالڤن» أو حتى من «تشارلز والاس».

صرخت قائلة: «تشارلز والاس!»، ماذا سيفعلون بشأنه؟ إننا لا نعرف ما يفعل «أى تى» معه الآن أو ما يجعله يقوم به ، أرجوك... أرجوك ساعدنا!».

«نعم. نعم. يا صغيرة بالطبع سنساعدكم، سيعقد اجتماع على الفور لدراسة أفضل ما يمكن عمله، فلم يسبق لنا مطلقًا أن تحدثنا مع أحد استطاع الهرب من كوكب مظلم؛ لذلك ورغم أن والدك يحمل نفسه مسئولية كل شىء حدث، فإننا نشعر بأنه لابد أن يكون شخصًا غير عادى

حتى يستطيع الهرب من «كامازوتز» معكما، ولكن الصبى الصغير، وأنا أفهم أنه صبى خاص جدًّا ومهم جدًّا.. آه يجب يا صغيرتى أن تتقبلى أن ذلك لـن يـكـون سـهـلاً، أعـنـي أن تـعـودوا خـلال الشـىء الأسود إلى «كامازوتز».. لا أعرف... لا أعرف».

قالت «ميج»:«ولكن أبى تركه هناك! ويجب أن يعيده! فلا يمكن أن نترك «تشارلز والاس»!».

فجأة أصبح اتصال المخلوق واضحًا جليًّا، لم يذكر أحد أى شىء عن ترك أى شخص، فهذا ليس أسلوبنا، لكننا نعلم أن مجرد رغبتنا فى الشىء لا تعنى أننا سنحصل عليه، ومازلنا لا نعرف ما يمكننا عمله، وفى حالتك الراهنة لا يمكن أن نسمح لك بعمل أى شىء قد يعرضنا جميعًا للخطر، وأنا أرى أنك تتمنين أن يهرع والدك عائدًا إلى «كامازوتز» ويمكن أن يجعله يقوم بذلك ولكن أين سنكون نحن؟ لا.. لا.. يجب أن ننتظر حتى تهدأوا أكثر، أما الآن يا عزيزتى، فهذا رداء لك؛ حتى تحتفظى بدفئكِ وراحتك» وشعرت «ميج» بنفسها ترفع لمرة أخرى قبل أن يُلف ثوب ناعم وخفيف حولها وقبل أن يقول المخلوق: «لا تقلقى بشأن شقيقك الصغير، كانت الكلمات الموسيقية المنبعثة من المجسات ناعمة أمامها، فإننا لن نتركه خلف الظل، ولكن الآن يجب أن تسترخى وتكونى سعيدة؛ حتى تتعافى».

وكانت هذه الكلمات الرقيقة، وشعورها بأن هذا المخلوق قادر على أن يحبها، جعلها تستقر فى دفء وسلام، وشعرت بلمسة مجسه الرقيقة على وجنتيها كقبلة والدتها الحانية.

وعاد المخلوق يقول: «لقد مر وقت طويل منذ نما صغارى وذهبوا، وأنت

صغيرة وحساسة سأطعمك الآن، ويجب أن تأكلى ببطء وهدوء، فأنا أعرف كم أنت جوعانة، وأنك مكثتِ بدون طعام لمدة طويلة للغاية، ولكن يجب ألاً تتعجلى الأمور وإلا فلن تتعافى».

ثم وضع شيئًا لا يمكن وصف روعة طعمه على شفتى «ميج» التى ابتلعته بامتنان، ومع كل مرة تبتلع فيها، تشعر بقوتها تعود لجسدها حتى أدركت أنها لم تأكل أى شىء منذ تناولها لهذا العشاء المزيف من الديك الرومى حينما كانوا فى «كامازوتز»، منذ متى كانت يخنة والدتها؟ إن الوقت لم يعد له أى معنى.

غَمْغَمَتْ بصوت ناعس: «كم هى مدة الليل هنا؟ سيعود النهار مرة أخرى.. أليس كذلك؟».

قال المخلوق: «صه.. كلى أيتها الصغيرة فخلال فترة البرودة، التى هى الآن، ننام، وعندما نستيقظ يعود الدفء مرة أخرى، ويكون هناك الكثير من الأشياء لنفعلها، يجب أن تأكلى الآن وتنامى وسأبقى معكِ».

تساءلت «ميج»:«إذا سمحت، بماذا أدعوك؟».

«حسنًا، الآن أولاً فكرى دون أن تقولى أى شىء للحظة.. فكرى داخل عقلك فى كل ما تدعين به الناس.. كل أنواع الناس».

وبينما «ميج» تفكر، همس لها المخلوق: «لا.. الأم اسم واحد خاص ووالدك موجود هنا، وليس مجرد صديق ولا معلم ولا شقيق ولا شقيقة، وما هى المعرفة الشخصية؟ يا لها من كلمة مضحكة وقاسية: عمّة، ربما نعم. ربما يصلح هذا الاسم، وأنت تفكرين فى هذه الكلمات الغريبة عنى، شىء.. وحش.. لا.. لا.. يا لها من كلمة، أنا لا أظن حقًا أننى وحش. نعم. العمة «بيست»».

غمغمت «ميج» ضاحكة: العمة «بيست».

سألت العمة «بيست» فى دهشة: «هل قلت شيئًا مضحكًا؟ أليس الاسم مناسبًا؟».

أجابت «ميج»: «إنه اسم لطيف.. أرجو أن تغنى لى يا عمتى «بيست»..».

إن كان مستحيلاً أن يصف أحدهم كيف تبدو العمة «بيست»، سيكون أكثر استحالة وصف غنائها لآدمى، لقد كانت موسيقى أكثر روعة من موسيقى المخلوقات التى كانت على كوكب «أورييل»، كانت أكثر موسيقى ملموسة ماديًا من أى تكوين أو أية رؤية، كان لها جوهر وبنيان ساند «ميج» أكثر من أذرع العمة «بيست»، لقد بدا أنه يسافر بها كما لو كانت تتحرك وسط النجوم.. وللحظة.. شعرت هى أيضًا أن كلمات الظلام والضوء لا معنى لها، وهذا اللحن فقط هو الشىء الحقيقى الوحيد.

لم تعرف «ميج» متى استغرقت فى النوم وسط هذه الموسيقى، عندما استيقظت كانت العمة «بيست» نائمة أيضًا، ونعومة فرائها، ورأسها الذى لا وجه به يتدليان.. كان الليل قد ولًى وغمر الغرفة ضوء رمادى باهت، لكننى أدركت الآن أنه هنا على هذا الكوكب، لم تكن هناك حاجة للون؛ لأن الألوان الرمادية والبنية تندمج مع بعضها البعض، ولم تكن الوحوش تعلم أن ما رأته ـ هى نفسها ـ كان جزءًا بسيطًا جدًّا مما كان عليه شكل الكوكب، إنها هى التى كانت محدودة بحواسها، وليست الوحوش العمياء؛ لأنهم بالتأكيد لديهم حواس لا تستطيع هى حتى أن تتخيلها.

وتحركت فى رقادها، فانحنت العمة «بيست» فوقها على الفور قائلة: «نومًا هنيئًا يا عزيزتى، هل تشعرين أنك بخير؟».

أجابت «ميج»: «نعم. تمامًا، أخبرينى أيتها العمة «بيست» ما اسم هذا الكوكب؟».

زفرت قائلة: «عزيزتى، إنه ليس أمرًا سهلاً أن أضع الأشياء كما يتصورها عقلك، هل تسمون ما جئتم منه باسم «كامازوتز»؟».

«حسنًا، إنه الكوكب الذى جئنا منه وليس كوكبنا».

قالت العمة: «يمكنك أن تطلقى علينا اسم «اكستشل» على ما أظن، إننا نشترك مع «كامازوتز» فى نفس الشمس، ولكن من حسن الحظ أننا لا نشترك معه فى أى شىء آخر».

سألتها «ميج»: «هل تحاربون الشىء الأسود؟».

أجابتها: «نعم. وخلال ذلك لا نستطيع الراحة مطلقًا، فإننا نُستدعى حسب رغبته، ومن يستدعيهم يتكفل بهم.. وبالطبع هناك من يساعدنا وبدون المساعدة سيكون الأمر أكثر صعوبة».

تساءلت «ميج»: «من الذى يساعدكم؟».

«عزيزتى، سيكون شيئًا صعبًا أن أفسر لك هذه الأشياء أيتها الصغيرة، وهذا ليس فقط لأنك طفلة ولكن من الصعب توصيل الأمر للاثنين الآخرين، ما يمكننى أن أخبركم به هو ما يعنى شيئًا بالنسبة لكم، فالخير يساعدنا والنجوم تساعدنا وربما ما تسمونه بالضوء يساعدنا والحب يساعدنا، لا أستطيع أن أشرح لك يا عزيزتى، إنه شىء إما أن تعرفيه أو لا تعرفيه».

«لكن...».

«إننا لا ننظر للأشياء التى تسمونها مرئية، ولكن إلى الأشياء غير المرئية؛ لأن الأشياء المرئية وقتية، أما الأشياء التى لا تُرى فهى أبدية».

سألتها «ميج» فى موجة من الأمل المفاجئ: «أيتها العمة «بيست» هل تعرفين السيدة «واتست؟»».

بدا الارتباك على العمة وقالت: «السيدة «واتست»؟ إن لغتك بسيطة للغاية ومحدودة ولها تأثير مربك» كانت أذرعها الأربع ومجساتها تلوّح فيما يوحى بعدم القدرة على المساعدة قبل أن تتابع: «هل ترغبين أن أُصحبك إلى والدك و«كالڤن»؟».

«نعم. أرجوك».

«هيا بنا إذن، إنهما فى انتظارك حتى تُعدوا خططكم، وأظن أنكم ستستمتعون بالطعام.. ماذا تسمونه؟!.. نعم.. الإفطار.. معًا، وهذا الثوب سيشعرك بحرارة شديدة.. دعينى أقدم لك شيئًا أخف منه لترتديه وبعدها نذهب».

قامت العمة «بيست» بتنظيف «ميج» كما لو كانت طفلة، وجعلتها ترتدى ملابسها التى ظنت أنها مصنوعة من فراء باهت، كانت أخف من أرق الأقمشة التى ارتدتها «ميج» على الأرض، وأحاطت العمة وسط «ميج» بواحدة من أذرعها وقادتها عبر ممرات طويلة قاتمة لم تر بها سوى ظلال وظلال الظلال، حتى وصلتا لحجرة كبيرة ذات أعمدة والضوء يَنْفُذُ من سقفها المفتوح على السماء ليسقط على مائدة حجرية عملاقة جلس حولها مجموعة من كبار هذه المخلوقات مع «كالڤن» والسيد «مورى» على مقعد حجرى أحاط بالمائدة، ولأن هذه المخلوقات كانت تتمتع بقامة طويلة فإن قدمى السيد «مورى» لم تلمسا الأرض، فى حين راحت قدما «كالڤن» تتأرجحان، كما لو كان «تشارلز والاس».. وكان البهو محاطا جزئيًا بمداخل مقنطرة تؤدى إلى مماشٍ طويلة مرصوفة، لم تكن هناك

حوائط خالية ولا أسقف، لذلك وعلى الرغم من أن الضوء لم يكن ساطعًا مقارنة بضوء شمس الأرض إلا أن «ميج» لم تشعر بظلمة أو ببرودة حينما كانت العمة «بيست» تقودها لداخل البهو، رآها السيد «مورى» فترك مكانه وأسرع نحوها ليحيطها بذراعيه فى عطف، ثم قال: «لقد وعدونا بأنك ستكونين بخير».

عندما كانت «ميج» بين ذراعى العمة «بيست» كانت تشعر بالأمان والآن عاودتها مخاوفها بشأن «تشارلز والاس» وشعورها بالإحباط نحو فشل والدها الآدمى الذى ارتفع كالغصّة فى حلقها.

وتمتمت: «أنا بخير»، ولم تكن تنظر نحو «كالڤن» ولا نحو والدها، وإنما كانت تنظر نحو تلك المخلوقات، فقد كانت مصدر عونها الآن، وإن بدا لها أنه لا والدها ولا «كالڤن» كانا مهتمين بأمر «تشارلز والاس» كما ينبغى.

قال «كالڤن»: ««ميج»، لن تتذوقى طعامًا كهذا فى حياتك، تعالى لتأكلى!».

ورفعت العمة «بيست» «ميج» إلى مقعدها، ثم جلست بجوارها.. وملأت لها أطباقًا من الطعام والفواكه الغريبة والمخبوزات التى لا يشبه مذاقها أى شىء تذوقته «ميج» من قبل، كل شىء كان باهتًا وبلا لون ومنظره غير شهى.. فى البداية ترددت «ميج» ـ رغم أنها تذكرت وجبة الليلة الماضية التى أطعمتها إياها العمة «بيست» ـ فى أن تتذوق، ولكن ما إن قضمت أول قضمة حتى راحت تأكل فى شغف حتى بدا لها أنها لن تشعر بالامتلاء مطلقًا».

انتظر الآخرون حتى أبطأت، ثم قال السيد «مورى» بجدية: «لقد كنا نحاول العمل على رسم خطة لإنقاذ «تشارلز والاس» وبما أننى ارتكبت

ذلك الخطأ فى الانتقال بعيدًا عن «آى تى»، فإننى أشعر أنه ليس من الحكمة أن أحاول العودة إلى هناك حتى ولو بمفردى، فلو أخطأت مرة أخرى فربما أضل طريقى.. وأظل للأبد أنتقل من مجرة إلى مجرة، وهذا لن يساعد أى أحد خاصة «تشارلز والاس».

وهاجمت تلك الموجة من الكآبة «ميج» حتى أنها لم تعد قادرة على الأكل.

وتابع والدها: «أصدقاؤنا هنا يشعرون أن كونى أرتدى نظارة السيدة «هُو» التى قدمتها لكِ هو ما جعلنى أبقى داخل نظامنا الشمسى، وها هى النظارة يا «ميج» ولكننى أخشى أن قيمتها قد ذهبت وأصبحت مجرد زجاج، وربما كان الغرض منها هو المساعدة لمرة واحدة فقط وعلى «كامازوتز»، وربما يكون عبورنا خلال هذا الشىء الأسود هو الذى تسبب فى ذلك».

ودفع النظارة فوق المنضدة نحوها.

أشار «كالڤن» بيده نحو المخلوقات قائلاً: «هؤلاء الناس يعرفون طريقة الانتقال والحركة المصغرة، ولكنهم لا يستطيعون القيام بذلك على كوكب مظلم».

تساءلت «ميج»: «هل حاولتم النداء على السيدة «واتست»؟».

أجاب والدها: «ليس بعد».

«ولكن إذا لم تكن قد فكرت فى أى شىء آخر، فهذا هو الشىء الوحيد الذى يجب أن تفعله يا أبى، ألا تهتم مطلقًا بـ «تشارلز والاس».

وهنا نهضت العمة «بيست» قائلة: «أيتها الطفلة»، أما السيد «مورى» فلم يقل أى شىء مما جعل «ميج» ترى أنها جرحته بعمق، فتصرفت كما كانت ستتصرف مع الأستاذ «چنكس».

فانحنت مغمغمة: «يجب أن نطلب منهم المساعدة الآن، وأنت أحمق إذا لم تفكر فى هذا».

تحدثت العمة «بيست» مع الباقين قائلة: «الطفلة ليست فى حالة طبيعية فلا تحاسبوها على تصرفاتها، لقد كاد الشىء الأسود أن يستولى عليها، ونحن أحيانًا لا نعرف الضرر النفسى الذى يظل باقيًا حتى بعد شفاء أعضاء الجسم».

ونظرت «ميج» فى غضب حول المائدة حيث جلست المخلوقات فى صمت وسكون، حتى شعرت أن هناك من يفحصها.

تقدم «كالڤن» نحوها قائلاً: «ألم يخطر لكِ أننا كنا نحاول إخبارهم عن السيدات الثلاث؟ ماذا كنا نفعل فى رأيك طوال هذا الوقت؟ كنا نأكل بنهمٍ؟ حسنًا، حاولى بنفسك».

عادت العمة تقول: «نعم. حاولى يا صغيرتى، ولكننى لا أفهم هذا الشعور بالغضب الذى أستشعره فيكِ، لماذا؟ وهناك إحساس بالذنب.. لماذا؟».

«ألا تعرفين؟».

«قالت العمة «بيست»: لا.. ولكن هذا لا يجعلنى أعرف بأية طريقة من الذين ترغبين فى تعريفنا بهم.. حاولى».

وحاولت «ميج» فى تخبط وارتباك، فى البداية وصفت السيدة «واتست» ومعطفها الرجالى وألوان وشومها المختلفة، وكذلك السيدة «هُو» وملابسها البيضاء ونظارتها اللامعة، والسيدة «ويتش» بقبعتها المدببة وردائها الأسود، حتى أدركت أن كل هذا غير مُجدٍ، فقد كانت تصفهن لنفسها فقط، فهذه لم تكن أيًّا منهن، بل حتى إنها من الأدعى أن تصف

السيدة «واتست» حينما كانت على صورة المخلوق الطائر على كوكب «أورييل».

قالت العمة «بيست» بهدوء: «لا تحاولى استخدام الكلمات، أنت تحاربين نفسك وتحاربيننى، فكرى فيما تكون، فهذه النظرة لن تساعدنا مطلقًا».

حاولت «ميج» مرة أخرى، ولكنها لم تستطع تكوين تصور مرئى فى ذهنها، حاولت أن تفكر فى السيدة «واتست» وهى تشرح الانتقال، ثم حاولت التفكير فيهن من خلال مصطلحات الرياضيات، وبين حين وآخر تلمع فى ذهنها ومضة استيعاب تصدر من العمة «بيست» أو أىٍّ من الآخرين، ولكن معظم الوقت، كان ما يصدر عنهم هو ارتباكًا رقيقًا.

وفجأة صاح «كالفن» عبر المنضدة: «الملائكة.. الملائكة الحارسون!» ومرت لحظة من الصمت قبل أن يصيح مرة أخرى وعلى وجهه ما يوحى بالتركيز: «المرسلون.. المرسلون من عند الله!».

بدأت العمة «بيست» تقول: «لقد فكرت للحظة.. لا.. إنه ليس واضحًا بالقدر الكافى».

وغمغم واحد من المخلوقات: «كم هو غريب أنهم لا يستطيعون إخبارنا بما يعرفونه».

ومدت العمة «بيست» إحدى أذرعها حول خصر «ميج» مرة أخرى قائلة: «إنهم صغار وعلى أرضهم ـ كما يسمونها ـ لا يتصلون بالكواكب الأخرى، إنهم يهتمون بكل المنعزلين فى الفضاء».

قال المخلوق النحيف: «آه.. كم.. أليسوا منعزلين؟».

وفجأة هدر صوت تردد صداه فى جنبات البهو الكبير:

«نحن هنا..!».

12 الأحمق والضعيف

لم تستطع «ميج» رؤية أى شىء، ولكنها شعرت بقلبها يخفق بالأمل، وفى حركة واحدة نهضت جميع المخلوقات واستدارت نحو إحدى الفتحات المقوسة، وأحنت رءوسها ومجساتها فى تحية، ثم ظهرت السيدة «واتست» وهى تقف بين عمودين، وبجانبها جاءت السيدة «هُو»، وخلفهما ظهر ضوء مرتعش، ولم تكن أى منهما على نفس صورتها السابقة، التى رأتهما «ميج» عليها فى المرة الأولى وبدت حدود أجسادهن غائمة فى حين اختلطت الألوان، كما لو كانت لوحة ألوان مائية مبللة، ولكنهن هناك وقد تعرفت عليهن.

أبعدت «ميج» نفسها عن العمة «بيست» وقفزت للأرض، ثم أسرعت نحو السيدة «واتست»، لكن السيدة «واتست» رفعت يدها محذرة، ولاحظت «ميج» أنها لم تكن متجسدة تمامًا وأنها كانت ضوءًا، وليست مادة، ومحاولة عناقها كانت ستصبح كمحاولة معانقة لأشعة الشمس.

قالت السيدة «واتست»: لقد أسرعنا حتى لم يعد هناك وقتٌ كافٍ.. ثم سألت: هل كنتم تريدوننا؟

انحنى أطول المخلوقات ثم ابتعد خطوة عن المنصة قبل أن يتوجه نحو السيدة «واتست» قائلاً: «إنه سؤال عن الصبى الصغير».

وصرخت «ميج»: لقد تركه أبى.. تركه فى «كامازوتز»!

ولكن السيدة «واتست» قالت ببرود: «وماذا تتوقعين منا أن نفعل؟».

ضغطت «ميج» مفاصل أصابعها بين أسنانها لدرجة أن دعامات الأسنان قطعت جلدها، ثم مدت ذراعيها فى استعطاف: «لكن هذا ليس «تشارلز والاس» «آى تى» يتمكن منه، يا سيدة «واتست» أنقذيه، أرجوك أنقذيه.

كانت السيدة «واتست» تجيب بنفس البرود وهى تقول: «أنت تعرفين أننا لا نستطيع عمل شىء على «كامازوتز».

ارتفع صوت «ميج» قائلة: «هل تعنين أنكِ ستتركين «تشارلز» تحت سيطرة «آى تى» للأبد؟

«هل قلت هذا؟».

«ولكننا لا نستطيع عمل أى شىء! أنتِ تعرفين أننا لا نستطيع! لقد حاولنا! سيدة «واتست»، يجب أن تنقذيه»!

قالت السيدة «واتست» فى حزن: ««ميج»، هذا ليس أسلوبنا، وكنت أحسبك تعرفين ذلك! تقدم السيد «مورى» وانحنى، ولدهشة «ميج» فقد انحنت له السيدات الثلاث، ثم قالت السيدة «واتست»: «لا أعتقد أننا تعارفنا».

قالت «ميج» وقد بدأ الغضب يشوب نفاد صبرها: إنه أبى، أنتنَّ تعرفن أنه أبى.. أبى، السيدة «واتست»، السيدة «هُو»، السيدة «ويتش».

غمغم السيد «مورى»: «أنا سعيد للغاية؛ لأننى... أنا آسف فقد تحطمت نظارتى ولا أستطيع رؤيتكن بشكل واضح».

قالت السيدة «واتست»: «ليس من الضرورى أن ترانا».

«إذا كان بإمكانكن أن تعلمننى ما يكفينى عن الحركة المصغرة فى الانتقال حتى أستطيع العودة إلى «كامازوتز»..».

قاطعه صوت السيدة «ويتش» المندهشة: «ثم ماذا؟».

«سأحاول استعادة ولدى من «آى تى»..».

«وهل تعرف أنك لن تنجح؟».

«لم يعد أمامى إلا أن أحاول».

قالت السيدة «واتست» برقةٍ: «آسفة، لا يمكن أن نسمح لك بالذهاب».

فاقترح «كالڤن»: «إذن، دعونى أنا.. لقد كدت أن أنتصر عليه من قبل».

هزت السيدة «واتست» رأسها ثم قالت: لا يا «كالڤن»، لقد تعمق «تشارلز» فى «آى تى» ولن يسمح لك بإلقاء نفسك معه، لهذا يجب أن تدركوا ما سيحدث.

وساد صمت طويل، وبدت كل الأشعة النافذة للبهو كما لو أنها تركز على السيدة «واتست» والسيدة «هُو»، وذلك الضوء الخافت الذى لابد أن يكون السيدة «ويتش»، ولم يتكلم أى أحد، ثم حرك أحد الوحوش جزءًا لولبيًا جيئةً وذهابًا ببطء. أخيرًا، صرخت «ميج» فى يأس: «وماذا ستفعلون؟ هل ستتخلصون من «تشارلز»..؟».

تردد صوت السيدة «ويتش» فى البهو بصورة مذهلة، وهى تقول: «اصمتى يا صغيرة»، ولكن «ميج» لم تقدر على الصمت، فالتصقت بالعمة «بيست»، ولكن الأخيرة لم تضع مجساتها حولها لتحميها فعادت «ميج» تصرخ: «أنا لا أستطيع، لا أستطيع أن أذهب، وأنتم تعرفون ذلك!».

قالت السيدة «ويتش» فى صوت جعل جسد «ميج» يقشعر: «هل طلب أحد منك هذا؟».

وأجهشت «ميج» بالبكاء قبل أن تبدأ فى ضرب العمة «بيست» كالطفلة الغاضبة، ودموعها تغرق وجهها، وانهمرت فوق فراء العمة «بيست»، وقفت العمة «بيست» فى هدوء أمام هذا الهجوم.

راحت «ميج» تنتحب وهى تقول: «حسنا.. سأذهب، أنا أعرف أنكم تريدون ذلك!».

«إننا لا نريد منك أى شىء لا تقومين به برغبتكِ»، ثم تابعت السيدة «واتست»: «أو تقومين به بدون فهم».

توقفت دموع «ميج» فجأة كما بدأت، ثم قالت: «ولكننى أفهم». كانت تشعر بتعب ثم بسلام غير متوقع، وقد غادرت البرودة جسدها وعقلها ونظرت نحو والدها وقد زال عنها غضبها المرتبك، وشعرت فقط بالحب

والفخر فابتسمت له؛ رغبةً فى السماح، ثم عادت لتقترب من العمة «بيست»، ولكن هذه المرة أحاطتها العمة بأذرعها.

تساءل صوت السيدة «ويتش»: «ماذا تفهمين؟».

إنه يجب أن أكون أنا، فلا يمكن أن يكون أى شخص آخر، أنا لا أفهم «تشارلز» ولكنه هو يفهمنى، فأنا أقرب الناس إليه؛ لأن أبى كان بعيدًا لفترة طويلة منذ كان «تشارلز» رضيعًا، إنهما لا يعرفان بعضهما البعض و«كالڤن» لم يعرف «تشارلز» إلا منذ وقت قصير، ولو كان الوقت أطول لكان هو المعنىّ ولكن أنا أفهم أنه يجب أن أكون أنا، وليس أى أحد آخر.

نهض السيد «مورى» الذى كان يستند بمرفقيه إلى ركبتيه وبوجهه إلى يديه قائلاً: «أنا لن أسمح بذلك!».

تساءلت السيدة «ويتش»: «لماذا؟».

«انظرى، أنا لا أعرف ما أنت أو من أنت، وهو ما لا يعنينى، ولكننى لن أسمح لابنتى بأن تذهب إلى هذا الخطر بمفردها».

«لماذا؟».

«هل تعرفين ماذا يمكن أن تكون النتيجة وهى ضعيفة، أضعف من ذى قبل، لقد كاد هذا الشىء الأسود أن يقتلها، ولا أفهم كيف تفكرين فى هذا الأمر؟».

قفز «كالڤن» لأسفل قائلاً: «ربما يكون «آى تى» محقًا بشأنك! أو ربما تكونين متفقة مع «آى تى».. إذا كان أحدٌ سيذهب فسأكون أنا، وإلا فلماذا أحضرتمونى من الأصل؟ حتى أعتنى بـ «ميج»!.. ها أنت قلت ذلك بنفسك!».

قالت له السيدة «واتست» مؤكدة: «ولكنك قد فعلت ذلك».

فصاح «كالڤن»: «أنا لم أفعل أى شىء، ولا يمكن أن ترسلوا «ميج»، فأنا لن أسمح بذلك وسأمنعه».

سألته السيدة «واتست»: «ألا ترى أنك تُزيد من صعوبة الأمر على «ميج»؟».

أدارت العمة «بيست» مجساتها نحو السيدة «واتست»، ثم قالت: «هل هى قوية بما يكفى حتى تقوم بالانتقال مرة أخرى؟ إنكم تعرفون ما مرت به!».

أجابت السيدة «واتست»: «تستطيع ذلك، لو أن «ويتش» أخذتها».

وأحاطت العمة «بيست» «ميج» بذراعها قائلة: «لو أنه يفيد، فأنا أستطيع الذهاب معها أيضًا واحتضنتها».

بادرت «ميج»: «آه.. عمتى «بيست»..».

ولكن السيدة «واتست» قاطعتها: «لا».

قالت العمة «بيست» فى تواضع: «كنت أخشى ذلك، لقد أردت أن تعرفوا أننى على استعداد».

دفع السيد «مورى» خصلات شعره للخلف، ثم قال: «سيدتى - آه - «واتست»..» ثم عدل وضع نظارته على أنفه قبل أن يتساءل: «هل تذكرين.. إنها مجرد طفلة؟».

ـ رفع «تشارلز» صوته عاليًا: ورجعت، قالت «ميج» بحماس: أنا استأت، آملة أن غضبها سوف يحد من ارتجافها.. أنا أفضل منك فى الرياضيات، وأنت تعلم ذلك.

سألتها السيدة «واتست»: «هل تملكين الشجاعة لتذهبى بمفردك؟».

كان صوت «ميج» ثابتًا: «لا، ولكن هذا لا يهم»، ثم استدارت نحو والدها و«كالڤن» متابعة: «أنتما تعرفان أنها الطريقة الوحيدة، لم يكونوا ليرسلونى بمفردى لو...».

تساءل السيد «مورى»: «كيف تعرفين أنهم ليسوا متفقين مع «آى تى»؟..».

«أبى!».

قالت السيدة «واتست»: «لا يا «ميج» أنا لا ألوم والدك لكونه غاضبًا وخائفًا ومتشككًا ولا أستطيع أن أنكر أننا نرسلك إلى واحدة من أعمق بؤر الخطر، يجب أن أعترف بصراحة كاملة بأنه ربما يكون خطرًا قاتلاً، أنا أعرف هذا، ولكن أنا لا أصدق ذلك و«ميديام» السعيدة لا تصدق ذلك أيضًا».

تساءل «كالڤن»: «ألا ترين ما سيحدث؟».

بدت السيدة «واتست» مندهشة من سؤاله وهى تجيب: «لا.. ليس هذا النوع من الأشياء، فلو أننا نعرف ما سيحدث مقدمًا لكنَّا مثل... مثل الناس الذين فى «كامازوتز» فليس حياة لأنفسنا، ويكون كل شىء مخططًا لنا خصيصًا، كيف يمكن أن أفسر ذلك لكم؟.. آه.. أنا أعرف أن لغتكم بها نوع من الشعر يسمى شعر السونيتات».

قال «كالڤن» بنفاد صبر: «نعم. نعم. ولكن ما علاقة هذا بـ «ميديام» السعيدة؟».

كان صوت «واتست» حادًّا.. وللحظة توقف «كالڤن» عن ضرب الأرض مثل المُهر العصبى.

قالت السيدة «واتست»: «أرجو أن تنصت إلىَّ، إنه نوع صارم من الشعر».

«نعم».

«يوجد بالقصيدة أربعة عشر بيتًا، وكلها فى بحر العميق على ما أظن، ويتكون كل بيت من خمس تفعيلات، إنه إيقاع أو وزن صارم.. أليس كذلك؟».

أومأ «كالڤن»: «بلى».

«ويجب أن ينتهى كل بيت بنفس القافية، وإذا لم يلتزم الشاعر بهذا النمط لا تكون سونيتات.. أليس كذلك؟».

«بلى».

«ولكن داخل إطار هذا الشكل المحدد والصارم لا يملك الشاعر حريته الكاملة فى قول ما يريد.. أليس كذلك؟».

أومأ «كالڤن» مرة أخرى: «بلى».

قالت السيدة «واتست»: «إذن، إن...».

«إذن ماذا؟».

نهرته السيدة «واتست» قائلة: «لا تكن أحمق أيها الصبى! فأنت تعرف تمامًا ما أقصده!».

«هل تعنين أنكِ تشبهين حياتنا بقصيدة، وأنها صارمة، لكن تتخللها حرية؟!».

أجابت السيدة «واتست»: «نعم. لقد أعطيت الشكل، ولكن يجب أن تكتب القصيدة بنفسك، ما تقوله يتوقف عليك وحدك!».

قالت «ميج»: «أرجوكم، إذا كنت سأذهب، فأنا أريد أن أذهب على الفور، فكل دقيقة تمر تُزيد الأمر صعوبةً».

قالت السيدة «ويتش»: «إنها على حق، لقد حان الوقت».

فقالت السيدة «واتست» آمرةً: «يمكنكِ أن تودعيهم».

انحنت «ميج» للمخلوقات قائلة: «شكرًا لكم جميعًا.. شكرًا جزيلاً، أنا أعرف أنكم أنقذتم حياتى»، ولكنها لم تضف ما لم تستطع منع نفسها من التفكير فيه، لماذا أنقذتمونى؟ حتى يستولى علىّ «آى تى»؟!

ـ مدت ذراعيها تجاه العمة «بيست»، وضغطت على وجهها الناعم وفرائها العطر هامسةً: شكرًا لك.. أنا أحبك.

ـ وأنا أيضًا أحبك أيتها الصغيرة.. ضغطت العمة «بيست» بالأجزاء اللولبية الرفيعة على وجه «ميج».

ـ قالت «ميج» وهى فاتحة ذراعيها: «كال».

وتقدم «كالڤن» نحوها وأمسك بيديها ثم جذبها نحوه؛ ليقبلها دون أن يقول أى شىء، ثم عاد مبتعدًا قبل أن يرى دهشة وسعادة وبريق عينى «ميج».

وأخيرًا استدارت نحو والدها قائلة: «أنا آسفة.. آسفة يا أبى»، أمسك أبوها بيديها ثم انحنى مقتربًا منها؛ ليقول: «آسفة على ماذا يا «ميجاترون»؟».

وكادت الدموع أن تذرف من عينيها على الاستخدام الرقيق لاسم التدليل القديم، وهى تقول: «لقد أردت أن تفعل كل هذا من أجلى، أردت أن يكون كل شىء سَهْلاً وبسيطًا.. لهذا حاولت التظاهر بأنه كان خطأك؛ لأننى كنت خائفة، ولم أكن أريد أن أفعل أى شىء بنفسى».

قال السيد «مورى» مقاطعًا: «ولكننى كنت أريد أن أفعل هذا من أجلك، فهذا ما يريده أى أب»، ثم نظر نحو عينيها الداكنتين الخائفتين متابعًا: «لن أدعك تذهبين يا «ميج».. سأذهب أنا».

ولكن السيدة «واتست» قالت فى حدة لم تعهدها «ميج»: كلا أنت ستسمح لـ «ميج» بميزة قبول هذا الخطر، أنت رجل حكيم يا سيد «مورى» وستدعها تذهب.

زفر السيد «مورى» قبل أن يقربها نحوه قائلاً: «صغيرتى، لا تخافى من كونك خائفة، سنحاول أن نكون شجعانًا من أجلك، فهذا كل ما نستطيعه، فوالدتك...».

قالت «ميج»: «والدتى كانت دائمًا تدفعنى نحو العالم، وكانت سترغب فى أن أقوم بذلك، وأنت تعرف ذلك فأخبرها..»، واحتبست الكلمات فى حلقها، حتى قالت: «لا.. لا يهم، سأخبرها بنفسى».

«بالطبع يا حبيبتى.. بالطبع».

سارت «ميج» ببطء حول المائدة الكبيرة إلى حيث كانت تقف السيدة «واتست» بين العمودين قائلة: «هل ستذهبين معى؟».

«لا.. السيدة «ويتش» فقط».

و«الشىء الأسود..»، وجعلها الخوف ترتعش قبل أن تتابع: «عندما انتقل أبى عبره كاد أن ينال منِّى».

قالت السيدة «واتست»: «والدك تنقصه الخبرة الفردية، ورغم كونه شخصًا راقيًا يستحق التعليم، ولكنه فى الوقت الحالى فى محاولته للانتقال، يتصرف كما لو أنه يعمل مع آلة، لن ندع الشىء الأسود يستولى عليك.. لا أظن ذلك».

لم يكن هذا مريحًا أبدًا.

ثم تزعزع إيمانها قليلاً، فقالت «ميج»: «ولكن بفرض أننى لم أستطع إبعاد «تشارلز والاس» من «آى تى».

رفعت السيدة «واتست» يدها قائلة: «توقفى.. لقد قدمنا لكم هدايا عند ذهابكم إلى «كامازوتز» ولن نتركك تذهبين خالية اليدين هذه المرة، ولكن ما سنقدمه لكِ الآن ليس شيئًا يمكنك أن تلمسيه بيديك، أقدم لك حبى يا «ميج» فلا تنسى ذلك، حبى دائمًا».

ولمعت عينا السيدة «هُو» خلف نظارتها وهى تنظر نحو «ميج»، التى دست يدها فى سترتها وأخرجت لها نظارتها التى استخدمتها على كوكب «كامازوتز».

وأخذت السيدة «هُو» النظارة وأخفتها فى مكان ما فى ثنيات ردائها قائلة: «والدك على حق، لقد فقدت قيمتها وما يجب أن أقدمه لكِ هذه المرة يجب أن تحاولى فهمه كوحدةٍ واحدة، وليس كلمة كلمة كما فهمتِ الحركة المصغرة، أنصتى يا «ميج»: «حكمة الله أكبر من حكمة البشر وقوته تفوق قوتهم، فكم عدد الحكماء من بين البشر، وكم عدد الأقوياء والنبلاء، ولكن الله اختار حماقات العالم؛ حتى يوجِد الحكمة واختار ضعفاءه؛ لتبرز قوة الآخرين، اختار كل ما هو أساسى، وما هو غير ذلك، وبدا لو أن نظارتها تلمع خلفها وخلالها وأصبح أحد العمودين مرئيًا قبل أن تومض النظارة مرة أخرى، وتذهب السيدة «هُو».. ونظرت «ميج» بعصبية باحثة عن السيدة «واتست» حيث كانت تقف أمام السيدة «هو»، ولكن السيدة «واتست» لم تعد هناك.

وصرخ السيد «مورى» وهو يتجه نحو «ميج»: «لا!».

ولكن صوت السيدة «ويتش» قال: «أنا لا أستطيع أن أمسك بيدك.. أيتها الصغيرة».

وفورًا اكتنف «ميج» الظلام والعدم، ثم انتقلت لبرودة الشىء الأسود القارسة، لن أترك السيدة «ويتش» تنال منّى، راحت تفكر فى ذلك، بينما برودة الشىء تكاد تسحق عظامها، ثم عبرته وكانت تقف متقطعة الأنفاس على قدميها فوق نفس التل الذى هبطوا عليه لأول مرة فى «كامازوتز»، وكانت تشعر ببرودة شديدة وبعض الحذر، وإن لم تكن أسوأ مما كانت تشعر بهما على الأرض، حينما كانت تمارس التزلج على سطح البحيرة المتجمدة، فنظرت حولها لتجد نفسها بمفردها تمامًا قبل أن يبدأ قلبها يخفق.

وسمعت صوت السيدة «ويتش» كما لو أن صداه يتردد من حولها قائلة: «أنا لم أقدم لكِ هديتى.. أنت تملكين شيئًا لا يملكه «أى تى».. وهذا الشىء هو سلاحك الوحيد.. ولكن يجب أن تعثرى عليه بنفسك»، ثم اختفى الصوت لتعرف «ميج» أنها قد أصبحت بمفردها.

سارت «ميج» ببطء إلى أسفل التل وقلبها يخفق بعنف مؤلم بين ضلوعها.. وأسفل منها كانت نفس المنازل المتماثلة التى رأوها من قبل وخلفها مبانى المدينة، فسارت فى الشارع الهادئ، وكان مظلمًا وخاليًا؛ فلم يعد هناك أطفال يلعبون الكرة أو يثبون الحبل ولا أمهات عند الأبواب ولا آباء يعودون من عملهم، وفى نفس النافذة من كل منزل كان هناك ضوء، ومع سير «ميج» فى الشارع راحت الأنوار تنطفئ.. تُرى، هل بسبب وجودها.. أم أن هذا هو الوقت المعتاد لإطفاء الأنوار؟

وشعرت بشيء أكبر من الغضب والإحباط أو حتى الخوف، فراحت تسير فى رتابة دون تفكير ودون تخطيط كانت ـ ببساطة ـ تمشى ببطء ولكن بثبات نحو المدينة ومبانيها ذات القبة، التى يعيش «آى تى» بداخلها.

اقتربت الآن من مبانى المدينة التى حمل كل منها خطًا رأسيًا من الضوء المخيف، ليس ضوء السلم الشاحب فى مدن الوطن.. ولم تكن هناك نوافذ مضاءة متناثرة توحى بأن أحدهم يعمل لوقت متأخر، أو أن هناك مكتبًا يتم تنظيفه، وخارج كل مبنى كان هناك رجل واحد ربما يكون حارسًا، وكل منهم يسير فى مواجهة المبنى.

لم يبدُ على الرجال أنهم يرونها، وعلى أية حال فلم يمنحوها أى اهتمام، واستمرت تسير عبرهم وبدأت تفكر فجأة فى: «ما الذى تملكه ولا يملكه «آى تى»؟ ما المحتمل أن يوجد عندها وليس عنده؟

وكانت تسير الآن بجوار أكبر المبانى الإدارية ولمعت جدرانه بانعكاس خافت للشارع فى حين ظهر المزيد من الأضواء الرأسية، وأمامها كان مركز الذكاء المركزى.. تُرى، هل مازال الرجل ذو العينين الحمراوين جالسًا هناك؟ أم صرحوا له بالنوم؟ ولكن لم يكن يجب أن تكون هذه هى وجهتها رغم أن هذا الرجل يعتبر مثاليًا إذا ما قورن بـ «آى تى» ولكن لم تكن له أية علاقة بالبحث عن «تشارلز والاس»، لقد كان عليها أن تتجه مباشرة إلى «آى تى».

«آى تى» لم يعتد على المقاومة، هذا هو ما ساعد أبى وما ساعدنى أنا و«كالفن»، إذن فقد أنقذنى أبى، ولكن لا أحد هنا لينقذنى الآن، ويجب

أن أقوم أنا بذلك، يجب أن أقاوم «آى تى» بنفسى.. تُرى، هل هذا هو ما أمـــلــكـــه ولا يملــكـــه «آى تــى»؟ لا.. أنــا واثــقــة أن «آى تــى» لا يستطيع المقاومة.. إنه فقط لم يعتد على مقاومة الآخرين له.

واحتل مركز الذكاء المركزى بمبناه العملاق الطريق فى نهاية الميدان، وانحرفت؛ لتسير حوله قبل أن تبطئ خطواتها.

لم تكن بعيدة عن المكان الذى يتخذه «آى تى» مقرًّا له.

سأذهب إلى «تشارلز والاس» وهذا هو المهم، وهذا هو ما يجب أن نفكر فيه، وأتمنى أن يعاودنى الشعور بفقدان الحس مرة أخرى، كما كنت فى البداية، فماذا لو أن «آى تى» كان قد أخذه لمكان آخر؟ ماذا لو لم يكن هناك؟

يجب أن أذهب هناك أولاً.. على كل حال، تلك هى الطريقة الوحيدة التى أستطيع أن أعرف بها.

أبطأت خطواتها أكثر وأكثر وهى تعبر الأبواب البرونزية العملاقة إلى مركز الذكاء المركزى عندما رأت أمامها أخيرًا قبة «آى تى» الغريبة النابضة بالضوء.

قال أبى: إنه كان مناسبًا أن أكون خائفة، قال: أن أتقدم وكونى خائفة. قالت السيدة «هُو»: أنا لا أفهم ما قالت، لكننى أعتقد أنه كان يقصد أن تجعلنى لا أكره كونى نفسى، وكونى بالطريقة التى أنا عليها، وقالت السيدة «واتست» لتتذكر أنها تحبنى.. هذا ما يجب أن أفكر فيه، ليس عن كونى خائفة، أو لست فى ذكاء «آى تى».. السيدة «واتست» تحبنى، وهذا شىء مهم جدًّا أن أكون محبوبة من إنسانة مثل السيدة «واتست».

كانت هناك.

ومهما كانت خطواتها بطيئة، ففى النهاية حملتها إلى هناك.

وأمامها مباشرة كان المبنى الدائرى وحوائطه اللامعة بذلك اللهب البنفسجى، وسقفه الفضى النابض بالضوء، فى شىء بدا جنونيًا بالنسبة لـ «ميج»، ثم شعرت مرة أخرى بالضوء، ليس دافئًا ولا باردًا، وإنما يمتد ليلمسها ويجذبها نحو «آى تى».

كان هناك امتصاص مفاجئ، وأصبحت هى بداخله.

بدا الأمر كما لو أن الرياح قد هبّت من داخلها وشهقت «ميج»؛ حتى تتنفس بإيقاعها هى، وليس حسب نبضات «آى تى»، وشعرت بذلك الخفقان فى جسدها يتحكم فى قلبها ورئتيها.

ولكن ليس نفسها، ليس «ميج» إنه لم يستولِ عليها.

ورمشت بعينيها سريعًا ضد الإيقاع حتى صفا الهواء من حمرته أمامها واستطاعت أن ترى.. فما هو ذلك العقل؟.. وها هو «آى تى» يستقر نابضًا ومرتعشًا على منصته ناعمًا ومكشوفًا ومثيرًا للاشمئزاز، وبجواره كان «تشارلز والاس» قابعًا، ومازالت عيناه تتحرك ببطء، وظل فمه مغلقًا، كما رأته قبل ذلك وجبهته تتقلص بانتظام تبعًا لإيقاع «آى تى» المقزز.

وما إن رأته مرة أخرى حتى شعرت وكأن أحدهم قد ركلها فى معدتها؛ لأنها كانت ترى شكل «تشارلز» ولكنه لم يكن «تشارلز» مطلقًا.. أين «تشارلز والاس»؟ أين شقيقها المحبوب «تشارلز والاس»؟

ما الذى أملكه ولا يملكه «آى تى»؟

قال لها «تشارلز» فى برود: «لا تملكين شيئًا لا يملكه «آى تى»، كم هو

جميل أن تعودى يا شقيقتى العزيزة.. لقد كنا فى انتظارك، وعرفنا أن السيدة «واتست» سترسلك، فهى صديقتنا كما تعلمين».

للحظة مرعبة، اعتقدت، وفى هذه اللحظة شعرت وكأن مخها قد وُضع داخل «آى تى».

صرخت بملء رئتيها: «لا!.. أنت تكذب!».

للحظة كانت بعيدة عن قبضة «آى تى».

وفكرت، إن ظلّت غاضبة فإن «آى تى» لن يتمكن منها.

هل هذا هو ما أملكه، ولا يملكه «آى تى»؟

قال «تشارلز والاس»: هراء.. ليس لديك شىء لا يملكه هو.

أجابت وهى لا تشعر سوى بالغضب تجاه هذا الصبى الذى لم يكن «تشارلز والاس» على الإطلاق: «أنت تكذب» لا، لم يكن غضبًا، كان اشمئزازًا، كان كراهية خالصة، محضة، وعندما أصبحت ضائعة فى الكراهية، كانت قد بدأت تضيع فى «آى تى»، عادت الحمرة تسبح أمام عينيها وتقلصت معدتها مع إيقاع «آى تى» وارتجف جسدها بقوة كراهيتها وقوة «آى تى».

وبآخر ما تبقى من وعيها نفضت عقلها وجسدها، إن الكراهية ليست هى ما لا يملكه «آى تى»؛ لأنه يعرف كل شىء عن الكراهية.

صرخت ثانية: «إنك تكذب، وتكذب على السيدة «واتست»!».

قال «تشارلز والاس»: «السيدة «واتست» تكرهك».

وهنا ارتكب «آى تى» خطأه الفادح، فقد قالت «ميج» بتلقائية: «السيدة «واتست» تحبنى، وهذا هو ما أخبرتنى به.. إنها تحبنى»، وفجأة عرفت.. عرفت!

إنه الحب.

هذا هو ما تملكه، ولا يملكه «آى تى».

إنها تملك حب السيدة «واتست» وحب والدها ووالدتها و«تشارلز والاس» الحقيقى وشقيقيها التوأم والعمة «بيست».

وتملك حبها لهم أيضًا.

ولكن كيف تستخدمه؟ وما الذى يجب أن تفعله؟

تساءلت إذا استطاعت أن تقدم الحب إلى «آى تى» فقد يذوى ويموت؛ لأنها كانت واثقة أن «آى تى» لن يحتمل الحب، ولكنها بكل ضعفها وحماقتها وبلاهتها وتفاهتها لم تكن قادرة على حب «آى تى»، ربما لم يكن هذا أكبر من قدرتها، ولكنها لا تستطيع فعل ذلك.

لكنها تستطيع أن تحب «تشارلز والاس».

كان يمكنها البقاء هناك ويمكنها حب «تشارلز والاس».

«تشارلز والاس» الحقيقى.. الطفل الذى عادت من أجله إلى «كامازوتز» وإلى «آى تى»، ذلك الطفل الذى كانت طفولته أكبر منها.. «تشارلز والاس» البالغ الحساسية.

تستطيع أن تحب «تشارلز والاس».

«تشارلز والاس».. أنا أحبك، أخى الصغير الذى كان دوما يعتنى بى، عُد إلىّ يا «تشارلز والاس» وابتعد عن «آى تى».. عد إلىّ.. إلى مكانك، فأنا أحبك يا «تشارلز».. أحبك.

كانت الدموع تغرق وجنتيها، لكنها لم تكن مدركة.

الآن أصبحت قادرة على أن تنظر نحوه، إلى ذلك الشىء المتحرك الذى لم يكن شقيقها، أصبحت قادرة على النظر وعلى الحب.

أحبك يا «تشارلز»، فأنت ضوء حياتى وكنز قلبى.. أحبك.. أحبك.. أحبك.

وببطء أغلق فمه، وببطء توقفت عيناه عن الدوران وتوقف تقلص جبهته وتقدم ببطء نحوها.

صرخت قائلة: «أنا أحبك.. أحبك يا «تشارلز»!».

ثم فجأة بدأ يركض حتى استقر بين ذراعيها منتحبًا: «ميج! ميج! ميج»!

صرخت مرة أخرى وصوت انتحابها أعلى منه: «أنا أحبك يا «تشارلز»! أحبك! أحبك!».

وهبّت موجة من الظلام والبرودة القارسة، وانطلقت صيحة غاضبة، بدت وكأنها تمزقهما ثم عاد الظلام مرة أخرى، وخلال الظلام واتاها شعور بوَجود السيدة «واتست»، الذى به عرفت أنه لن يكون «آى تى» هو الذى يستولى عليها.

ثم شعرت بالأرض تحت قدميها وبشىء بين ذراعيها، وهى تتدحرج على أرض تحمل رائحة الخريف و«تشارلز والاس» يصرخ: «ميج! ميج!».

الآن احتضنته وذراعاه الصغيرتان معلّقتين برقبتها وهو يقول: ««ميج»، لقد أنقذتنى! أنقذتنى!» وراح يكررها ويكررها.

وسمعت من يصيح باسمها قبل أن ترى والدها و«كالڤن» يركضان نحوهما وسط الظلام فنهضت بصعوبة، وهى لاتزال تحمل «تشارلز» وتصيح: «أبى! «كالڤن»! إننا هنا!».

كان «تشارلز والاس» يمسك بيدها وهو ينظر حوله أيضًا، ثم ضحك

ضحكته الجميلة التى تبعث على البهجة قائلاً: «إننا فى حديقة خضراوات التوأم وقد هبطنا على القنبيط!».

وبدأت «ميج» بدورها تضحك فى نفس الوقت الذى كانت تحاول فيه معانقة والدها و«كالڤن» دون أن تترك «تشارلز والاس» لثانية واحدة.

صاح «كالڤن»: لقد نجحتِ يا «ميج»!، لقد أنقذتِ «تشارلز»!».

قبّلها السيد «مورى» قائلاً: «أنا فخور بك يابنتى»، ثم استدار نحو المنزل متابعا: «الآن يجب أن أذهب لأمكم»، وشعرت «ميج» أنه كان يحاول السيطرة على نفسه وشغفه.

وأشارت نحو المنزل قائلة: «انظروا».. هناك كان التوأم والسيدة «مورى» يسيرون نحوهم عبر الحشائش المبللة.

قال السيد «مورى» وهو ينظر إلى ضوء القمر: «أول شىء يجب أن أقوم به غدًا أن أشترى نظارة جديدة» وركض نحو زوجته.

وجاء صوت «دينيس» من هناك صائحًا: ««ميج»، لقد حان وقت النوم».

وفجأة صاح «ساندى»: «أبى!».

كان السيد «مورى» يركض فى الساحة والسيدة «مورى» تركض نحوه، حتى تعانقا قبل أن تكون هناك ثورة من السعادة بين الأذرع والسيقان والعناق بين كل أفراد الأسرة، فى حين وقف «كالڤن» مبتسمًا بجوارهم حتى جذبته «ميج» لتمنحه السيدة «مورى» عناقًا خاصًا وراحوا يتحدثون ويضحكون فى وقت واحد حينما فاجأهم «فورتينبراس»، الذى لا يحتمل أن يُحرم من هذه السعادة لثانية واحدة بعد ذلك، وهو يركض

خارجا من باب المطبخ المصنوع من السلك حتى يلحق بالفرح واصطدم بهم تقريبًا كنوع من التحية.

وعرفت «ميج» على الفور أن السيدة «واتست» والسيدة «هُو» والسيدة «ويتش» قريبات من هنا؛ لأنها كانت تشعر بالحب والفرح يغمرهن بما هو أكثر من الحب والفرح الذى كان هناك.

وتوقفت عن الضحك، كما توقف «تشارلز» وأنصتا معًا.

كان هناك صوت خافت قبل أن تظهر السيدة «واتست» والسيدة «هُو» تقفان أمامهم، أو السعادة والحب كانا محسوسين بشدة، لدرجة أن «ميج» شعرت لو أنها فقط كانت تعرف أين يمكن الوصول إليهم، لكانت استطاعت لمسها بيديها العاريتين.

وقالت السيدة «واتست» بأنفاس متقطعة: «أعزائى.. أنا آسفة، فليس لدينا وقت حتى نودعكم بالشكل اللائق، فكما تعرفون يجب أن...».

لكنهم لم يعرفوا مطلقًا ما كان يجب على السيدات الثلاث عمله؛ لأنه كانت هناك موجة من الرياح، ثم اختفين.


نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

A Wrinkle in Time BY: MADELEINE L'ENGLE

فى منتصف ليلة عاصفة مظلمة، كانت ميج مورى، وشقيقها الصغير تشارلزوالاس، وأمهما فى المطبخ يتناولون بعض الأطعمة، وفجأة وصلت أكثر الزوار إزعاجًا.

قالت لهم المخلوقة غير الأرضية: الليالى الموحشة محل اعتزازى.. لقد انحرفت عن مسارى، دعونى أجلس دقيقة ثم أرحل.

هل تعلمون أن هناك شيئًا يُسمَّى البعد التناظرى الرابع للمكعب؟

كان والد ميج يجرى اختبارات على البُعد الخامس للسفر فى الزمن عندما اختفى فى ظروف غامضة.. الآن واتت ميج وصديقها كالفن وتشارلزوالاس الفرصة لإنقاذه.. لكن، هل سيمكنهم التغلب على قوى الشر – التى سيواجهونها فى رحلتهم عبر الفضاء – التى تحبس الأنفاس.

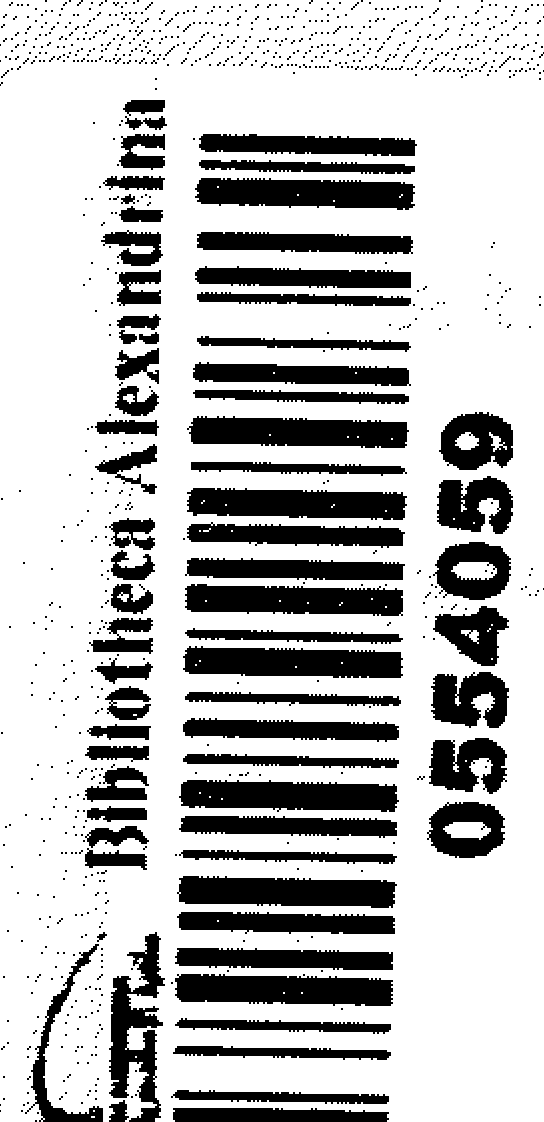
هذه القصة فى إطارها العام تصلح لأن تكون خيالاً علميًّا، إلا أنها ليست كذلك. هناك سرٌّ.. تأمل مبهم.. شعور يتعذَّر تعريفه.. رعب يلف الرحلة كلها..

((هذا الكتاب)).. أصلى، مشوق، مختلف.

(ساترداى

رائعة، مدهشة.. إنها تلبى الاحتياجات غير المألوفة للخيال.

(هورن بوك ما




6 221133 323024


نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع